

مجمع الدراسات والبحوث  
للكنيسة القبطية  
بمصر

مقدمات في طقوس الكنيسة

٢/٩

الملاحم الوثائقية والأستورجية  
لكنيسة الإسكندرية  
في السلاسة قرون الأولى

مجمع التوثيق والتوثيق  
للكنيستة القبطية  
بإشراف

البروتو كيريون

مقدمات في طقوس الكنيسة

٢/٩

الملاحم الوثائقية والأستورجية  
لكنيستة الإسكندرية  
في السلاسة قرون الأولى

الكتاب: الملامح الوثائقية والليتورجية لكنيسة الإسكندرية

في الثلاثة قرون الأولى

الكاتب: الراهب القس أناسيوس المقاري

(راهب من الكنيسة القبطية)

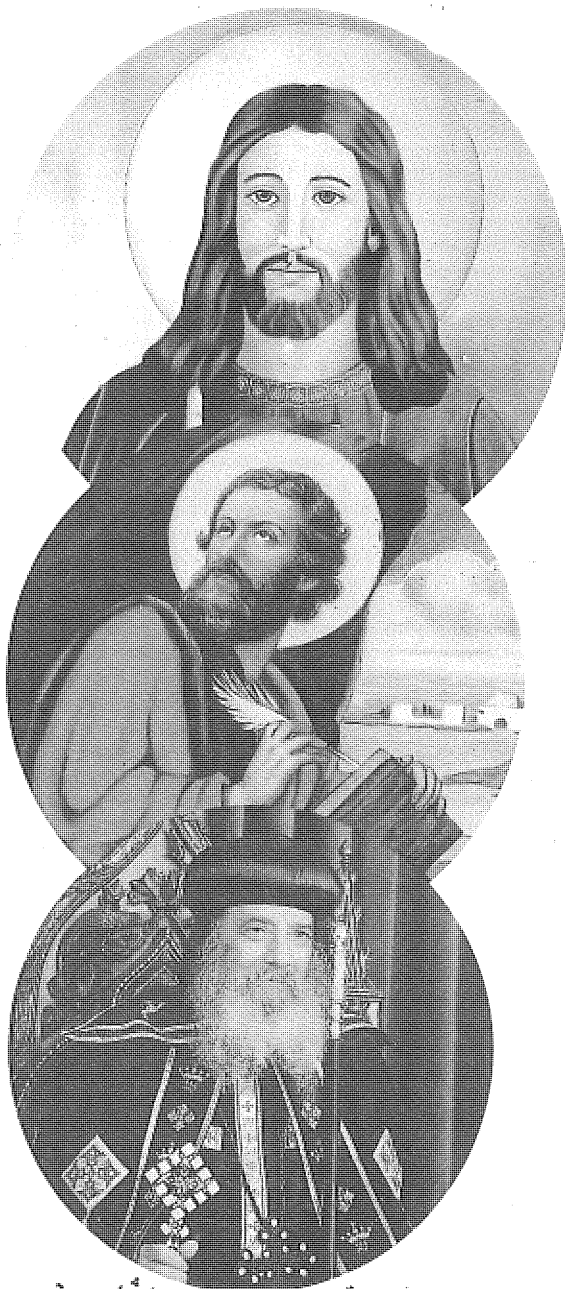
المطبعة: مطابع النوبار . ١٣ شارع ١٣ مدينة العبور

الطبعة: الأولى، أكتوبر ٢٠١١ م

التّرقيم الدولي: 9 - 8653 - 17 - 977

رقم الإيداع بدار الكتب: ٧٢٧٢ / ٢٠١٠

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف



قداسة البابا شنودة الثالث  
بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية

## المحتويات

١٣ ..... مقدمة عامة

### الباب الأول: القرن الأول الميلادي

١٩ ..... الفصل الأول: المسيحية في مصر قبل وصول القديس مرقس الرسول إليها

٢٠ ..... تمهيد

٢٨ ..... وصف للحياة المسيحية في بواكيرها الأولى في مصر

٣٣ ..... انعدام الشواهد الوثائقية لكنيسة الإسكندرية في القرن الأول

٣٧ ..... الفصل الثاني: تأسيس كنيسة الإسكندرية بكرازة القديس مرقس الرسول

٣٨ ..... تمهيد

٣٨ ..... القديس مرقس الرسول في كتاب العهد الجديد

٤٠ ..... المصادر المبكرة التي تربط بين مرقس وبطرس الرسولين، وكنيسة مصر

٤٢ ..... تعقيب على ما قالته هذه المصادر المبكرة

أقدم المصادر والتقاليد عن القديس مرقس الرسول كمؤسس

٥٠ ..... لكنيسة الإسكندرية

٥٠ ..... أولاً: شهادة يوسابيوس القيصري عن تأسيس كنيسة الإسكندرية

٥٥ ..... ثانياً: شهادة العلامة كليمنس الإسكندري

ثالثاً: وثيقة "أعمال مرقس"، أقدم شهادة تشرح كرازة

٥٩ ..... القديس مرقس بالمسيحية في الإسكندرية

٦٧ ..... تعقيب على محتوى وثيقة "أعمال مرقس"

تعقيب على النص الأصلي لوثيقة "أعمال مرقس"،

٦٩ ..... والإضافات المتأخرة التي لحقت

٧١ ..... نشاط القديس مرقس في الإسكندرية بحسب التقليد

### الفصل الثالث: سيرة القديس مرقس واستشهاده وسير البطارقة التالين له كما وردت في كتاب "تاريخ البطارقة"

- ٧٥ ..... المنسوب للأنا ساويرس بن المقفع
- ٧٦ ..... تمهيد
- السيرة الأولى من سير البيعة المقدسة. سيرة ماري مرقس الخواري
- ٧٨ ..... الإنجيلي، رئيس أساقفة المدينة العظيمة الإسكندرية وأولهم
- شهادة القديس ماري مرقس وبشارته بمدينة الإسكندرية، وهي
- ٨٣ ..... الثانية من سير البيعة
- ٨٩ ..... السيرة الثالثة من سير البيعة: أنيانوس البطرک وهو الثاني من العدد
- ٩٠ ..... مليانوس البطرک وهو الثالث من العدد

### الباب الثاني: القرن الثاني الميلادي

- ### الفصل الأول: أبرز شخصيات القرن الثاني الميلادي
- ٩٣ ..... تمهيد
- ٩٤ ..... أولاً: سير الثمانية بطارقة من الرابع حتى الحادي عشر
- ٩٤ ..... كردنوس البطرک وهو الرابع من العدد
- ٩٥ ..... أبريموس البطرک وهو الخامس من العدد
- ٩٥ ..... يسطس البطرک وهو السادس في العدد
- ٩٦ ..... أومانوس البطرک وهو السابع من عدد الآباء
- ٩٦ ..... مرقيانوس البطرک وهو الثامن من عدد الآباء
- ٩٧ ..... كلاديانوس البطرک وهو التاسع من عدد الآباء
- ٩٧ ..... أغريبنوس البطرک وهو العاشر من العدد
- ٩٨ ..... يوليانوس البطرک وهو الحادي عشر من العدد
- ٩٨ ..... تعقيب
- ١٠١ ..... ثانياً: أشهر ثلاث شخصيات عرفها القرن الثاني الميلادي، وكتاباتهم
- ١٠١ ..... (١) العلامة أئيناغوراس (النصف الثاني من القرن الثاني)
- ١٠٢ ..... كتاباته

- ١٠٣ ..... حول مضمون كتاباته
- ١٠٦ ..... أهم أخطائه اللاهوتية
- ١٠٦ ..... (٢) العلامة بنتينوس (+ ١٩٠ م)
- ١٠٨ ..... (٣) العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥ م)
- ١١١ ..... حول كتابات العلامة كليمنس الإسكندري
- ١١٦ ..... اللاهوت عند كليمنس الإسكندري

### الفصل الثاني: بدء انفكاك كنيسة الإسكندرية من الانحصار في

- ١١٧ ..... الهوية اليهودية
- ١١٨ ..... الملامح الرئيسية لكنيسة الإسكندرية في القرنين الأول والثاني
- ١٢٢ ..... تأثير المسيحيين من أصل يهودي على كنيسة الإسكندرية
- هل أن تقسيم المسيحية إلى مسيحية يهودية وأخرى أممية في القرن الأول، قد أصبح يقابله في القرن الثاني وما بعده مسيحية صحيحة المعتقد مقابل الغنوسية؟
- ١٢٨ .....

### الفصل الثالث: دلالات الأسماء المقدسة في الوثائق البردية

- ١٣٧ ..... تمهيد
- ١٣٨ ..... تقسيم الأسماء المقدسة إلى ثلاثة أقسام
- ١٣٩ ..... الافتراضات التي تحاول استيضاح نشأة هذا النظام
- ١٤١ ..... معنى اختيار أسماء بعينها دون غيرها لتكون أسماء مقدسة
- ١٤٦ ..... المغزى اللاهوتي وراء استخدام بعض هذه الأسماء المقدسة
- ١٤٨ ..... مكان نشأة نظام استخدام الأسماء المقدسة
- ١٤٩ ..... نظام الأسماء المقدسة Nomina Sacra في الوثائق، قد أعاد كتابة تاريخ نشأة كنيسة الإسكندرية
- ١٥١ .....

### الفصل الرابع: الغنوسية وعلاقتها بكنيسة الإسكندرية

- ١٥٣ ..... الغنوسية واحدة من أعظم الحركات الفلسفية التي شهدتها
- ١٥٤ ..... التأثير الإنساني
- ١٥٧ ..... هل كانت كنيسة الإسكندرية الناشئة واقعة تحت تأثير الغنوسية؟

- ١٥٨ ..... نظرية العالم باور Bauer ودحضها
- ١٦٧ ..... **الفصل الخامس: الملاح الوثائقية لكنيسة الإسكندرية في القرن الثاني**
- ١٦٨ ..... تمهيد
- ١٦٨ ..... ندرة الوثائق المبكرة في كنيسة الإسكندرية
- ١٦٩ ..... ظهور الأدب الروائي القصير pamphleteering literature
- ١٧٢ ..... أنواع الأدب المحفوظ في البرديات المسيحية في مصر
- ١٧٣ ..... أماكن اكتشاف البرديات في مصر
- ١٧٤ ..... خصائص نصوص البرديات المكتشفة في مصر
- ١٧٤ ..... البرديات المحفوظة في جرار من الفخار، تحوي نصوصاً عامة
- ١٧٧ ..... البرديات التي تحوي غالباً نصوصاً خاصة
- ١٨٠ ..... التحوّل من الكتابة على ورق البردي إلى الكتابة على الرقّوق
- ١٨٣ ..... أقدم مجموعة برديات مسيحية مصرية معروفة حتى الآن
- ١٨٤ ..... النصوص الكتابية
- ١٨٦ ..... النصوص غير الكتابية
- ١٨٦ ..... حول نوع الخط وأسلوب الكتابة في المخطوطات القديمة
- ١٩٠ ..... حول النسخ الذين نسخوا أقدم المخطوطات
- ١٩٤ ..... رسالة برنابا أقدم كتابات مسيحية مصرية تصل إلينا كاملة
- ١٩٦ ..... حول الكتابات الأبوكريفية المبكرة التي عُرفت في مصر
- ١٩٩ ..... إنجيل العبرانيين، وإنجيل المصريين
- ٢٠١ ..... **الفصل السادس: الملاح الليتورجية لكنيسة الإسكندرية في القرن الثاني**
- ٢٠٢ ..... تمهيد
- ٢٠٣ ..... مشكلة تحديد يوم عيد الفصح
- ..... الملاح الليتورجية لكنيسة الإسكندرية في كتابات العلامة
- ٢٠٥ ..... كليمنديس الإسكندري
- ٢١٦ ..... إشارات ليتورجية في سيرة الأنبا ديمتريوس الكرام (١٨٩-٢٣١ م).
- ٢١٨ ..... العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤ م)



## البَابُ الثَّالِثُ: القرنُ الثَّالِثُ المِيلادِي

## الفَصْلُ الأوَّلُ: أبرزُ شخصيَّاتِ القرنِ الثَّالِثِ المِيلادِي وحديثُ عن

- ٢٢١ ..... مدرسة الإسكندريَّة
- ٢٢٢ ..... العلامَّة أوريجانوس
- ٢٢٣ ..... مدرسة الإسكندريَّة الوثنيَّة
- ٢٢٥ ..... مدرسة الموعوظين في الإسكندريَّة
- ٢٤٦ ..... البابا ياروكلاس، أوَّلُ من لُقِّبَ بلقبِ بابا
- ٢٤٨ ..... تعقيبُ علي مغزي وجودِ إِبَارشِيَّاتٍ كثيرةٍ في زمانه
- ٢٤٨ ..... البابا ديونيسيوس الكبير، أوَّلُ بابا وصلتنا كتاباته
- ٢٥١ ..... تأثيرُ كنيسة الإسكندريَّة على الكنائس الأخرى
- ٢٥٣ ..... البابا مكسيموس الـ ١٥
- ٢٥٣ ..... ثيؤغنسطس
- ٢٥٤ ..... بيوريوس
- ٢٥٥ ..... البابا ثيؤناس الـ ١٦
- ٢٥٦ ..... بدءُ ظُهورِ الكنائس على سطح الأرض

## الفَصْلُ الثَّانِي: نموُّ وخصائصُ كنيسةِ مصرِ في الثَّلاثَةِ قرونِ الأوَّلِي

- ٢٦٢ ..... تمهيد
- ٢٦٢ ..... الوثائق القديمة تدل على انتشار المسيحيَّة في ربوع مصر
- ٢٦٤ ..... بدءُ التَّحوُّلِ من اليونانيَّة إلى القبطيَّة في أنحاء مصر
- ٢٦٨ ..... أقدمُ قراءات فصحيَّة في مصر معروفة لدينا حتى الآن
- ٢٦٩ ..... انتشار الكرازة بالمسيحيَّة في أرجاء مصر باللُّغة الوطنيَّة للبلاد
- ٢٧٤ ..... ملخَّصُ خطِّ سيرِ المسيحيَّة وانتشارها في ربوع مصر

## الفَصْلُ الثَّالِثُ: الملامحُ اللَّيتورجيَّة لكنيسة الإسكندريَّة في القرنِ الثَّالِثِ

- ٢٧٨ ..... الملامحُ اللَّيتورجيَّة لكنيسة الإسكندريَّة في زمن العلامَّة أوريجانوس
- ٢٨٥ ..... مقتطفات من الكتابات اللَّيتورجيَّة للعلامَّة أوريجانوس
- ٣٠١ ..... قاعدة الإيمان في بواكير حياة الكنيسة في زمن العلامَّة أوريجانوس

- ٣٠٥ ..... كتاب "الترتيب الكنسي المصري"
- ٣٠٦ ..... الملاحح الليتورجية لكنيسة الإسكندرية في زمن البابا ديونيسيوس
- ٣١١ ..... تكريم الشهداء وكرامتهم في الكنيسة
- ٣١٢ ..... مشكلة إعادة معمودية الهرطقة
- ٣١٧ ..... امتداد ريادة كنيسة الإسكندرية في كل أرجاء العالم المسيحي
- ٣١٩ ..... حديث عن التوبة، وصلاة التحليل، وأهمية الإفخارستيا
- ٣٢٠ ..... أول إشارة عن مؤلف لبعض التسايح في كنيسة الإسكندرية
- ٣٢٢ ..... الرسائل الفصحية
- ٣٢٤ ..... قوانين البابا ديونيسيوس الإسكندري

الملاحح: الرسائل القانونية لبعض بطاركة الكنيسة القبطية  
والتي تعترف بها الكنائس الشرقية

- ٣٢٧ ..... تمهيد
- الملحق الأول: الرسالة القانونية للبابا ديونيسيوس الكبير البطريك  
الرابع عشر إلى الأسقف باسيليدس
- ٣٢٩ ..... تمهيد
- ٣٣٠ ..... (١) نص القانون الأول
- ٣٣٥ ..... ملخص القانون الأول
- ٣٣٥ ..... (٢) نص القانون الثاني
- ٣٣٦ ..... ملخص القانون الثاني
- ٣٣٦ ..... (٣) نص القانون الثالث
- ٣٣٦ ..... ملخص القانون الثالث
- ٣٣٦ ..... (٤) نص القانون الرابع
- ٣٣٧ ..... ملخص القانون الرابع
- ٣٣٧ ..... نص ختام الرسالة
- ٣٣٨ ..... ملخص ختام الرسالة

### المُلحق الثاني: الرِّسالة القانونيَّة للبابا بطرس الشَّهيد البطريرك السَّابع

- ٣٣٩ ..... عشر عن التَّوبة
- ٣٤٠ ..... تمهيد
- ٣٤١ ..... نصُّ القوانين

### المُلحق الثالث: الرِّسائل القانونيَّة للبابا أثناسيوس الرِّسولي

- ٣٤٥ ..... تمهيد
- ٣٤٦ ..... (١) رسالة إلى آمون - Epistula ad Amun
- ٣٤٧ ..... النَّصُّ الكامل لرسالة البابا أثناسيوس الرِّسولي إلى الأب آمون
- ٣٥١ ..... خلاصة الرِّسالة إلى آمون
- ٣٥٢ ..... (٢) رسالة إلى روفينيانوس - Epistula ad Rufinianum
- ٣٥٣ ..... خلاصة الرِّسالة إلى روفينيانوس
- ٣٥٣ ..... (٣) الرِّسالة الفصحية التاسعة والثلاثون
- ٣٥٦ ..... ما تبقى من النَّصِّ الكامل للرِّسالة الفصحية رقم (٣٩)

### المُلحق الرَّابع: الإجابات القانونيَّة للبابا تيموثاوس الأوَّل البطريرك

- ٣٥٩ ..... الثاني والعشرين
- ٣٦٠ ..... تمهيد
- ٣٦٢ ..... النَّصُّ الكامل للإجابات القانونيَّة للبابا تيموثاوس الأوَّل

### المُلحق الخامس: قوانين البابا ثاؤفيلس البطريرك الثالث والعشرين

- ٣٦٨ ..... تمهيد
- ٣٦٨ ..... قرارات قانونية - Edicta canonica
- ٣٦٨ ..... (١) حينما يقع عيد الثيؤفانيا يوم أحد
- ٣٦٩ ..... (٢) توجيهات لقبول آمون
- ٣٦٩ ..... (٣) عن الذين يدعون أنفسهم بالأنقياء
- ٣٧٠ ..... (٤) عن أغاثون الأسقف - Agathon episcopo
- ٣٧٠ ..... (٥) تذكارات الأسقف - Menae episcopo

- المراجع:
- ٣٧١ .....  
٣٧٢ ..... أولاً المراجع الأجنبية  
٣٧٣ ..... ثانياً: المراجع العربية

## مقدمة عامة

إنَّ الغموض الذي يكتنف التاريخ المبكر لكنيسة الإسكندرية حتى بدايات القرن الثالث الميلادي، يمثل تحدياً واضحاً للباحثين والدارسين. وتُتضح طبيعة هذا التحدي إذا تذكّرنا أنَّ مدينة الإسكندرية كانت أكبر مدينة يونانية في العالم آنذ، بل ومركز العلم فيه، فضلاً عن أنَّها كانت تضمُّ أكبر جالية يهودية خارج فلسطين. وفي مقابل هذه الاعتبارات، تُفاجأ بمصادر شحيحة نادرة لمصادر ووثائق كنيسة الإسكندرية في هذه الفترة المبكرة من تاريخها، وهي المصادر التي فحصها المؤرِّخ يوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م) في القرن الرابع الميلادي، وأعاد فحصها ودرسها مؤرِّخون عظماء، لا يمكن نسيان فضلهم، وكان من أهم هؤلاء المؤرِّخين، العالم أدولف هارناك Adolf Harnack (١٨٥١-١٩٣٠م)<sup>(١)</sup>.

وإذا نظرنا نظرة فاحصة إلى الوثائق والبرديات التي توفرت لدينا، والتي اكتُشفت مؤخراً في مصر، وتعود إلى الثلاثة قرون الأولى للمسيحية، فسوف نتعجب أيما تعجب من قلَّتها ونُدرتها. فالرسائل والوثائق القليلة

---

١- أدولف هارناك Adolf Harnack هو مؤرِّخ كنسي ولاهوتي ألماني الجنسية، وهو أشهر عالم آبائي في زمانه. وصار هو المرجع الأساسي في الأدب المسيحي المبكر، وخصوصاً في فترة ما قبل مجمع نيقية المسكوني الأول سنة ٣٢٥م. وهو صاحب مؤلفات غزيرة لا زالت مراجع أساسية للباحثين.

Cf. Cross, F.L. & Livingstone, E.A. The Oxford Dictionary of The Christian Church (ODCC), (2<sup>nd</sup> edition), 1988, p. 620.

التي جمعها العالم بيل<sup>(٢)</sup> H.I. Bell ونشرها سنة ١٩٤٤م، وتلك التي حصرها العالم الأب هولست<sup>(٣)</sup> J. Van. Haelst ونشرها سنة ١٩٧٠م وهي التي تغطي السنوات من سنة ٢٧٠م إلى سنة ٣٥٠م، مع القليل الذي يمكن إضافته، قد جاء إلى النور في السنوات الأخيرة فحسب.

والكتاب الذي بين يديك، هو محاولة تأريخ لكنيسة الإسكندرية في هذا العصر المبكر من تاريخها، وذلك من خلال شهادة الأدب المسيحي المحفوظ في المخطوطات القديمة المكتشفة في مصر، سواء كانت مخطوطات تختص بالأسفار الكتابية، أو بأية كتابات أخرى. فهو إذاً تأريخ لا يعتمد على روايات، بل يعتمد أساساً على وثائق قديمة وصلت إلينا، سواء كانت من البرديات papyrus أو الجلد المدبوغ leather أو الرقوق parchment .

ومن جهة أخرى، يتطرق الكتاب الذي بين يديك للحديث عن شكل الحياة المسيحية في كنيسة الإسكندرية قبل وصول القديس مرقس الرسول إليها، طبقاً للوثائق القديمة التي وصلت إلينا. ثم فحص أول وثيقة معروفة حتى الآن، تشرح كرازة القديس مرقس الرسول لمصر بالمسيحية، وهي الوثيقة المعروفة باسم "أعمال مرقس".

أملاً بذلك، أن ألقى بعض الضوء على جانب لم ينل حظه كاملاً في التأريخ المبكر لكنيسة الإسكندرية وثنائياً ولتورجياً في هذه الحقبة المبكرة جداً من تاريخها، ولاسيما لقارئ العربية، إذ ظل القارئ القبطي العزيز بحاجة إلى المزيد لهذه الجزئية من تاريخ كنيسته، مدوناً بالعربية.

2- H.I. Bell, *Evidences of Christianity in Egypt during the Roman period*, in HTR., 37 (1944).

3- J. Van. Hoelst, *Les sources papyrologiques concernant l'Eglise en Egypte à l'époque de Constantin*, in Proc. XII, Int. Congress of Papyrology, Toronto, 1970.

وفي نهاية الكتاب، أوردتُ ملاحق تُختص بنصوص قوانين خمسة من بطاركة الكنيسة القبطية، عاشوا ما بين القرن الثالث والسادس للميلاد. وهي القوانين التي تعترف بها معنا، الكنائس الشرقية، ولاسيما الكنائس البيزنطية. وهي قوانين تفيدنا بصفة خاصة في دراستنا الطقسية التي هي الهدف الأساسي الذي أصبو إليه دوماً.

ضارعاً إلى ربي يسوع المسيح، عريس الكنيسة ورأس خلاصها، أن يبارك العمل لمجد اسمه القدوس المبارك، بشفاعته والدة الإله القديسة الطاهرة مريم، والقديس يوحنا المعمدان، وكل مصاف السمائيين، وصلوات سادتي الآباء الرسل، وكل طغمة الشهداء والقديسين، وصلوات قداسة البابا شنوده الثالث بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية، وآبائي المطارنة والأساقفة والقمامصة والقسوس المكرمين، وإخوتي الشمامسة والرهبان، وكل طغمة العلمانيين المباركين.

ولإنهنا كلُّ المجد في كنيسته المقدسة من الآن وإلى الأبد آمين.





الباب الأوّل

القرن الأوّل الميلادي



الفصل الأوّل  
المسيحيّة في مصر  
قبل وصول القديس مرقس الرّسول إليها

## تمهيد

إنَّ الغموض الذي يكتنف التاريخ المبكر للكنيسة المسيحية في مصر في القرنين الأوَّل والثاني للميلاد، والذي لا تنقش غمامته إلاَّ مع بداية القرن الثالث الميلادي، يشكِّل أمامنا تحدياً واضحاً. ولكن بدراسة المخطوطات البرديَّة، وحالة المجتمع، والعقائد السائدة، التي عرفتها المسيحية المصريَّة المبكرة، يمكن أن يفتح أمامنا مجال خصب للتعرف على بواكير الحياة المسيحية في مصر. هذا ما يقوله العالم كولين روبرتس Colin H. Roberts أحد أبرز علماء البرديات في عالمنا المعاصر<sup>(١)</sup>.

وفي الحقيقة فإنَّ الوثائق البرديَّة، لا تستطيع أن تمدِّنا بأيِّ أحداث مفيدة عن تلك الفترة المبكرة لكنيسة مصر، أي فيما قبل القرن الثالث الميلادي. وبمعنى آخر، فإنَّ الأحداث الوثائقية للمسيحية في مصر، تبدأ مع بدايات القرن الثالث الميلادي فحسب. وتجدُّ الإشارة هنا، إلى أنه ليست هناك أيُّ برديات على الإطلاق تعود إلى القرن الأوَّل الميلادي.

ولقد أولى العالم روبرتس Colin H. Roberts جُلَّ اهتمامه بأقدم البرديات المصريَّة التي أشارت إلى المسيحية المبكرة في مصر. وإنَّ النتائج التي توصل إليها في هذا المجال، هي ذات أهمية بالغة. فلقد استطاع أن يغيِّر

1. Colin H. Roberts, *Manuscript, Society and Belief in Early Christian Egypt*, Oxford University Press, 1979, p. 1 ; Birger A. Pearson, *Earliest Christianity in Egypt, Some Observations*, in *The Roots of Egyptian Christianity*, Editors, Birger A. Pearson ; James E. Goehring, U.S.A., 1986, p. 132.

نظريّة العالم والتر باور Walter Bauer تغييراً كلياً بعد فحصها ونقدها، وهي النظرية التي انتشرت في الأوساط العلميّة الدنيّة انتشاراً واسعاً، والتي كانت تقول بأنّ نوع المسيحية المبكرة في مصر كان هرطوقياً، وبالتحديد غنوسياً. وهو ما سأشرحه بالتفصيل فيما بعد.

لقد قام روبرتس Colin H. Roberts بمسح شامل لبرديات محفوظة في مصر تعود إلى القرن الثاني الميلادي. وسلط الضوء على عشر برديات كتابية منها<sup>(٢)</sup>، وأربع أخرى غير كتابية<sup>(٣)</sup>. ولم يظهر من بين هذه البرديات العشر سوى برديّة واحدة بها ميل نحن الغنوسية، وهي ”إنجيل توما“، وحتى هذا الميل الغنوسي مُبهم وغير واضح<sup>(٤)</sup>.

لقد ألفت دراسات روبرتس Colin H. Roberts ضوءاً جديداً على أصول المسيحية في مصر. وهو يخلص إلى القول بأنّ الدلائل الكثيرة تشير إلى أن كنيسة أورشليم هي أقدم مصدر للكنيسة المسيحية في مصر<sup>(٥)</sup>. وأنّ المسيحية المبكرة في مصر، كانت يهودية الأصل. وفضلاً عن ذلك فإنّ المسيحيين الأوائل في مصر، نُظر إليهم كيهود أو كجماعة متميّزة مستقلة ذات عقائد خاصة. وهذا واضح بالطبع، لأنّ الإسكندرية كانت موطن أكبر جالية يهودية في العالم القديم، ومن هذه الجالية، خرج

٢- سبع برديات منها من العهد القديم، وثلاث من العهد الجديد، وهي إنجيل يوحنا، وإنجيل متى، ورسالة بولس الرسول إلى تيطس.

٣- وهي: (١) إنجيل إيجيرتون *Egerton Gospel* (٢) إنجيل توما *Gospel of Thomas* (وُجد في برديّة في مدينة أكسيرينخوس البهنسا الحالية) P. Oxy. ١، ٢٦-٢٨ (٣) كتاب ضد الهرطقات لإيريناؤس *Irenaeus, Adversus Haereses*.

4- Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 132, 133 ; Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 52.

٥- سأعود إلى تأكيد هذه الحقيقة مرّة أخرى، عند الحديث عن الملامح الليتورجية لكنيسة الإسكندرية في القرن الثاني الميلادي.

المبشرون المسيحيون الأوائل، ليكرزوا بالمسيحية في أرجاء مصر.

ولكن الحقيقة التي يلزم أن تبقى ماثلة أمام أذهاننا - وحتى اليوم - هي أن تاريخ المسيحية في مصر قبل زمن الإمبراطور هديران (١١٧-١٣٨م)، مُبهم. ولقد كان العالم روبرتس Colin H. Roberts على حق حينما يذكر أن معرفتنا بالغنوسية في مصر قبل زمن هديران<sup>(٦)</sup>، هي أكثر غموضاً من المسيحية غير الغنوسية فيها<sup>(٧)</sup>.

### نشأة المسيحية في مصر في وسط يهودي

يرى كثيرٌ من العلماء أمثال العالم روبرتس Colin H. Roberts ، العالم دانييلو Daniélou ، العالم هورنشو Hornschuh ، والعالم كوستر Koester أن المسيحية في كنيسة مصر كانت في بدايتها ذات خاصية مسيحية يهودية A Jewish-Christian Character . وطبقاً لهذه الرؤية، فعلى أن نتحدث عن نشأة المسيحية في مصر في وسط يهودي أولاً<sup>(٨)</sup>.

ويُفترض في المسيحية اليهودية، أنها شكلٌ من أشكال المسيحية وثيق الصلة باليهودية، من جهة اللغة والأفكار واللاهوت. وإن خصائص هذه اللغة وهذه الأفكار وهذا اللاهوت، تتغير طبقاً لشكل اليهودية التي تبناها وطوعها المسيحيون في أي منطقة يعيشون فيها<sup>(٩)</sup>.

إن ما يؤكد الإجماع على وجود تأثير طاع لليهودية على المسيحية

٦- أي أثناء فترة ظهور الغنوسيان باسيلدس Basilides وفالنتينوس Valentinus

7- Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 134.

8- A.F.J. Klijn, *Jewish Christianity in Egypt*, in *The Roots of Egyptian Christianity*, Editors, Birger A. Pearson ; James E. Goehring, U.S.A., 1986, p. 162.

9- A.F.J. Klijn, *op. cit.*, p. 162.

النَّاشئة في مصر، هو بعضٌ من التَّقاليد المبكرة عن أصل المسيحية في مصر وتطورها المبكر.

فأقدم مصدر معروف لدينا، هو ما ورد في سفر أعمال الرُّسل<sup>(١٠)</sup>، حيث نقرأ عن رَجُلٍ يهودي إسكندري الجنس، يصفه سفر الأعمال بأنه فصيحٌ مقتدر في الكُتُب، حارٌّ بالروح<sup>(١١)</sup> يُدعى أبولُّوس Apollos وهو أحد المساعدين لبولس الرسول في أفسس وكورنثوس، فهذا وفد إلى أفسس قادماً من الإسكندرية، وكان يُعلِّم في أفسس عن أمور تختص بيسوع، عارفاً معمودية يوحنا المعمدان فقط، فأخذه إليهما أكيلًا Aquila وبرسكلاً Priscilla وكانا مسيحيين، وشرحا له طريق الربِّ بأكثر تدقيق. والقراءة المدققة لسفر أعمال الرُّسل (أعمال ١٨: ٢٥) تؤكد أنَّ هذا الرَّجُل كان قد تعلَّم الكلمة في وطنه<sup>(١٢)</sup>. وهو ما يُفترض معه وجود مسيحيين من أصل يهودي في الإسكندرية في أواخر الأربعينيات أو أوائل الخمسينيات من القرن الأوَّل الميلادي. أيَّ في فترة حُكم الإمبراطور كلوديوس (٤١-٥٤م).

وهذه النقطة لا يمكن أن نعبر عليها بسهولة، لأنَّ هذا الأمر يوضِّح لنا أنَّ جماعة من اليهود في الإسكندرية، كانوا قد أيقنوا بأنَّ يسوع هو المسيح، بعد أن فحصوا الكُتُب، لكن بدون أن يعرفوا شيئاً عن الروح القدس وحلوله يوم الخمسين. إذ آمنوا بالمسيح أنه المسمَّى، بل وخرج أناسٌ منهم ليكرزوا بهذا الإيمان خارج وطنهم، كما فعل أبولُّوس في أفسس. فكيف يحدث هذا، وحلول الروح القدس يوم الخمسين قد شهدته يهود من

١٠- أعمال ١٨: ٢٤، ٢٥

١١- انظر: أعمال ١٨، ١٩

الإسكندرية وعادوا إلى وطنهم يخبرون بما رأوه وسمعوه؟ بل إن خبر حلول الروح القدس كان قد انتشر في كل العالم، إذ عاينه جاليات يهودية منتشرة في كل أنحاء الأرض، تتكلم خمس عشرة لغة على الأقل<sup>(١٣)</sup>.

والعجيب حقاً، أن يكون أبولوس رجلاً حاراً بالروح، وهو لم يقبل بعد الروح القدس. والغريب أيضاً أن مجيء أبولوس إلى أفسس كان حوالي سنة ٥٥ ميلادية أو قبلها بقليل، أي بعد مضي أكثر من عشرين سنة على حادثة حلول الروح القدس في يوم الخمسين، ولم يعلم بها أبولوس ولا الرجال الذين بشرهم بالمسيح، وآمنوا به على يديه<sup>(١٤)</sup>.

هنا إشارة ضمنية عن تأثير وفعل كرازة يوحنا المعمدان، وكيف مهدت فعلاً الطريق للإيمان بالمسيح، ليس في فلسطين وحدها، بل تعدتها إلى أقطار أخرى أيضاً. وهنا أيضاً إشارة هامة عن يهود من الإسكندرية آمنوا بالمسيح قبل أن يسمعوا بخبر حلول الروح القدس يوم الخمسين. مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن البعض منهم كانوا على صلة بجماعة "الأسينيين"<sup>(١٥)</sup>.

١٣- أعمال ٩:٢-١١

١٤- أعمال ١٩:٧

١٥- لم تذكر جماعة الأسينيين في الكتاب المقدس، ولا في التلمود اليهودي، وقد أشار إليها كل من فيلو (١٣ق.م-٥٠ب.م) ويوسيفوس (٣٧-١٠١م) وبليني الأكبر. والاسم يعني "الأتقياء". ويبدو أنها جماعة تكوّنت في القرن الثاني قبل الميلاد، وظلت قائمة حتى القرن الثاني الميلادي. وهي لم تخرج عن حدود فلسطين. فقد سكنت وادي قمران في فلسطين. وفي بدء ظهور المسيحية، كان عددهم أربعة آلاف شخص، وكانت حياتهم الشخصية منظمة للغاية، وكانوا يعيشون حياة مشتركة. أمّا طالب الانضمام إليهم فكان يبقى ثلاث سنوات تحت التعليم والاختبار، مع إدلاء قسم الطاعة، والحفاظ على سرية الجماعة. ويظن أن تفاصيل عبادتهم وتعليمهم أتت من مصادر غير يهودية. والاعتقاد بأن القديس يوحنا المعمدان كان من بينهم، هو اعتقاد قابل للاحتمال.



لقد أردتُ أن أوضح أن الإيمان بالمسيح بين أناس من الجالية اليهودية التي عاشت في الإسكندرية، قد حدث فعلاً قبل حلول الروح القدس يوم الخمسين، أو على الأقل قبل أن يعرف هؤلاء بهذا الحدث الجلل. وهكذا يتأكد لدينا، أنه طبقاً لسفر الأعمال، فإن المسيحيين من أصل يهودي، كانوا يعيشون في مصر في تاريخ مبكر جداً<sup>(١٦)</sup>.

ويقول العالم بيرجر بيرسون B.A. Pearson : ”إن العهد الجديد يصمت تماماً عمّن يكون المنظم الأول لكنيسة الإسكندرية في هذه الفترة المبكرة جداً من تاريخها“<sup>(١٧)</sup>. ولكن الحقيقة، فإن هذه المسيحية الناشئة في مصر في شكل جماعات، لا نستطيع أن نسميها كنيسة بالمعنى الدقيق لمفهوم الكنيسة. بل كانت حتى ذلك الوقت، اجتهادات - حتى ولو كانت جماعية - لم تأخذ صبغتها القانونية، ككنيسة مبنية على أساس الرسل، حيث لم يكن القديس مرقس الرسول قد وفد إلى الإسكندرية ليؤسس كنيستها، لينقل إليها سر الكهنوت المقدس بوضع اليد، لإقامة أساقفة يعاونهم القسوس والشمامسة، ويحملون الأمانة المقدسة المسلمة إليهم عبر زمان غربة الكنيسة على الأرض.

ولقد كان لهذه الجماعة المسيحية الأولى ذات الأصول اليهودية، تأثير في تشكيل جانب من الحياة الليتورجية لكنيسة الإسكندرية، بل وعلى الكنيسة المسيحية في كل العالم. فإن تأثير أفكار فيلو - وهو أحد الشخصيات المعروفة في الجالية اليهودية بالإسكندرية - صارت قوية فيما

Cf. ODCC, 2nd edition, p. 471.

16- A.F.J. Klijn, *op. cit.*, p. 163.

17- Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 136.

بعد على مدرسة الإسكندرية اللاهوتية<sup>(١٨)</sup>، وأن أسلوبه الرمزي في تفسير الكتب المقدسة، والبحث عن المعنى المختبئ وراء الكلمات، قد انتشر في كل أنحاء العالم المسيحي، لاسيما في كنيسة الإسكندرية، عبر العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م)، ومن بعده العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م)، وغيرهما.

ومن جهة أخرى، كان ليهود الإسكندرية والقيروان مجمع خاص بهم في أورشليم<sup>(١٩)</sup>. وكانت الصلة بين الإسكندرية وأورشليم متصلة على الدوام. لأنه بعد أن آمن بعض من هؤلاء اليهود بالمسيحية وتعمّدوا، لم يكن من السهل أن تنقطع الصلة بين عوائدهم اليهودية القديمة وديانتهم الجديدة. بل إننا نرى أن هذه هي الجذور الأولى التي ربطت بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة أورشليم، حتى أصبحت كنيسة الإسكندرية هي الحارس الأمين لكثير من الطقوس القديمة لكنيسة أورشليم، وحتى اليوم.

وهناك وثيقة قديمة جداً، تُعدُّ أحد أهم الوثائق التي تُلقَى ضوءاً ولو قليلاً على وجود مسيحيين في مصر بعد صعود السيد المسيح إلى السماء، بما لا يتعدى عشر سنوات فقط. ونقصد بهذه الوثيقة، تلك الرسالة الشهيرة التي أرسلها الإمبراطور كلوديوس (٤١- ٥٤م) إلى الإسكندرانيين، والمؤرخة بتاريخ ١٠ نوفمبر سنة ٤١م ولاسيما الفقرة التي تقول:

”... ولا أن يستقدموا (أي اليهود الذين يعيشون في الإسكندرية) أو يزوروا يهوداً قادمين من سوريا أو مصر، وإلا فساكون مدفوعاً إلى شك أكبر من جهتهم. وإذا لم يطيعوا، فسوف أتعبهم في كل مكان كمثري إزعاج لكل العالم“. فلاحتمال القائم هنا في عبارة ”يهوداً“

قادمين من سوريا“، هو أنها إرساليات مسيحية يهودية وفدت من فلسطين إلى مصر. وبرغم ذلك فليس لدينا تأكيدات، يمكن أن نقطع بها في هذا الشأن. وعلى أي حال، مهما كان معنى خطاب الإمبراطور كلوديوس، فمن الواضح فيه أن الإرساليات المسيحية المبكرة التي وفدت إلى الإسكندرية ربما كانت يهوداً مؤمنين بالمسيحية قادمين من سوريا، أي من فلسطين، وخصوصاً من أورشليم<sup>(٢٠)</sup>.

ولا نغفل هنا ما يشير إليه سفر أعمال الرسل، أن يهوداً من الذين سمعوا عظة بطرس الرسول، كانوا قد وفدوا إلى أورشليم قادمين من مصر وأجزاء من ليبيا، لاسيما من سيرين (أو قيرين) Cyrene<sup>(٢١)</sup>. والذين كانوا يقاومون إسطفانوس - الهليني - أول شهداء المسيحية، كانوا هم أيضاً يهوداً من سيرين Cyrene والإسكندرية<sup>(٢٢)</sup>. وإن كان الموطن الأصلي للشهيد إسطفانوس وخمسة من مساعديه لم يُفصح عنه، لكنهم كلهم كانوا يهوداً يحملون أسماء يونانية<sup>(٢٣)</sup>، وربما جاء بعضهم من الإسكندرية<sup>(٢٤)</sup>.

وعلى أي الحالات، فإن حركة المرور بين أورشليم والإسكندرية كانت واسعة شاملة في كلا الاتجاهين. ويمكن لنا بكل سهولة أن نفترض أن بعضاً من الإسكندريين اليهود الذين تحوّلوا إلى المسيحية في فلسطين، قد عادوا إلى وطنهم، لينشروا الإيمان الجديد. وربما كان من بين هؤلاء، يهود تشبثوا من وطنهم أورشليم، بسبب الاضطهاد العظيم الذي حصل للكنيسة التي في

20- Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 134.

٢١- انظر: أعمال ١٠:٢

٢٢- انظر: أعمال ٩:٦

٢٣- انظر: أعمال ٥:٦

٢٤- نيقولاوس فقط هو المهتدي إلى اليهودية، وكان قد قَدّم من أنطاكية.

أورشليم، فجالوا مبشرين بالكلمة<sup>(٢٥)</sup>. إن الأحداث هنا لا تشفي الغليل، بسبب أن كاتب سفر أعمال الرسل كان يركّز جُلَّ اهتمامه ناحية آسيا الصغرى واليونان وروما، أكثر من اهتمامه بمصر والإسكندرية<sup>(٢٦)</sup>.

وهكذا انحصرت المسيحية في مصر في بداياتها المبكرة جداً - قبل مجيء القديس مرقس الرسول إليها - بين جماعات من اليهود آمنوا بالمسيح.

### وصف للحياة المسيحية في بواكيرها الأولى في مصر

إن مجموعة الكتابات التي استقر التقليد على نسبتها إلى كنيسة مصر، لا تعطينا أيَّ أساسيات لوصف المسيحية المبكرة في مصر، لأن محتوياتها خارجية. وهذا يفسّر لنا الحيرة التي لا زلنا فيها حتى اليوم بخصوص المسيحية المبكرة في كنيسة مصر. ويمكننا أن نخلص إلى نتيجة مفادها، أن كثيراً من الكتابات الشعبية في مصر، تُظهر لنا بعض التأثيرات اليهودية المسيحية، ولكن ذلك لا يعطينا صورة دقيقة عن الوضع الحقيقي لكنيسة مصر في بواكيرها الأولى<sup>(٢٧)</sup>. ويشير العالم روبرتس Colin H. Roberts إلى أن أقدم الوثائق المسيحية في مصر في تلك الفترة المبكرة، لا يمكن تمييزها عن نظيرتها اليهودية<sup>(٢٨)</sup>.

إلا أننا نتقابل مع وصف لشكل ومضمون المسيحية في نشأتها المبكرة في مصر كما وردت في كتاب "تاريخ الكنيسة" ليو سايبوس

26. Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 135.

27. A.F.J. Klijn, *op. cit.*, p. 167.

28. Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 134.

القيصري<sup>(٢٩)</sup> (٢٦٠-٣٤٠م)، نقلاً عما يصفه فيلو<sup>(٣٠)</sup> الفيلسوف اليهودي (١٣ق.م-٥٠م) في كتابه "حياة التأمّل"، أو "في المتضرّعين" عن جماعة من الأتقياء، يدعوهم "نساك مصر" أو "عباد مصر". ويقول بأنهم قد انتشروا في كلّ مديرياتها، ولاسيما في نواحي الإسكندرية. وبعد أن يصف لنا حياتهم النسيكية وبيوتهم التي خصّصوا فيها مكاناً مقدّساً للصلاة دعوه "مقدّساً"، يتحدث عن أماكن اجتماعهم التي انتشرت هنا وهناك، وعن الأغاني والترانيم التي ألفوها، ليرتلوها لله في اجتماعاتهم بكلّ أنواع الأوزان. على أن فيلو لا يدعوهم "مسيحيين"، ولكن الأوصاف التي يُطلقها عليهم، ترجّح أنهم كانوا مسيحيين، كما يؤكّد ذلك أيضاً يوسابيوس القيصري.

فيقول يوسابيوس القيصري نقلاً عن فيلو (٢٦٠-٣٤٠م):

"يبدو أنهم كانوا من أصل عبراني، ولذلك كانوا يراعون معظم عوائد الأقدمين حسب طريقة اليهود ... إن هؤلاء الرجال كانوا يُدعون أطباء، وأنّ النساء المرافقات لهم تُدعين طبيبات<sup>(٣١)</sup> ... كانوا يعالجون ويشفون نفوس الذين كانوا يأتون إليهم، بإسعافهم وإنقاذهم من الشّهوات الفاسدة، أو من هذه الحقيقة، أنهم كانوا يعبدون الله ويخدمونه

٢٩- كتب يوسابيوس القيصري تاريخاً للكنيسة في عشرة كتب، بدءاً من تجسّد الكلمة وحتى سنة ٣٢٤م وهو العمل الذي لأجله نال لقب "أبو التاريخ الكنسي".  
٣٠- اشتهر فيلو المؤرّخ والفيلسوف اليهودي الإسكندري (١٣ق.م-٥٠م) في عهد الإمبراطور كاليغولا (٣٧-٤١م)، حيث ألف تفاسير كثيرة على الأسفار المقدّسة، بالإضافة إلى مؤلّفات فلسفيّة وتاريخيّة ودينيّة.

٣١- الأصل اليوناني لكلمتي "أطباء وطبيبات" Therapeutai يعني معنيين: "أطباء"، و"عابدين".

بطهارة وإخلاص. وعلى أي حال فهو<sup>(٣٢)</sup> يشهد أنهم أول كل شيء قد تركوا ممتلكاتهم. ويقول: إنهم عندما يبدأون طريقة الحياة الفلسفية يتنازلون عن كل ممتلكاتهم لأقاربهم. وبعد أن يبذوا كل اهتمامات الحياة، يخرجون من المدن، ويقطنون الحقول الموحشة والحدائق، عالين تماماً أن الاختلاط بمن يختلفون عنهم في المشارب، عديم الجدوى ومُضِر. والمرجح أنهم فعلوا هذا في ذلك الوقت تحت تأثير إيمان ملتهب بسيرة الأنبياء ...

وبعد ذلك يضيف الوصف التالي: 'وفي كل مكان في العالم، يوجد هذا الجنس ... على أن هذا الجنس، يكثر في مصر بنوع أخص، في كل مديرياتها<sup>(٣٣)</sup>، لاسيما نواحي الإسكندرية. وأصبح أفضل الناس من كل ناحية يهاجرون كما إلى مستعمرة الأطباء، إلى موقع مناسب جداً يُشرف على بحيرة مريوط، فوق تل منخفض ممتاز الموقع، بسبب توفر الأمن فيه وجودة مناخه.'

وبعد ذلك بقليل، بعد أن يصف نوع بيوتهم، يتحدث كما يلي عن كنائسهم التي كانت منتشرة هنا وهناك. 'في كل بيت يوجد مكان مقدس، يدعى قدساً وديراً، حيث يؤدون أسرار الحياة الدينية في عزلة تامة. وهم لا يدخلون إليه أي شيء، لا طعاماً ولا شراباً، ولا أي شيء يتصل بحاجيات الجسد، بل الشرائع فقط، وأقوال الأنبياء الحية، والترانيم، وغيرها، مما يساعد على كمال معرفتهم وتقواهم ... وكل الفترة من الصباح إلى المساء، هي وقت رياضة (روحية) لهم، لأنهم يقرأون الكتب المقدسة، ويفسرون فلسفة آباؤهم بطريقة رمزية، معبرين الكلمات

٣٢- يقصد به فيلو الفيلسوف اليهودي في كتابه السابق ذكره.

٣٣- كانت مصر - عدا مدينتي الإسكندرية وبتولمايس - تنقسم إلى ٣٦ مديريةية (محافظة).

المكتوبة رموزاً لحقائق خفية، أعطيت في صورة غامضة. ولديهم أيضاً كتابات من القدماء مؤسسي جماعتهم، الذين تركوا آثاراً كثيرة رمزية. وهؤلاء يتخذونهم قدوة لهم، ويقلدون مبادئهم.

والمرجح جداً أن مؤلفات القدماء - التي يقول إنها كانت عندهم - هي الأناجيل وكتابات الرسل، وربما تفسير بعض النبوءات القديمة، كما تتضمنه الرسالة إلى العبرانيين، والكثير من رسائل بولس.

وأيضاً يكتب كما يأتي عن المزامير الجديدة التي صنّفوها: 'وهكذا لا يقضون وقتهم في التأمّلات فحسب، بل أيضاً يؤلّفون الأغاني والترانيم لله بكل أنواع الأوزان والألحان. ولو أنهم يقسمونها بطبيعة الحال إلى مقاييس مختلفة ...

ولا يتناول أحدهم طعاماً أو شرباً قبل غروب الشمس، لأنهم يعتبرون الفيلسوف كعمل خليق بالثور، أما الاهتمام بمجاسيات الجسد، فلا يتفق إلا مع الظلام، ولذلك يخصّصون النهار للأول. أما للثاني، فيخصّصون جزءاً قليلاً من الليل ...'

وهل من الضروري أن نضيف إلى هذه الأمور، اجتماعاتهم وتصرفات الرجال والنساء أثناء هذه الاجتماعات، والعادات التي لا تزال نراعيها إلى اليوم، ولاسيما تلك التي نجريها في عيد آلام المخلص، مع الصوم وسهر الليل، ودرس الكلمة الإلهية؟ هذه الأمور رواها المؤلف المشار إليه في كتابه<sup>(٣٤)</sup>، موضحاً نوع الحياة التي لا زلنا وحدنا نحافظ عليها اليوم، ومدوناً بصفة خاصة، سهرات الليل التي يمارسونها بمناسبة

٣٤- يقصد به فيلو الفيلسوف اليهودي في كتابه السابق ذكره.

العيد العظيم<sup>(٣٥)</sup>، والرياضة (الرُوحية) التي كانت تُمارَس خلال تلك السَّهرات، والتَّرانيم التي اعتدنا تلاوتها، ومبيناً كيف أنه عندما كان الواحد يرثم في الوَقت المَحْدَد، كان الآخرون يصغون في صمت ولا يشتركون في التَّرانيم إلا في آخرها ... وعلاوة على هذه، يصف فيلو رُتب الشَّرَف الكائنة بين الذين يمارسون خدمات الكنيسة، ذاكراً رُتبة الشَّماسية، ورُتبة الأسقفية التي تتقدَّم على كلِّ ما عداها ... أمَّا أن فيلو عندما كتب هذه الأمور، كان واضحاً نصب عينيه سفراء الإنجيل والأوائل المسلمة منذ البدء من الرُّسل، فهذا أمرٌ واضحٌ لكلِّ أحد<sup>(٣٦)</sup>.

هذه واحدة من أهم الإشارات المبكرة عن وجود جماعات مسيحية في مصر من أصل يهودي. وكان من أشهر هذه الجماعات هي جماعة الثيرابويوتا التي عاشت حول بحيرة مريوط بعد أن تحوَّل أعضاؤها من اليهودية إلى المسيحية، إثر أحداث يوم الخمسين في أورشليم، وعظمة القديس بطرس الرسول فيه. فعادوا إلى وطنهم الثاني مصر، حيث كانت الجالية اليهودية في الإسكندرية من أكبر الجاليات اليهودية في العالم آنذاك، ليدينوا بدينهم الجديد، بعد أن أيقنوا أن المسيا الذي ظلوا ينتظرونه هذه القرون الطويلة، هو يسوع المسيح ابن الله، الذي دخل إلى العالم وأكمل الخلاص الذي كان في فكر أبيه منذ الأزل. وهو ما استعلن في يوم الخمسين، عندما حل الروح القدس على الكنيسة في العلية التي اجتمع فيها الرُّسل مع آخرين من رجال ونساء، ليعلن الابن مخلصاً ورباً، جاء ليعلن محبة الله الأب للعالم، حتى إلى حد بذل ابنه وحيده على الصليب عن حياة العالم، تلك الحياة التي فقدناها بعضيان الإنسان الأول.

٣٥- أي عيد القيامة.

٣٦- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ترجمة القمص مرقس داود، الطبعة الثانية القاهرة، ١٩٧٩م، ٢: ١٧٠-٢٤٤، ص ٩٠ وما بعدها.



## انعدام الشواهد الوثائقية لكنيسة الإسكندرية في القرن الأول

لو كانت المسيحية نشطة في مصر في القرن الأول الميلادي كما كانت في أفسس أو كورنثوس، فإننا يجب أن نتوقع وجود بعض النصوص من العهد القديم في هذا القرن<sup>(٣٧)</sup>. إلا أن انعدام الشواهد الوثائقية في كنيسة الإسكندرية تقريباً في القرن الأول الميلادي، وتدرتها في القرن الثاني للميلاد، سواء في مصادرنا الأدبية أو الوثائقية، يرجع إلى عدة أسباب.

فبادئ ذي بدء يجب علينا ألا ننكر أن كنيسة الإسكندرية في القرن الأول الميلادي كانت قليلة العدد. وهي وإن كانت غير ذي شأن في هذا الوقت، فإن تفسير ذلك يكمن في علاقتها باليهودية.

لقد كان صعباً في البداية أن ينتقل الإيمان المسيحي من اليهود الذين آمنوا بالمسيح إلى الأمميين أي الوثنيين المحيطين بهم في هذه البلاد، على الأقل خلال القرن الأول الميلادي أو بعده بقليل، ذلك لأن العلاقات السيئة بين اليهود وجيرانهم من الوثنيين خارج فلسطين، أي في الشتات، كانت أمراً شائعاً في العالم القديم.

فيقول شاف Schaff: 'إن اليهود كانوا يتحفظون تحفظ الخوف من الوثنيين، ولذا فقد نالوا احتقارهم كأعداء للجنس البشري. ومع ذلك فقد استطاع اليهود بكفاحهم وحصافتهم، أن يجمعوا ثروات طائلة، وأن

٣٧- مثل شذرة عن سفر التكوين Genesis موجودة في مكتبة Yale وصفها ناشرها بأنها تعود إلى نهاية القرن الأول الميلادي. ولكن روبرتس Colin H. Roberts يتردد في قبول هذا التاريخ.

Cf. Colin H. Roberts, *Manuscript, Society and Belief in Early Christian Egypt*, Oxford, 1979, p. 55.

تكون لهم مكانة في بعض المدن الكبرى في الإمبراطورية الرومانية<sup>(٣٨)</sup>. لقد كان ناموسهم يمنعهم من التعامل أو الاتصال بالأهم الأخرى.

أما في مصر، وفي الإسكندرية بالتحديد، فقد حدثت مصادمات بين اليهود واليونانيين. وسنعدّ هنا تلك المصادمات التي حدثت بينهما في القرن الأول الميلادي.

★ ففي سنة ٣٨م أثناء زيارة هيرودس أغرياس للإسكندرية، حدث شغب من اليهود، انتهى إلى مذابح دموية رهيبة بين اليهود واليونانيين. وكان رد الفعل من اليهود للانتقام، في سنة ٤١م، ما اضطر الوالي الروماني لاستخدام قواته لردع اليهود، مما تسبّب في إراقة دماء يهودية كثيرة.

★ وعند بدء قيام ثورة يهود فلسطين سنة ٦٦م، ثار معهم أيضاً يهود الإسكندرية متضامين مع إخوانهم، فقتل منهم - طبقاً لقول يوسيفوس - ٥٠ ألف يهودي.

★ وأخيراً كانت هناك ثورة اليهود المشعومة في عهد الإمبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧م)، والتي امتدّت من القيروان Cyrenaica إلى الإسكندرية ومصر الوسطى، حتى بلغت إلى صعيد مصر، كما تخبرنا الوثائق البردية<sup>(٣٩)</sup>.

إذاً فقد كان من الصّعب على مؤمني كنيسة الإسكندرية وهم من اليهود المستوطنين فيها، أن تمتد كرازتهم بالمسيح خارج وسطهم اليهودي بسبب بُغضة اليونانيين لهم. فقد كان المسيحيون الأوائل معتبرين أنهم

38- Schaff, Vol. 1, p. 63, 64.

39- Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 56.

يهوداً في نظر الوثنيين، وفي أحسن الحالات نُظر إلى المسيحية كشعبة متطرفة، أو خارجة عن اليهودية. وكما رأينا وتأكدنا أن المسيحية التي وصلت إلى الإسكندرية، كانت متأثرة باليهودية، أو كانت ذات صبغة يهودية. لذلك يُصبح من العسير، أن تمتد الكرازة المسيحية إلى الوثنيين أو خارجاً عن نطاقها اليهودي، في هذه الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة<sup>(٤٠)</sup>.



الفصل الثَّاني

تأسيس كنيسة الإسكندرية

بكرامة القديس مرقس الرسول

## تمهيد

التقليد المستقر في كنيسة مصر، هو أن القديس مرقس البشير هو مؤسس هذه الكنيسة، وهو أول أسقف لها. ولقبه الليتورجي فيها هو: "ناظر الإله الإنجيلي، مرقس الرسول، الطاهر (أو القديس) والشهيد". ولكن ماذا نعرف عن القديس مرقس الرسول من الوجهة التاريخية؟ وما هي المصادر المسيحية المبكرة التي تشهد لهذا التقليد الذي يربط بين القديس مرقس الرسول، وكنيسة الإسكندرية في بواكير حياتها الأولى؟ وما هو التطور الذي لحق بهذا التقليد، والذي يخبرنا عن بطارقة كنيسة الإسكندرية الذين صاروا خلفاء للقديس مرقس الرسول؟

## القديس مرقس الرسول في كتاب العهد الجديد

حينما تكلم كتاب العهد الجديد عن القديس مرقس الرسول، لم يخبرنا عن رباط مباشر بينه، وبين الكرازة بالمسيحية في كنيسة الإسكندرية، إذ لم ترد به آية إشارة عن هذا التقليد، وفي الحقيقة، لم يخبرنا كتاب العهد الجديد عن آية إرسالية للكرازة بالمسيحية في مصر.

لقد عُرف القديس مرقس الرسول في سفر أعمال الرسل، باسم يوحنا الملقب مرقس<sup>(١)</sup>، أو باسم يوحنا فقط<sup>(٢)</sup>، أو باسم مرقس فقط<sup>(٣)</sup>.

١- انظر أعمال ١٢: ١٢، ٢٥، ١٥: ٣٧

٢- أعمال ١٣: ٥، ١٣

٣- أعمال ١٥: ٣٩

وهذا الاسم الأخير، هو الذي ورد في كل رسائل القديس بولس الرسول، والقديس بطرس الرسول.

وطبقاً لسفر الأعمال، فإن كنيسة أورشليم قد اجتمعت في بيت مريم أم يوحنا مرقس<sup>(٤)</sup> أثناء حكم هيرودس أغريباس (٤١-٤٤م). ولكن قبل ذلك، وفي هذا البيت عينه، وفي إحدى قاعاته، وهي عليّة صهيون المشهورة، أكل السيد المسيح الفصح مع تلاميذه الأطهار. وفيها غسل أرجلهم. وفيها أعطاهم عهد جسده ودمه الأقدس. وفيها اختفى التلاميذ قبيل القيامة. وفيها حل الروح القدس على التلاميذ، وتكلموا باللسنة. ففي هذا البيت العظيم، نشأت أول كنيسة مسيحية في العالم<sup>(٥)</sup>.

وكان القديس مرقس رفيقاً للرسل في الإرساليات المسيحية المبكرة، إذ اصططحبه الرسولان بولس وبرنابا معهما في رحلتها من أورشليم إلى أنطاكية<sup>(٦)</sup>. كما رافقهما القديس مرقس أيضاً في إرساليتهما التي وصلوا فيها إلى قبرص وآسيا الصغرى، ولكنه تركهما في برجه Perga ليعود إلى أورشليم<sup>(٧)</sup>. وحينما اختلف القديس بولس مع الرسول برنابا في اصططحاب القديس مرقس معهما في الرحلة التبشيرية الثانية، عاد الرسول برنابا إلى قبرص، آخذاً معه القديس مرقس<sup>(٨)</sup>. والقديس مرقس هو أحد أقرباء برنابا<sup>(٩)</sup>. فاختار القديس بولس، الرسول سيلاً بدلاً من

٤- أعمال ١٢: ١٢

٥- عن المراجع والشواهد الكثيرة التي تُثبت ذلك، انظر: البابا شنودة الثالث، ناظر الإله الإنجيلي، مرقس الرسول، القديس والشهيد، الطبعة الثانية، مايو ١٩٧٥م، ص ١٣، ١٣٣

٦- أعمال ١٢: ٢٥

٧- أعمال ١٣: ٥٠، ١٣

٨- أعمال ١٥: ٣٩

٩- ٢ كورنثوسي ٤: ١٠

برنابا<sup>(١٠)</sup>. ولم نسمع عن القديس مرقس الرسول شيئاً بعد ذلك في سفر الأعمال، حتى سمعنا عنه عدّة مرّات في رسائل القديس بولس، وأيضاً في الرسالة الأولى للقديس بطرس. وهو ما سيرد ذكره بعد قليل.

وهكذا ربط العهد الجديد بين القديس مرقس الرسول وبين أورشليم وأنطاكية وقبرص وآسيا الصغرى وروما، ولكن لم ترد إشارة عن ذلك الرّباط الذي يربط بينه وبين مصر. وهو ما نوّد أن نبحثه في هذا الفصل.

### المصادر المبكّرة التي تربط بين مرقس وبطرس الرّسولين، وكنيسة مصر

في السّطور التّالية سأتحدّث عن أهم ثلاثة مصادر مسيحيّة مبكّرة، ربطت بين مرقس وبطرس الرّسولين، وكنيسة مصر، وأيضاً عن تدوين القديس مرقس لإنجيله، وهي: بابياس أسقف هيروبوليس<sup>(١١)</sup> Hieropolis (١٢٠-١٣٠م)، والقديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م)، والعلامة كليمنديس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م). ثمّ تعقيب على معطياتها، التي أغفلت علاقة القديس بولس بكنيسة روما.

فيقول بابياس نقلاً عن قس يُدعى يوحنا<sup>(١٢)</sup>:

١٠- أعمال ١٥: ٢٧-٤٠

١١- هيروبوليس بآسيا الصغرى.

١٢- يدون يوسابيوس القيصري في كتابه "التاريخ الكنسي" (٣: ٣٩: ٥، ٦) ملاحظة له تختص بما يرويه بابياس، فيقول ما يلي: "كرّر بابياس اسم يوحنا مرّتين، الاسم الأوّل يذكره مع بطرس ويعقوب ومتّى وسائر الرّسل. وهذا يبيّن بوضوح أنّه يقصد يوحنا الإنجيلي. وأمّا يوحنا الآخر، فإنه يذكر بعد فترة معيّنة، ويضعه ضمن أشخاص آخرين، ليسوا من عداد الرّسل، وهو يدعوهم بكل وضوح قسااً (أي



”هذا ما يقوله القس (يوحنا) أيضاً: إن مرقس إذ كان هو اللسان النَّاطق لبطرس، كتب بدقّة، ولو من غير ترتيب، كل ما تذكره عمّا قاله المسيح أو فعله، لأنه لا سماع للرّب، ولا اتّبعه، ولكنّه فيما بعد - كما قلتُ - اتّبع بطرس الذي جعل تعاليمه مطابقة لاحتياجات سامعيه، دون أن يقصد بأن يجعل أحاديث الرّب مرتبطة ببعضها. ولذلك لم يرتكب أي خطأ، إذ كتب على هذا الوجه، ما تذكره. لأنه كان يحرص على أمر واحد، أن لا يحذف شيئاً ممّا سمعه، وأن لا يقرّر أيّ شيء خطأ. هذا ما دونّه بايباس عن مرقس“ (١٣).

ويصف لنا القديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م) أسقف ليون بفرنسا، في كتابه ”ضد الهرطقات“، كيف أنّه بعد استشهاد القديس بطرس في روما، فإنّ القديس مرقس، تلميذ بطرس، وشارح أقواله، سلّم إلينا كتابته، ما كرز وعلم به القديس بطرس (١٤).

ويقول يوسابيوس عن العلامة كليمنديس:

”... وبالاختصار لقد قدّم في مؤلفه وصف المناظر، وصفاً موجزاً عن جميع الأسفار القانونيّة، دون أن يحذف الأسفار المتنازع عليها، أعني رسالة يهوذا، والرسائل الجامعة الأخرى، ورسالة برنابا، والسفر المسمّى رؤيا بطرس ... وفي نفس الكُتب أيضاً، يُقدّم كليمنديس تقليد الآباء الأوّلين

---

شيخاً). وهذا ربما يبيّن صحّة ما قاله البعض، بأنّ هناك شخصين باسم يوحنا في آسيا يحملان نفس الاسم، وكان هناك قبران في أفسس، يُدعى كل منهما قبر يوحنا. ومن المحتمل أن يكون يوحنا الثّاني هو الذي رأى الرؤيا المنسوبة إلى يوحنا الإنجيلي“، وهو الرأي الذي يراه البابا الإسكندري ديونيسيوس الكبير (٢٤٧-٢٦٤).

١٣ - يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١٥:٣٩:٣) ص ١٧٧، ١٧٨

14- Irenaeus, *Against Heresies* 3.1.1

عن ترتيب الأناجيل على هذا الوجه التالي: فيقول إنَّ الإنجيليين المتضمَّنين نسب المسيح كتبوا أولاً<sup>(١٥)</sup>. أمَّا إنجيل مرقس، فقد كانت مناسبة كتابته هكذا؛ لما كرز بطرس بالكلمة جهاراً في روما، وأعلن الإنجيل بالروح، طلب كثيرون من الحاضرين إلى مرقس أن يدوّن أقواله، لأنه لازمه وقتاً طويلاً، وكان لا يزال يتذكرها. وبعد أن كتَبَ الإنجيل، سلّمه لمن طلبوه. ولما علم بطرس بهذا، لم يمنعه من الكتابة، ولا شجّعها عليها...“<sup>(١٦)</sup>.

ويقول يوسابيوس أيضاً عن العلامة كليمنس الإسكندري:

”ويقولون إنَّ بطرس عندما علم بوحى من الروح بما حدث، سرَّته غيرة هؤلاء النَّاسِ، ونال السُّقْر موافقته، لاستعماله في الكنائس<sup>(١٧)</sup>. وقد أيد هذه الرواية كليمنس في الكتاب الثامن من مؤلفه: ‘وصف المناظر‘، وأتفق معه أيضاً أسقف هيروبوليس Hieropolis المسمَّى بابياس“<sup>(١٨)</sup>.

### تعقيب على ما قالته هذه المصادر المبكرة

هل نقبل ما قاله بابياس<sup>(١٩)</sup>، عن مرقس الرسول بأنه: ”لا سمع للربِّ ولا اتبعه“، وتتغاضى عن قول الكتاب المقدَّس بخصوص بيت مريم أم

١٥- أثبتت الدِّراسات التَّقديّة الحديثة، أن إنجيل القديس مرقس، هو أوَّل إنجيل يدوّن بين الأناجيل الأربعة المعروفة. بل إنَّ الأناجيل الأخرى، قد نقلت عنه. انظر: (ص ٧٢) من هذا الكتاب الذي بين يديك.

١٦- انظر: يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٦: ١٤٤، ١٠٥-٧).

١٧- قال ناشر التَّرجمة الإنجليزية: إن ذكر سرور بطرس وموافقته بصدد إنجيل مرقس، لا يتفق مع رواية أخرى للعلامة كليمنس الذي يلجأ إليه يوسابيوس هنا كحجّة. (وهو ما تقرأه قارئ العزير في الفقرة السَّابقة مباشرة).

يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص ٨٨، حاشية ٢

١٨- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٢: ١٥٠).

١٩- بخصوص ما قاله بابياس، انظر (ص ٤٠) من هذا الكتاب الذي بين يديك.

مرقس، وهو البيت الذي شهد أحداثاً جسماً في حياة الرب على الأرض<sup>(٢٠)</sup> وكيف يكون هذا، وقد كان القديس مرقس أحد السبعين رسولاً، بشهادة العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م)، والقديس إبيفانيوس (٣١٥-٤٠٣م)؟ ناهيك عن التقليد الليتورجي لكنيسة الإسكندرية<sup>(٢١)</sup>.

ولاحظ هنا أن كلام بايياس، لا علاقة له بروما. أي لم يربط بايياس بين بطرس الرسول وكرازته في روما. وإن ما يذكره بايياس بخصوص إنجيل مرقس البشير، وكيف وصل إلينا، كونه من إملاء القديس بطرس، هو أمر قد صار محلّ تنازع بين العلماء والدّارسين، باحثين، هل أن ما ذكره بايياس قد اعتمد على أحداث موثوق بها<sup>(٢٢)</sup>؟

٢٠- انظر (ص ٣٩) من هذا الكتاب.

٢١- انظر البابا شنودة الثالث، مرجع سابق، ص ١٥-١٨

22- Stephen J. Davis, *The Early Coptic Papacy*, Cairo – New York, 2004, p. 3,4.

ويرى رالف مارتان Ralph P. Martin في كتابه "Mark, John – مرقس، يوحنا" الذي نشره سنة ١٩٨٦م، أن بايياس يستنتج ما قاله، من تلك المعلومات التي وجدها في كتاب العهد الجديد عن علاقة مرقس الرسول ببطرس الرسول، ولاسيما ما يذكره سفر الأعمال (أعمال ١٢: ١٢) عن زيارة القديس بطرس لبيت أم القديس مرقس الرسول. وأيضاً ما ورد في (١بطرس ٥: ١٣).

Cf. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 182, n. 10.

وهذا كلام لا يتفق مع ما يذكره يوسابيوس عمّا قاله بايياس عن نفسه، بأنه لم يكن مستمعاً أو معايينا للرسل المباركين، ولكنه تلقى تعليم الإيمان من أصدقائهم. فيقول بايياس: "وكلما أتى أحدٌ ممن كان يتبع المشايخ، سألته عن أقوالهم، عمّا قاله أندراوس أو بطرس، عمّا قاله فيلّس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى أو أي واحد آخر من تلاميذ الرب، أو عمّا قاله أريستيون، أو القس (أي الشيخ) يوحنا، أو تلاميذ الرب. لأنني لا اعتقد أن ما تحصّلت عليه من الكتب، يفيدني بقدر ما وصل إلى من الصّوت الحي، من الصّوت الحي الدائم".

انظر: يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، (٣: ٣٩: ٤)، ص ١٧٥

ومن جهة أخرى، فإنَّ كلام بايياس (١٢٠-١٣٠م) الذي يربط بين دور القديس مرقس، كشارح لأقوال القديس بطرس، قد ظهر أيضاً في كتابات النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، عند القديس إيريناؤس والعلامة كليمنس الإسكندري، ولكن بعد أن ربطت هذه الكتابات بين إنجيل القديس مرقس، وكرازة القديس بطرس في روما<sup>(٢٣)</sup>. وهنا ولأوّل مرّة يدور الحديث عن كرازة بطرس الرسول في روما، مع إغفال تام للإشارة إلى القديس بولس الرسول، وهو ما سأشرحه بعد قليل.

وإنَّ ما قاله كليمنس الإسكندري عن إنجيل مرقس وعلاقته بالقديس بطرس، به أيضاً بعض التّضارب مع ما قاله القديس إيريناؤس. فالعلامة كليمنس يقول بأنَّ القديس مرقس كتب إنجيله في حياة بطرس الرسول. والقديس إيريناؤس يقول إنه كتبه بعد استشهاده. وكلا المصدرين يعودان إلى نفس الزّمن، أي النّصف الثاني من القرن الثاني الميلادي! فأَيُّ القولين نقبل؟

إنَّ التّضارب الذي وقع بين هذه الكتابات المبكرة وبعضها البعض من جهة، وبين بعضها وبين أحداث كتاب العهد الجديد، من جهة أخرى، قد وضعها محل شك.

فمن الثّابت كتابياً، أنّ المسيحية كانت قد عُرفت في روما، قبل وصول أيّ من الرُّسل إليها<sup>(٢٤)</sup>. فالقديس بولس الرسول في رسالته إلى

23- Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 4.

٢٤- وهو نفس ما حدث في الإسكندرية. إذ كان ليوم الخمسين في أورشليم، وجموع اليهود الذين حضروا فيه من كل مكان، تأثير هائل على انتشار الخبر بالمسيح والمسيحية في كافة ربوع الأرض.

أهل رومية<sup>(٢٥)</sup>، وقبل أن يصل هو إليها، يُرسل تحيَّاته إلى أشخاص بعينهم، يتضح أنه على معرفة شخصية بهم<sup>(٢٦)</sup>. وليس من المعقول أن يغفل ذكر بطرس الرسول إن كان هذا الأخير في روما.

ويؤكد كتاب العهد الجديد على أن القديس بولس قد كرز في روما<sup>(٢٧)</sup>، بل إنَّ الرَّبَّ نفسه هو الذي دعاه لكي يشهد له هناك<sup>(٢٨)</sup>. ولم يكن ممكناً للرُّسول بولس أن يبشِّر بالمسيحية في روما، لو كان الرُّسول بطرس، أو غيره من الرُّسل، قد سبقه إلى هناك، لأنَّ هذا هو المبدأ الذي سار عليه في خدمته<sup>(٢٩)</sup>. وظلَّ القديس بولس يكرز في روما قرابة سنتين<sup>(٣٠)</sup>، أي منذ وصوله إليها سنة ٦٠م، حتى سجنه الأوَّل فيها سنة ٦٢م. وبعد إطلاق سراحه، ظلَّ يخدم فترة أخرى بكلِّ حرِّية، حتى قبض عليه مرَّةً أخرى سنة ٦٧م. وكان القديس مرقس، في صحبة القديس بولس هناك<sup>(٣١)</sup>. ومن روما كتب الرُّسول بولس عدَّة رسائل له، سواء إلى أشخاص أو إلى كنائس<sup>(٣٢)</sup>.

٢٥- وهي الرُّسالة السَّادسة للقديس بولس من جهة زمن كتابتها، حيث كتبها سنة ٥٨م، من كورنثوس، قبيل مغادرتها ليذهب إلى أورشليم، حاملاً مساعدات للفقراء فيها.

٢٦- رومية ١٦:٣-١٦

٢٧- أعمال ١٦:٢٨، ١٧، ٢٣:٢٨-٢٧

٢٨- أعمال ١١:٢٣

٢٩- رومية ١٥:٢٠

٣٠- أعمال ٢٨:٣٠، ٣١

٣١- كولوسي ١:١٠، ١١؛ فيليمون ٢٤؛ تيموثاوس ٤:١١

٣٢- من رومية كتب الرُّسول بولس أربع رسائل، حين كان سجيناً فيها للمرَّة الأولى. فكتب رسالته إلى أهل كولوسي، سنة ٦٢م، وهي الرُّسالة السَّابعة له. وكتب رسالته إلى أهل أفسس، سنة ٦٢م، وهي الرُّسالة الثامنة له. وكتب رسالته إلى فيليمون، سنة ٦٢م، وهي التَّاسعة له. وكتب رسالته إلى أهل فيليبي سنة ٦٣م، قرب

وبرغم أنه لا يوجد في الكتاب المقدس كله، آية واحدة صريحة، تقول بأن القديس بطرس قد ذهب إلى روما<sup>(٣٣)</sup>. إلا أن هناك آية في رسالته الأولى، ربما تشير إلى ذهابه إلى هناك.

والآن علينا أن نلقي بعض الضوء على هذه الآية تحديداً. فيقول الرسول بطرس: «تسلّم عليكم التي في بابل Babylon، المختارة معكم، ومرقس ابني» (١ بطرس ٥: ١٣). فقول القديس بطرس عن القديس مرقس بأنه ابنه، قد استغلها الكتاب الغربيون، استغلالاً أخرجها عن مضمونها الحقيقي<sup>(٣٤)</sup>. بالإضافة إلى الإشارة الخفية لعبارة: «التي في بابل» والتي كانت سبب تنازع كبير بين العلماء. وأن الضمير المؤنث «التي» الوارد في النص، لا يشير إلى شخص معين بذاته، بل إلى الكنيسة، والتي هي اسم مؤنث في اللغة اليونانية. وهكذا - وطبقاً لهذا المفهوم - فإن هذه الآية يمكن قراءتها كما يلي: «تسلّم عليكم الكنيسة التي في بابل».

ولكن إزاء هذه الآية، تعترضنا استفسارات بخصوص المقصود ببابل. فهل المقصود بها مدينة بابل الواقعة فيما بين النهرين؟ طبعاً لا، فهذا احتمال ضعيف للغاية، لأنه ليست هناك أية تقاليد مسيحية مبكرة تربط بين زمن القديس بطرس، أو القديس مرقس، ومدينة بابل الواقعة فيما بين النهرين.

انتهاء مدّة سجنه الأوّل هناك، وهي العاشرة له. كما كتب رسالته الثانية إلى تلميذه تيموثاوس، سنة ٦٧م، في أثناء سجنه الثاني هناك، وهي الأخيرة له.

٣٣- انظر: البابا شنودة الثالث، مرجع سابق، ص ٣٣، ٣٦-٤٢

٣٤- يقول الغربيون: إن الإشارة إلى القديس مرقس في (١ بطرس ٥: ١٣) لم تكن إلا تعزيراً فحسب، لتلك العلاقة التي كانت بين مرقس وبطرس وكنيسة روما. وأن ذكر القديس مرقس هنا، يعني أنه كارز إنجيلي evangelist كونه الابن الروحي للقديس بطرس، كما يذكر النص!

وأما الاحتمال الثاني عن المقصود بمدينة بابل أي بابلون Babylon المذكورة في (بطرس ٥: ١٣)، فهي تلك المدينة العسكرية الرومانية القديمة الواقعة على نيل مصر، إلى الجنوب من مدينة القاهرة الحالية، وهي المدينة التي أشار إليها كل من المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس Josephus (37-101 م) (٣٥)، والفيلسوف الرواقي استرابو Strabo (حوالي ٦٣ ق.م - ٢٣ م) (٣٦). وإن كان هذا الاحتمال صحيحاً، فيكون ذلك هو أول دليل يربط القديس مرقس الرسول بمصر (٣٧).

ولقد حاول الغربيون نفي هذا الاحتمال، وإجهاضه، بتقديم ثلاثة اعتراضات. الاعتراض الأول، هو أنه برغم شهرة القديس مرقس، كمؤسس لكنيسة الإسكندرية، إلا أن الروايات التي تحدت عنه في الكنيسة المبكرة، لم تُشر لأي رحلة له إلى حصن بابلون بمصر، أو أي مكان آخر بمصر، غير مدينة الإسكندرية. والاعتراض الثاني، هو أنه ليست لدينا أية دلائل من المصادر المسيحية المبكرة، تفيد أن هذا الموقع العسكري، قد أصبح مركزاً مسيحياً، على الأقل لبضعة قرون قليلة بعد الميلاد (٣٨). ولقد ذكر أحد العلماء أن موقعاً عسكرياً صغيراً مثل هذا،

35. Josephus, *Antiquities* 2.315.

٣٦- وذلك في موسوعته: "التاريخ الجغرافي"، والتي تتكوّن من ٤٧ مجلداً لمختلف البلدان والأماكن في أوروبا وآسيا وأفريقيا. وكان قد وصل حتى الحدود الجنوبية لنهر النيل.

Strabo, *Geography* 17.1.30.

Cf. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 183, n. 15.

37. See, for example, Franz Altheim and Ruth Stiehl, *Christentum am Roten Meer*, volume 2 (Berlin: Walter de Gruyter & Co., 1973), 297-299.

٣٨- لمناقشة بعض المشكلات التي تعترض على كون بابلون موقعاً مصرياً، انظر

المرجعين التاليين:

C. Wilfred Griggs, *Early Egyptian Christianity; From its Origins to 451*

واقعاً على ضفة نهر النيل، لا يصلح أن يكون هو المكان الأمثل، لكتابة مثل هذه الرسالة المرسلّة إلى جماعات من آسيا الصغرى<sup>(٣٩)</sup>. أمّا الاعتراض الثالث والأخير، فهو أنّ التّحقيقات الأثرية الحديثة، قد أوضحت أنّ الحصن الموجود في موقع بابلون بمصر القديمة، لم يكن قد بُني، حتى العقد الأخير من القرن الثالث الميلادي، وذلك في أثناء حكم الإمبراطور الروماني ديوكليتيانوس (Diocletian ٢٨٤-٣٠٥م)، وبالتّحديد سنة ٢٩٠م<sup>(٤٠)</sup>. ولكن هذا الاعتراض الثالث، هو اعتراض مغلوط، لأنّ المدينة العسكرية كانت موجودة بالفعل في زمان يوسيفوس (٣٧-١٠١م)، أمّا الإمبراطور ديوكليتيانوس، فقد بنى حصناً في هذه المدينة في أواخر القرن الثالث الميلادي.

ويبقى أمامنا فحص الاحتمال الثالث، إذ يرى كثيرٌ من العلماء الغربيين أن "بابلون" المذكورة في رسالة القديس بطرس الرسول الأولى، هي اصطلاح مجازي يشير إلى مدينة روما. ويقولون إنه مع نهاية القرن الأوّل المسيحي، بدأت الكتابات الأبوكريفية المبكرة، سواء لكتاب يهود أو مسيحيين، بدأت تستخدم كلمة "بابلون" كاسم رمزي للمدينة الإمبراطورية روما<sup>(٤١)</sup>.

c.e., Leiden: E.J.Brill, 1991, p. 17-18. ; J.N.D. Kelly, *A Commentary on Epistles of Peter and Jude*, New York, Harper & Row, Grand Rapides, MI: Baker Book House, 1969, p. 218-220.

39. Cf. H.I. Bell, *Evidences of Christianity in Egypt during the Roman Period*, Harvard Theological Review 37, 1944, p. 187-188.

40. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 5 ; HDCC, 1st edition, p. xiii.

٤١- عن الأدب اليهودي الأبوكريفي، انظر على سبيل المثال المرجع التالي:  
Sibylline Oracles (5.143,159).

وعن استخدام "بابلون" كرمز لمدينة روما في الكتابات اليهودية القديمة، انظر:



وفي الكنيسة المسيحية المبكرة، استُخدم نفس هذا الرمز، بواسطة كاتب سفر الرؤيا، حينما تكلم عن سقوط بابل (روما)، كنتيجة لقضاء الله<sup>(٤٢)</sup>. ولأن التفسير اليهودي والمسيحي القديم، كان يعتبر "بابلون" مكاناً للنفي، أو للشئات، فإن القديس بطرس ربما يكون قد ذكر بابلون في نهاية رسالته الأولى، لكي ينقل لقرائه مساندته لأولئك المتغربين من الشئات. وهو ما أشار إليه في بداية رسالته الأولى حين يقول: «بطرس رسول يسوع المسيح، إلى المتغربين من شتات بنتس وغلطية وكبدوكية وآسيا وبيثينية المختارين ... لتكثر لكم النعمة والسلام» (١ بطرس ١:١).

ويدعم يوسابيوس القيصري هذا الرأي، حينما يقول: " ... ثم أننا نرى بطرس يذكر مرقس في رسالته الأولى التي يُقال إنه كتبها في روما نفسها، كما يوضح هو عندما يدعو المدينة رمزياً بابل، في الكلمات التالية: «سَلِّم عليكم الكنيسة التي في 'بابل' المختارة معكم، ومرقس ابني»<sup>(٤٣)</sup>.

وعلى أيِّ الحالات، فإن الاستخدام المعاصر آتخذ لكلمة "بابلون" كرمز لمدينة روما، وما ورد عنها في رسالة القديس بطرس الرسول الأولى، ربما يدعم الخلفية الرومانية للرسالة، ومن ثم علاقة القديس مرقس بالرسول بالقدس بطرس الرسول طبقاً لهذه الخلفية.

وحتى لو قبلنا هذا الاحتمال الثالث، فلا يمنع أن يكون القديس

C.H. Hunzinger, *Babylon als Deckname für Rom und die Datierung des 1. Petrusbriefes*, in *Gottes Wort und Gottes land*, ed. H.G. Reventlow (Göttingen: Vandenhoeck & Ruprecht, 1965), p. 67-77.

٤٢- رؤيا ١٤:٨، ١٦:١٩، ١٧:٥٠، ١٨:٢، ١٠:٢١

Cf. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 5.

٤٣- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١٥:٢).

مرقس قد كان أيضاً في صحبة القديس بطرس في روما، في الشهور القليلة السابقة لاستشهاد هذا الأخير هناك، وهي الفترة التي تحدتت عنها الأقوال السابق الإشارة إليها، سواء عند بابياس، أو القديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م)، أو عند العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م)، أو غيرهم. لأن العلامة أوريجانوس يرى أن القديس بطرس قد ذهب إلى روما في أواخر حياته (تقريباً حوالي سنة ٦٥م)، لمقاومة سيمون السّاحر (٤٤). وواضح أن ذهاب القديس بطرس إلى روما لم يكن لتأسيس كنيسة هناك.

## أقدم المصادر والتقاليد عن القديس مرقس الرسول كمؤسس لكنيسة الإسكندرية

أولاً: شهادة يوسابيوس القيصري عن تأسيس كنيسة الإسكندرية

لقد اعتبر يوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م) دوماً، أنه أقدم شهادة موثقة، تعود إلى القرن الرابع الميلادي، تنسب للقديس مرقس الرسول تأسيس كنيسة الإسكندرية. فيقول يوسابيوس في كتابه "تاريخ الكنيسة"، والذي اكتمل تدوينه سنة ٣٢٥م:

"ويقولون إن مرقس هذا، كان أوّل من أرسل إلى مصر، وأنه نادى بالإنجيل الذي كتبه، وأسس الكنائس في الإسكندرية أولاً. وكان جمهور المؤمنين رجالاً ونساء الذين اجتمعوا هناك في البداية، وعاشوا حياة الزهد والفلسفة المتطرفة، كثيرين جداً، حتى أن فيلو (١٣ق.م-٥٠م.ه.م) وجدّه أمراً جديراً بالاهتمام أن يصف جهادهم واجتماعهم وتسلياتهم وكلّ

طرق معيشتهم“ (٤٥).

وهنا لنا عدّة ملاحظات.

أولاً: يربط يوسابيوس بين تقليد تأسيس القديس مرقس لكنيسة الإسكندرية، وبين التقاليد المبكرة عن كتابة القديس مرقس لإنجيله في روما، محاولاً أن يضع أساساً زمنياً basic chronology لخدمة القديس مرقس الكرازية. ففي الفقرة السابقة لما سبق ذكره مباشرة من حديث يوسابيوس عن إرسالية القديس مرقس إلى الإسكندرية، يقول يوسابيوس:

”عندما ذاعت الكلمة الإلهية بينهم (أي بين مؤمني كنيسة روما)، انطفأت قوة سيمون وتلاشت، كما تلاشى الشخص نفسه. وأضاء جلال التقوى عقول سامعي بطرس، لدرجة أنهم لم يكتفوا بأن يسمعوا مرة واحدة فقط، ولم يقنعوا بتعاليم الإنجيل الإلهي غير المكتوبة، بل توسّلوا بكل أنواع التوسّلات إلى مرقس، أحد تابعي بطرس، والذي لا يزال إنجيله بين أيدينا، لكي يترك لهم أثراً مكتوباً عن التعاليم التي سبق أن وصلتهم شفهيّاً. ولم يكفوا حتى تغلبوا على الرجل. وهكذا سنحت الفرصة لكتابة الإنجيل الذي يحمل اسم مرقس“.

ويستطرد يوسابيوس قائلاً: ”ويقولون إن بطرس عندما علم بوحى من الروح بما حدث، سرته غيرة هؤلاء الناس، ونال السّفْر موافقته، لاستعماله في الكنائس. وقد أيد هذه الرواية كليمنديس في الكتاب الثامن من مؤلفه: ’وصف المناظر‘، واتّفق معه أيضاً أسقف هيروبوليس Hieropolis المسمّى بابيلاس“ (٤٦).

٤٥- نفس المرجع، (١٦:٢)

٤٦- نفس المرجع، (٢:١٠:٢).

وهكذا يربط يوسابيوس بين كتابة إنجيل مرقس في روما. وبين كرازة القديس مرقس في الإسكندرية بالإنجيل الذي كان قد كتبه في روما. وهنا يجمع يوسابيوس بين تقليدين محليين، منفصلين عن بعضهما البعض، عن القديس مرقس، ويضعهما في تسلسل، ضمن رواية مختصرة، مرتبة ترتيباً زمنياً، بحسب سرده هو (٤٧).

أمّا من جهة زمن وصول القديس مرقس إلى الإسكندرية، فقد اختلف المؤرخون فيما بينهم اختلافات واضحة. فيذكر يوسابيوس أنّ القديس مرقس وصل إلى الإسكندرية في السنة الثالثة لحكم الإمبراطور كلوديوس Claudius أي سنة ٤٣ ميلادية (٤٨). أمّا كتاب "تاريخ البطارقة"، المنسوب للأبنا ساويرس بن المقفّع (حوالي ٩١٥-١٠٠٠م)، فقد حدّد زمن وصول القديس مرقس إلى الإسكندرية في السنة الخامسة عشرة من بعد صعود السيّد المسيح، أي سنة ٤٨م (٤٩). وهناك مصادر كنسية مختلفة، سواء ذات تاريخ مبكر، أو تعود إلى بداية القرون المتوسطة، قد رجّحت تاريخ وصول القديس مرقس إلى الإسكندرية ما بين سنة ٣٩م وسنة ٤٩م، أو ٥٠م (٥٠). ويرى قداسة البابا شنودة الثالث

سبق أن وردت هذه الفقرة الأخيرة في (ص ٤٢) من هذا الكتاب الذي بين يديك.

47- Cf. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 6.

48. Eusebius, *Chronicle*, survives in Latin version.

٤٩- أو تصبح هي سنة ٤٤م إذا اعتبرنا أنّ ميلاد السيّد المسيح كان في سنة ٤ ق.م. وأن صعوده كان سنة ٢٩ ميلادية.

٥٠- التاريخ الفصحى *Paschal Chronicle* (PG 92.560A) يجعل تاريخ وصول القديس مرقس إلى الإسكندرية، سنتين قبل ارتقاء كلوديوس العرش، أي سنة ٣٩م. بينما يذكر أفتيخيوس Eutychius الإسكندري، (سعيد بن البطريق، PG 111.982A) أنّ القديس مرقس جاء إلى الإسكندرية في السنة التاسعة لملك كلوديوس، أي سنة ٤٩، أو ٥٠م. وعن السنوات المختلفة التي تحدّد وصول القديس مرقس إلى

أنَّ القديس مرقس غالباً يكون قد وصل إلى الإسكندرية سنة ٦٠م، أو سنة ٦١م، حيث يقول: "ولعله هو الرأي الأقرب إلى الحقيقة، إذ يتفق مع غالبية آراء المؤرخين الأقباط الذين يجعلون مدّة إقامة مار مرقس البشير على الكرسي الإسكندري سبع سنوات وثمانية أشهر"<sup>(٥١)</sup>. ولكن هناك احتمال أنَّ القديس مرقس بعد أن وفد إلى الإسكندرية في المرّة الأولى، وفي وقت مبكّر، ربما لا يتعدّى سنة ٥٠م، قضى بها عدّة سنوات. وفي نهايتها رسم أنيانوس أسقفًا. ثم عاد إلى الخمس مُدُن الغربية، ومنها سافر إلى روما، وقابل القديس بطرس الرسول هناك، لأنَّ هذا الأخير لم يذهب إلى روما إلا في حدود سنة ٦٥م. وبعد استشهاد الرسولين بطرس وبولس سنة ٦٧م، عاد القديس مرقس إلى الإسكندرية مرّة أخرى، ليرى أنَّ الكنيسة التي أسسها قد ازدهرت. حيث نال إكليل الشّهادة سنة ٦٧م، أو ٦٨م. وهو استنتاج يعتمد على قراءة لما يرويه يوسابيوس القيصري، ولكن لا تدعّمه براهين وثائقيّة كافية.

ثانياً: لم يذكر يوسابيوس المصادر التي عرفنا منها التّقليد المختص بتأسيس القديس مرقس لكنيسة الإسكندرية، مكتفياً في ذلك بقوله: "ويقولون"، ربما اعتماداً على تقليد شفهي أصبح منتشرًا ومستقرًا في زمانه، أو ربما عن مصادر كتابيّة غير محدّدة<sup>(٥٢)</sup>. وذلك خلافاً لما ذكره

الإسكندرية، انظر المرجع التّالي:

B.A.Pearson, *Earliest Christianity in Egypt: Some Observations, in the Roots of Egyptian Christianity*, edited by B.A. Pearson and J.E. Goehring (Philadelphia: Fortress Press, 1986), p. 139, n. 30.

٥١- البابا شنودة الثالث، مرجع سابق، ص ٥٣، ٥٤

٥٢- حاولت إحدى الدّوريات الآبائيّة، أن تبرهن على أن الفعل "يقولون"، والذي ذكره يوسابيوس، طبقاً للأدب اليوناني وقواعده، ربما يشير إلى مصدر مكتوب، يأخذ عنه يوسابيوس.

في مؤلفه "التاريخ الكنسي" عن أماكن أخرى، حين أورد اقتباسات، من كتاب سابقين له، استقى منهم معلوماته، تختص بهذه الأماكن.

**ثالثاً:** وأخيراً، لم يشرح لنا يوسابيوس، كيف كرز القديس مرقس بالمسيحية في الإسكندرية. مكتفياً بإعطائنا معلومات قليلة جداً عن هذا الأمر. فلم نعرف منه سوى أن القديس مرقس كرز بإنجيله الذي كان قد كتبه قبلاً في روما. بالإضافة إلى ذكره على سبيل الرواية، تأسيس القديس مرقس للكنائس، ورسامة خلفاء له لخدمة الذين قبلوا الإيمان من الرجال والنساء. هؤلاء الذين وصف فيلو زهدهم، وفلسفتهم، وجهادهم واجتماعاتهم، وتسلياتهم، وكل طُرُق معيشتهم. إلا أن العبارة التي ذكرها يوسابيوس، والتي تقول: "وكان جمهور المؤمنين رجالاً ونساء الذين اجتمعوا هناك في البداية..."، ولاسيما كلمة "في البداية"، قد أربكت الفهم الدقيق للنص، فهل كان يوسابيوس يقصد هؤلاء الجمهور من المؤمنين الذي وصفهم فيلو، هم تلك الجماعات اليهودية التي عاشت في الإسكندرية، قبل وصول القديس مرقس الرسول إليها، أم جماعة المسيحيين الذين قبلوا الإيمان على يد القديس مرقس الرسول. فالتاريخ المتأخر نوعاً ليوسابيوس القيصري في تسجيله لهذا التقليد، وندرة المعلومات التي أمدنا بها، واحتمال ورود أخطاء تاريخية في تدوين هذا

---

G.M. Lee, *Eusebius on St. Mark*, Studia Patristica 12, TU 115; Berlin, 1973, p. 425-427.

وهو نفس ما ذكره مورتن سميث Morton Smith حين حاول أن يبرهن أن الفعل "يقولون" في اليونانية، لم يستخدم عند يوسابيوس استخداماً شخصياً، لكنه كان يشير إلى كتاب سابقين اعتمد عليهم يوسابيوس، وهم كليمنس الإسكندري وبايلاس، وهما اللذان ذكرهما يوسابيوس في فقرة سابقة.

Cf. Morton Smith, *Clement of Alexandria and a Secret Gospel of Mark*, Cambridge: Harvard University Press, 1973, p. 27.

H. Lietzmann إلى القول بأن القديس مرقس الرسول لم يكن هو أول من كرز بالمسيحية في مصر<sup>(٥٣)</sup>.

وقد سبق أن شرحتُ هذا الموضوع باستفاضة في الفصل السابق مباشرة، وذكرتُ أن المسيحية التي نشأت في الإسكندرية في شكل جماعات، قبل وصول القديس مرقس الرسول إليها، لا نستطيع أن نسميها كنيسة بالمعنى الدقيق لمفهوم الكنيسة. بل كانت حتى ذلك الوقت، اجتهادات - حتى ولو كانت جماعية - لم تأخذ صبغتها القانونية، ككنيسة مبنية على أساس الرسل<sup>(٥٤)</sup>.

### ثانياً: شهادة العلامة كليمنديس الإسكندري

لقد ساد الاعتقاد بين بعض علماء الغرب - ومن بينهم العالم كولين روبرتس Colin H. Roberts - بأن العلاقة التي تربط بين القديس مرقس وكنيسة الإسكندرية لم تظهر إلا في كتابات القرن الرابع الميلادي، وبدون وثائق تؤيدها<sup>(٥٥)</sup>، بل هي محاولات متأخرة من الكنيسة لكي تؤسس تاريخها على أساس رسولي<sup>(٥٦)</sup>. وكانت المفاجأة، حين اكتشف العالم مورتن سميث Morton Smith في سنة ١٩٥٨م<sup>(٥٧)</sup>، خطاباً واثقياً للعلامة كليمنديس

53- Hans Lietzmann, *A History of the Early Church*, Volume 1, Part 2, Cambridge: James Clark & Co., 1951, 1993, p. 543.

٥٤ - انظر (ص ٢٥) من هذا الكتاب.

55- Cf. Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 145, n. 65.

56- Cf. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 7.

57- Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 184, n. 30.

الإسكندري (١٥٠-٢١٥م)، فنشره سنة ١٩٧٣م (٥٨).

ومحتوى هذه الرسالة مثير للجدل. فالكتاب يكتب رسالته إلى شخص يُدعى ثيودور، يحذره فيها من تعاليم أتباع كاربوكرات المبتدع، الذين هم «نجوم تائهة» (يهوذا ١٣)، الذين ادَّعوا أنهم وجدوا نسخة من إنجيل سرِّي كتبه مرقس الرسول، وخلطوا فيها ما هو حق بأكاذيب ابتدعوها. ويورد نصَّ بعض الفقرات من هذا الإنجيل المنحول (٥٩). ثمَّ يستطرد قائلاً: [فهؤلاء لا يجب أن نعطيهم فرصة للكلام، بل حينما يعرضون تحريفاتهم، لا يجب أن يوافقهم أحدٌ على أن هذا الإنجيل السري هو من مرقس. بل على العكس، ينبغي أن نستنكر ذلك ونجحده]. وفي نفس هذه الرسالة، يقرّر كليمنس الإسكندري ما يعرفه بخصوص زمان ومكان كتابة إنجيل مرقس الحقيقي، وأنَّ مرقس كتبه في الصورة الأخيرة التي بين أيدينا، لما كان في الإسكندرية. وهذه الشهادة الأخيرة تُخدم الغرض الذي نبحت عنه، وخصوصاً على ضوء شهادة أخرى تأتينا أواخر

٥٨- قدّم العالم مورتن سميث Morton Smith سنة ١٩٧٣م، تقريراً عن اكتشافه لهذه الوثيقة، في دير مار سابا بفلسطين، وذلك في كتابه: "الإنجيل السري، اكتشاف وشرح الإنجيل السري طبقاً لمرقس".

*The Secret Gospel: The Discovery and Interpretation of the Secret Gospel According to Mark*, New York, Harper & Row, 1973.

أمَّا النصُّ اليوناني مع الدِّراسة التَّقديّة له، فقد نشرها مورتن سميث في نفس السَّنَة المذكورة في كتابه: "كليمنس الإسكندري وإنجيل مرقس السري".

Morton Smith, *Clement of Alexandria and a Secret Gospel of Mark*, Cambridge, Harvard University Press, 1973.

وأما عن التَّرجمة الإنجليزيّة فانظر:

*The Secret Gospel*, 14-17; and also:

<http://www.user.uni-bremen.de/~wie/Secret/letter-engl.html>.

59- Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 8.



القرن الرابع الميلادي، من القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م)، حيث يقول بأن الإنجيلي مرقس الرسول، كتب إنجيله في مصر<sup>(٦٠)</sup>.

وفي الحقيقة، في حين ظلت أصالة هذا الاكتشاف موضوعاً للنزاع، فإن بعض العلماء أكدوا حقيقة أن العلامة كليمنس الإسكندري هو بالفعل كاتب هذه الرسالة<sup>(٦١)</sup>.

وإذا ثبتت أصالة هذه الرسالة، فهي تُعتبر أقدم شاهد حتى اليوم للتقليد الذي يذكر أن القديس مرقس كتب إنجيله في الإسكندرية. إلا أن الرسالة تربط أيضاً بين إنجيل مرقس، وتعاليم القديس بطرس في روما، وهو نفس ما ذكره يوسابيوس القيصري. فيقول كاتب الرسالة:

[مرقس، أثناء إقامة بطرس في روما، كتب أعمال الرب. ومع أنه لم يذكرها كلها، ولا أشار إلى السرية منها، إلا أنه اختار تلك المفيدة بالأكثر لنمو إيمان أولئك الذين يتعلمون. ولكن بعد موت بطرس كشهيد، جاء مرقس إلى الإسكندرية حاملاً معه مذكراته، ومذكرات بطرس، والتي منها نقل إلى كتابه السابق، الأمور المناسبة والتي من شأنها أن تزيد المعرفة (gnosis). وهكذا دون إنجيلاً أكثر روحانية ليستخدمه أولئك

60. John Chrysostom, *Homily on Matthew 1.3* (PG 57.17) ; B.A. Pearson. *Early Christianity. op. cit.*, p. 138, n. 28. Cited by Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 8.

٦١- يرفض مورتن سميث M. Smith أن يكون العلامة كليمنس الإسكندري هو كاتب هذه الرسالة، اعتماداً على اللغة والأسلوب، ومحتوى الرسالة. وعن ملخص للآراء المؤيدة والمعارضة لهذه الرسالة، انظر:

M. Smith, *Clement of Alexandria and the Secret Mark: The Score at the End of the First Decade*, Harvard Theological Review 75.4, 1982.

الذين صاروا كاملين. ومع ذلك فهو لم يتكلّم عن أسرار لا يمكن التعبير عنها، ولم يدوّن التعاليم الكهنوتيّة للرّب، ولكنه أضاف إلى الروايات المكتوبة قبلاً، روايات أخرى، بالإضافة إلى بعض الأقوال التي يعرف - كمُعَلِّم لأسرار الدّين - أن شرحها يقود السّامعين إلى أعماق سرّ ذلك الإيمان المستور بسبعة (أختام). وهكذا بالاختصار، فقد أعاد صياغة مادة الإنجيل بدون حسد، أو إهمال، بحسب رأيي، ثمّ مات، تاركاً ما كتبه للكنيسة في الإسكندريّة. ولا زال ما كتبه محفوظاً فيها بكلّ عناية حتى اليوم، ليقرأه فقط أولئك الذين دخلوا إلى الأسرار العظمى<sup>(٦٢)</sup>.

وتوحي كلمات المؤلّف أنّه كانت هناك جماعة مسيحيّة في الإسكندريّة، حينما وصل القديّس مرقس إليها، وهي الجماعة التي يشير إليها بالكاملين. كما يتضح من النّص السّابق ذكره، أنّ القديّس مرقس كتب نسخة أوليّة من إنجيله في روما، ليقرأه المتدثّنون في الإيمان. أمّا إنجيله الأكثر روحانيّة، فقد كتبه في الإسكندريّة. وأظنّ أنّ هذا الأمر يحلّ الالتباس الذي كان قائماً بين من قال أنّ القديّس مرقس كتب إنجيله في حياة القديّس بطرس، مثل العلامة كليمنس الإسكندري في مؤلّفه "وصف المناظر"<sup>(٦٣)</sup>، ومن قال بأنه كتبه بعد استشهاد القديّس بطرس في روما، مثل القديّس إيريناؤس<sup>(٦٤)</sup>.

وفي حين تذكر رسالة كليمنس الإسكندري أنّ القديّس مرقس

62. Clement of Alexandria, *Letter to Theodore I*.15-II.2; ed M. Smith, *Clement of Alexandria*, 19.44 ; trans. M. Smith, *The Secret Gospel*, 15.

٦٣ - انظر (ص ٤٢) من هذا الكتاب.

٦٤ - انظر (ص ٤١) من هذا الكتاب.

كتب إنجيله في الإسكندرية، فإن يوسابيوس لم يذكر سوى أن القديس مرقس كرز بالإنجيل في الإسكندرية. وفي حين تذكر الرسالة أن القديس مرقس حين جاء إلى الإسكندرية وجد بها جماعات مسيحية<sup>(٦٥)</sup>، لم يشرح لنا يوسابيوس هذا الأمر بوضوح، إذ اعترى حديثه شيء من اللبس<sup>(٦٦)</sup>.

إن ملخص هذه الرسالة الهامة، يفيدنا بأن القديس مرقس كتب نسخة أولى من إنجيله أثناء إقامة القديس بطرس في روما. وبعد استشهاد القديس بطرس، جاء القديس مرقس إلى الإسكندرية. وفي مصر، استفاض في كتابة إنجيله، معتمداً على نفسه، وعلى مذكرات القديس بطرس. وقد كتب إنجيله الروحاني لتستخدمه كنيسة الإسكندرية.

ثالثاً: وثيقة "أعمال مرقس"، أقدم شهادة تشرح كرازة القديس

مرقس بالمسيحية في الإسكندرية

إن ندرة المعلومات التاريخية في المصادر المسيحية المبكرة عن النشاط التبشيري للقديس مرقس في الإسكندرية، أدى بدوره إلى ظهور التقاليد الشفهية عنه، لتملأ تلك الثغرة التاريخية. ولقد حاولت تلك التقاليد أن تجيب على سؤال: ماذا فعل القديس مرقس؟ وأين ذهب حينما كان في تلك المدينة؟ وفي الحقيقة فإن تلك التقاليد الشفهية كان قد تم تدوينها وتسجيلها للأجيال القادمة في الكنيسة. وكانت وثيقة "أعمال مرقس"، هي مثالاً، لمصدر قام بتجميع مثل هذا التقليد الشفهي، وتدوينه، واصفاً تفاصيل إرسالية القديس مرقس إلى الإسكندرية واستشهاده فيها.

وقبل اكتشاف وثيقة "أعمال مرقس"، ظل كتاب "تاريخ بطاركة

65- Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 138 ; Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 9.

٦٦ - انظر (ص ٥٤) من هذا الكتاب.

الكنيسة القبطية“، المنسوب للأبنا ساويرس بن المقفع (حوالي ٩١٥-١٠٠٠م) وإلى زمن طويل، هو أول مصدر يسرد لنا تفاصيل النشاط التبشيري للقديس مرقس في الإسكندرية<sup>(٦٧)</sup>.

أما وثيقة ”أعمال مرقس“، فهي وثيقة يرجح بعض العلماء مثل بريكولي Pericoli وريدولفيني Ridolfini أنها تعود إلى أواخر القرن الرابع الميلادي أو أوائل الخامس<sup>(٦٨)</sup>. ولقد تم تدوين هذه الوثيقة أصلاً باللغة اليونانية أو اللغة القبطية. كما تُرجمت إلى عدّة لغات أخرى، هي: اللاتينية والعربية والإثيوبية. أمّا النص اليوناني لها، فقد حُفظ في روايتين كاملتين Two Greek recensions<sup>(٦٩)</sup>.

٦٧- قبل أن نتحدّث عن وثيقة ”أعمال مرقس“، يلزم الإشارة إلى أن ما ورد عن سيرة مار مرقس بالعربية في كتاب ”تاريخ بطاركة الكنيسة القبطية“ للأبنا ساويرس بن المقفع، من المحتمل أن يكون قد أخذ من مصادر قبطية مفقودة الآن. حيث يقدّم لنا الكتاب المذكور سريتين لمار مرقس: الأولى (وهي الفصل الثاني من الكتاب المذكور) مصدرها مجهول لدينا. والثانية (فصل ٣) مأخوذة من السيرة اليونانية التي أعاد صياغتها سمعان الميتافراسي في القرن العاشر. وربما عن طريق ترجمة قبطية مفقودة الآن. وسأوردُ نصّ هاتين السريتين في الفصل التالي مباشرة.

68- Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 143 ; Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 10.

٦٩- النصّ اليوناني الأوّل محفوظ في مخطوط رقم (٨٨١ يوناني) في المكتبة الأهلية بباريس، وهو يعود إلى القرن الحادي عشر الميلادي. وقد نُشر في مجموعة كتابات الآباء اليونان (PG 115,164 ff.). أمّا النصّ اليوناني الثاني فمحفوظ في مخطوط رقم (٨٦٦ يوناني). بمكتبة الفاتيكان بروما، وهو يعود إلى القرن الحادي عشر أو الثاني عشر للميلاد. وقد نُشر في المرجع التالي:

*Acta Sanctorum* (rev. ed.; Paris: Palmé, 1863-1940) 12: April, 3, XXXVIII-XL (cod. Vatican gr. 866).

وعن ترجمة هذا النصّ اليوناني الثاني، انظر:

Allen Dwight Callahan, *The Acts of Saint Mark: An Introduction and Translation*, Coptic Church Review 14 (1993), p. 3-10.

وهذه الوثيقة تدمج تقليدين معاً في تقليد واحد. التقليد الأول يختص بتأسيس كنيسة الإسكندرية بواسطة القديس مرقس الرسول، وتقابله مع إسكافي يدعى أنيانوس (أو أنانياس Ananias طبقاً للنص اليوناني الثاني)، والذي أصبح خليفته في رئاسة كنيسة الإسكندرية. أما التقليد الثاني فيختص باستشهاد القديس مرقس نفسه، مع شرح تشييد كنيسة في موقع استشاده في ضواحي الإسكندرية.

ويمكن تلخيص محتوى هذه الوثيقة في السطور التالية<sup>(٧٠)</sup>:

تنقسم وثيقة "أعمال مرقس" إلى قسمين: القسم الأول يحوي الفصول الخمسة الأولى، والتي تصف بالتفصيل كيف جاء القديس مرقس إلى مصر، وأسس الكنيسة هناك. فطبقاً لرواية الوثيقة، حينما خرج الرُّسل للكرزة، وقعت القرعة على مرقس ليذهب إلى مصر، والمناطق المحيطة بها (١:١). فجاء أولاً إلى سيرين Cyrene<sup>(٧١)</sup> في الخمس مدن الغربية، وكرز

أما النص القبطي فقد حفظ في شذرات فقط، انظر:

P. Hubai, *The Legend of St. Mark: Coptic Fragments*, in *Studia Aegyptica* XII (Studia in Honorem L. Fóti; Budapest, 1989), p. 165-234.

وعن المراجع التي تتكلم عن الترجمات اللاتينية والعربية والإثيوبية، انظر:

P. Hubai, *The Legend of St. Mark*, p. 187, note 1 ; B.A. Pearson, *op. cit.*, p. 140, n. 37 ; Allan Dwight Callahan, *The Acts of Mark: Tradition, Transmission, and Translation of the Arabic Version*, in *The Apocryphal Acts of the Apostles: Harvard Divinity School Studies*, edited by F. Bovon, A.G. Brock, and C.R. Matthews, Cambridge, 1999, p. 62-85.

Cf. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 185, n. 36.

٧٠- يعتمد هذا الملخص على النص اليوناني الأول لها، طبقاً لمخطوط باريس رقم (٨٨١ يوناني)، إلا لو ذكر غير ذلك.

٧١- النص اليوناني الثاني للوثيقة يذكر أنه كان أصلاً من سيرين (كيرين) Cyrene كما تتفق الترجمة الإثيوبية لهذه الوثيقة على ذلك أيضاً.  
ومدينة كيرين أو سيرين Cyrene أو سيرينيكيا Cyrenaica هي التي تُدعى

بالإنجيل، وعمل كثيراً من المعجزات، من شفاء مرضى وإخراج شياطين. وعمد كثيرين من الذين قبلوا الإيمان (١:٢). وبينما كان هناك، رأى رؤيا بضرورة الذهاب إلى فاروس Pharos في الإسكندرية (٢:٢). وفي اليوم التالي ودّعه الإخوة مرسلين إياه في سفينة مع مباركتهم. ووصل مرقس إلى الإسكندرية، وجاء إلى موضع في المدينة يُقال له مينديون Mendion<sup>(٧٢)</sup> (١:٣). وحالما دخل من بوابة المدينة<sup>(٧٣)</sup> تمزّق حزام صندله، فبحث مرقس عن إسكافي في هذه المنطقة ليُصلحه له (٣-٤-٤). وبينما

”القيروان“، وهي مدينة تقع في ليبيا، ضمن الخمس مدن الغربية، وهي غير مدينة القيروان التونسية.

وكانت الخمس مدن الغربية في ذلك الوقت تعتبر جزءاً من إقليم مصر، وتتبعه سياسياً، وعاصمتها الإسكندرية.

والقديس مرقس من عائلة يهودية نزحت إلى الخمس مدن الغربية ضمن جالية يهودية في زمن غير معروف بالضبط. ثم عادت ثانية إلى أورشليم ضمن جماعة اليهود الذين هاجروا من ليبيا إلى الأرض المقدسة في العقد الثاني من القرن الأول المسيحي. وكان عمر القديس مرقس آنذاك حوالي ثمانية عشر سنة.

وفي أورشليم عاصر القديس مرقس كرازة السيّد المسيح له المجد، واقترب جداً من أحداث الصليب، حيث كان شاهد عيان لهذه الأمور، وهو التقليد الشفهي الذي استمر في الكنيسة القبطية حتى اليوم، عندما دعت الكنيسة القبطية القديس مرقس بلقب ”ناظر الإله“. كما عايش أيضاً أحداث يوم الخمسين وحلول الروح القدس ونشأة كنيسة أورشليم بقيادة القديس يعقوب الرسول.

٧٢- يذكر النص اليوناني الآخر للوثيقة - وتتفق معه الترجمة الإثيوبية لها - أن هذا الموضع يُسمى ”بينديون - Bennidion“. وعن هذا الموضع انظر ما يختص به فيما بعد.

٧٣- دخل إلى الإسكندرية للمرة الأولى من بوابتها الشرقية، حيث الحي اليهودي، والذي كانت تقطنه أكبر جالية يهودية في الشتات، حيث احتل اليهود حين كاملين من الخمسة أحياء التي تكوّن مدينة الإسكندرية. أمّا الأحياء الباقية من المدينة فكان بها عدد غير قليل من اليهود منتشرين هنا وهناك.

يعمل الإسكافي في الصنّدل، جُرحت يده اليسرى فصرخ من الألم قائلاً: "يا الله الواحد" Eίς Θεός (٥:٣). فجدبت هذه الاستغاثة انتباه مرقس "إذ رأى أنها علامة على أنه قد جاء إلى المكان الصحيح". فأبرأ مرقس يد الإسكافي (٨:٣). ولتقديم واجب الشكر، دعاه الإسكافي إلى بيته، ليأكل عنده (٣:٩-٤:٢). وهناك سأله الإسكافي عن سرّ قوته في شفاء يده. فبدأ مرقس تبشيره بيسوع المسيح، الذي يُدعى ابن الله وابن إبراهيم، مخبراً الرّجل بالنبوءات التي تكلمت عنه (٤:٣-٧) (٧٤). وفي النّهاية، آمن الإسكافي بالمسيح، وتعمّد هو وكلُّ أهل بيته، وكثيرون من جيرانه. وكان اسم الرّجل أنانياس Ananias (٧٥) (٤:٨-١١). وإذ أغضبت هذه الأخبار بعض الوثنيّين، فكّر بعض رجال من المدينة في قتل مرقس (١:٥). وحين سمع مرقس أن حياته أصبحت في خطر، قرّر العودة إلى الخمس مُدُن الغريّة Pentapolis. ولكن قبل رحيله رسم أنانياس Ananias أسقفًا، وثلاثة قسوس هم ميلايوس Milaius (٧٦) وسابينوس Sabinus (٧٧)

٧٤- يضيف النّص اليوناني الآخر: "فأخبره الإسكافي أنه لم يعرف شيئاً عن هذه الكتابات، برغم أنه يعرف الإلياذ والأوديسا Iliad and Odyssey وغيرهما من الأمور التي تعلمها المصريون منذ الطفولة".

٧٥- أنانياس Ananias أي "حانيا". ويذكر النّص اليوناني الثّاني، - وتتنق معه التّرجمة الإثيوبية - أن اسمه هو "أنيانوس Anianus".

٧٦- تشير التّرجمات الأخرى للوثيقة إلى هذا الاسم بأنه: ميلبوس Milius. ويذكر يوسابيوس القيصري أن ميلبوس (أو أبيليوس Abilius) صار ثاني أسقف للإسكندرية بعد أنيانوس Anianus (٣:١٤)، وخلفه كيردونوس ثالث أسقف لكنيسة الإسكندرية (٣:٢١)، وذلك حتى سنة ١١٩م.

وطبقاً للمراسيم الرسولية (٧:٤٦)؛ فقد رسم القديس مرقس أنيانوس Anianus كأول أسقف للإسكندرية. أمّا القديس لوقا البشير فقد رسم أبيليوس Abilius ثاني أسقف لها.

٧٧- هذا هو القس الوحيد الذي رسمه القديس مرقس قساً ولم يُذكر عنه أنه صار

وكيردونوس Cerdo مع سبعة شمامسة، وأحد عشر شخصاً آخرين<sup>(٧٨)</sup> للخدمة الكنسية في كنيسة الإسكندرية (٢:٥).

أمّا القسم الثاني من وثيقة "أعمال مرقس"، والذي يحتل الخمسة فصول الأخرى من السادس إلى العاشر، فيصف تسلسل الأحداث التي أدت إلى استشهاد القديس مرقس.

فبعد قضاء سنتين في الخمس مدن الغربية، كان القديس مرقس مشغولاً فيهما برسامة أساقفة وكهنة لهذه المناطق، عاد إلى الإسكندرية<sup>(٧٩)</sup>، فوجد أن الجماعة (التي أسسها) قد ازدهرت ونمت في

أسقفياً على كرسي الإسكندرية.

انظر: تاريخ الكنيسة ليو سايبوس، مرجع سابق، ٣: ١٤، ٢١

٧٨- إن عبارة: "وأحد عشر شخصاً آخرين" and eleven others for ecclesiastical service . أظنه خطأ من سمعان الميتافراستي الذي أعاد كتابة هذه الوثيقة اليونانية في القرن العاشر كما هي منشورة الآن في (PG 115, 164-169). لأن الأنبا ساويرس بن المقفع في كتابه "سير بطاركة الكنيسة القبطية"، يذكر هذه العبارة هكذا: "هؤلاء الأحد عشر جعلهم يخدمون وبنيتسون الإخوة المؤمنين". ويقصد بهم الأسقف والثلاثة قسوس، والسبعة شمامسة.

Cf. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 11 ; B. Evetts, *History of The Patriarchs of The Coptic Church of Alexandria, Saint Mark to Theonad (300), Arabic Text Edition, Translated and Annotated, Patrologia Orientalis, Tomus Primus, II, Paris, 1904, p. 47.*

٧٩- هنا لا تذكر الوثيقة - وبالتالي كتاب "تاريخ بطاركة الكنيسة القبطية" المنسوب للأنبا ساويرس بن المقفع - ذهاب القديس مرقس الرسول إلى روما، حيث ظل بجوار القديسين بطرس وبولس حتى استشادهما سنة ٦٧م أو سنة ٦٨م. ثم عاد إلى الإسكندرية للمرة الثانية ليجد أن كنيسة الإسكندرية قد انتشرت ونمت. جدير بالذكر أنه مع أوائل القرن الثاني الميلادي، بدأ المسيحيون يظهرون كجماعة مختلفة ومتميزة عن المجتمع اليهودي.



النَّعمة والإيمان بالله، وبنت لها كنيسة<sup>(٨٠)</sup> في موضع يُدعى "بوكولو" Boukolou<sup>(٨١)</sup> قرب شاطئ البحر (٤-٣:٥). هذه الأحداث، مع أخبار عودة القديس مرقس إلى الإسكندرية، قد أثارت غضب الوثنيين في المدينة (٢-١:٦). وفي هذه السنة، وقع احتفال المصريين بعبادة الإله سراپيس Serapis في نفس يوم احتفال الكنيسة بعيد الفصح (القيامة)<sup>(٨٢)</sup> (١:٧). وللحظ على اتخاذ موقف، دخل جماعة من الوثنيين إلى الكنيسة، وحاصروا مرقس وهو في منتصف الخدمة، ووضعوا حبلًا حول رقبته، وجروه في شوارع الإسكندرية، وكانوا يقولون: "جُرُّوا الجاموس في

٨٠- ما تذكره وثيقة "أعمال مرقس" هنا، هي مفارقة تاريخية، إذ لم يكن المسيحيون الأوائل في مصر - أو في أي مكان آخر - كنائس تختص بهم للعبادة في القرن الأول المسيحي، بل كانوا يجتمعون في بيت أحد المؤمنين، أي في الكنيسة البيتية. وعن هذه الكنائس البيتية، وموقعها من تطوُّر فن العمارة المسيحي المبكر، انظر:

L. Michael White, *Building God's House in the Roman World: Architectural Adaptation among Pagans, Jews, and Christians*, Baltimore and London: The Johns Hopkins University Press, 1990.

Cf. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 186, n. 39.

٨١- الكلمة اليونانية  $\tau\acute{\alpha}$  βουκόλου (بوكولو) تعني Cow pastures أي "مراعي البقر". و"بوكولو" هي نفسها "بوكاليا". وموضعها الآن هو قرب منطقة حمامات الشاطئ بالإسكندرية. وطبقاً لوثيقة "أعمال مرقس"، فهذا هو المكان الذي أتخذه المسيحيون الأوائل لعبادتهم (فصل ٤). وهو المكان الذي استشهد فيه القديس مرقس الرسول، ودُفن (فصل ٧، ١٠). وهو نفسه المكان الذي أقيم فيه قبر القديس مرقس *The martyrrium of saint Mark* فيما بعد، كما تشهد وثائق نهاية القرن الرابع الميلادي فصاعداً.

وهكذا أصبح من المؤكد لدينا، أن تذكارات القديس مرقس، كان يجري في الجزء الشمالي الشرقي من المدينة.

Cf. Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 153, 154.

٨٢- وهو يوم ٢٩ برمودة (٢٤ أبريل).

مراعي البقر“ Let us drag the boubalos in Boukolou<sup>(٨٣)</sup>، حتى تهرأ لحمه، وتناثر على الأرض، واختلطت دماؤه بالحجارة (٧:٢-٤). وعندما حلّ المساء، ألقى الغوغاء مرقس في السّجن، بينما كان لم يزل حياً، ويشكر الله (١:٨). وفي هذه الليلة، بينما كان مرقس يُصلي، حدثت زلزلة عظيمة، وظهر له ملاك، قائلاً له: ”يا مرقس، خدام الله، وأول قديسي مصر، هوذا اسمك قد كتب في سفر الحياة الأبدية، وعددت بين الرُّسل القديسين. وذكراك لن تنسى إلى الأبد ...“ (٣:٨). وبعد الملاك، ظهر له المسيح نفسه، داعياً إياه: ”المبشّر باسمي“ (٦:٨). وفي الصّباح تجمّع الوثنيون وسحلوه مرّة أخرى في المدينة حتى فارقه الرُّوح (٩:١-٣). وحينما أشعل الغوغاء ناراً لحرق جسد مرقس في مكان يُدعى ”الملائكة“ *ἄγγελοι*<sup>(٨٤)</sup>، ووضعوا جسد مرقس فيه، أبطل المسيح مكيدتهم، فأرسل ریحاً شديدة، أرعبت الوثنيين فهربوا مذعورين (٩:٤-٦). وفي النّهاية، حمل بعض المؤمنين جسد مرقس، وعادوا به إلى الكنيسة، وأعدّوه للصّلاة عليه كالعادة، ووضعوه في قبر حجري يقع شرق المدينة (١٠:١). فمات مرقس

### 83. boubalos = buffalo.

٨٤- تذكر وثيقة ”أعمال مرقس“ هذه المنطقة، حيث دُفن جسد القديس. والاسم ”أنجيليون Angelion“ هو اسم تبادل للكنيسة التي بُنيت في القرن السّادس الميلادي تكريماً للقديس يوحنا المعمدان بجوار السّرايوم الكبير *great Serapeum*. وهو البناء المعماري الضّخم، الذي لا زالت آثاره باقية حتى اليوم، والذي تمّ تدميره - مع الأسف - بواسطة البابا ثاوفيلس البطريرك سنة ٣٩١م. وكان يقع في منطقة راكوتي بالإسكندرية. وهي المنطقة التي عاش فيها المصريون. وكانت منطقة ”الملائكة“ Angeloi قرية من منطقة ”بوكولو“ Boukolou بحسب ما تذكر وثيقة ”أعمال مرقس“. وربما كانت التّرجحات الحديثة التي جرت لهذه الوثيقة، قد أربكت الدّارسين في تحديد موقع هذه المنطقة، وعلاقة هذين الموقعين ببعضهما البعض.

الإنجيلي أوّل شهداء كنيسة الإسكندرية في ٣٠ برمودة (٢٥ أبريل)، حينما كان غايوس طيارايوس قيصر إمبراطوراً، وهو العيد التقليدي للقديس مرقس في الكنيسة القبطية (٢:١٠) (٨٥).

### تعقيب على محتوى وثيقة "أعمال مرقس"

يمثل النص الأصلي لوثيقة "أعمال مرقس"، أحد المصادر الرئيسية العديدة لكتاب "تاريخ بطاركة الكنيسة القبطية" المنسوب لساوירس ابن المقفع (حوالي ٩١٥-١٠٠٠م) (٨٦). كما استفاد من هذه الوثيقة، مؤلف السنكسار العربي للكنيسة القبطية، والذي جرى تأليفه في القرن الثالث عشر الميلادي (٨٧).

ويُعتبر حديث الرّاهب اللاتيني بولينوس Paulinus والذي صار أسقفاً على نولا Nola (٣٥٣-٤٣١م) من بواكير الشّهادات الوثائقية، عن التقليد المختص باستشهاد القديس مرقس الرسول في الإسكندرية. ففي واحدة من أشعاره، ذكر صراع القديس مرقس مع عبادة سرايبس Serapis في

85- *Ibid.*, p. 140, 141, Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 11.

86- Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 12, 13.

مع ملاحظة أن النص الذي وصل إلينا من هذه الوثيقة، وهو المنشور في ( PG 115، 169-164)، قد أعيد صياغته في القرن العاشر بواسطة سمعان الميتافراستي. أي أن النص الذي كان أمام الأنا ساويرس بن المقفع، كان أدق من النص اليوناني المتوفر لدينا الآن. (انظر أيضاً: ص ٦٠، حاشية رقم ٦٧) من هذا الكتاب.

٨٧- عن السنكسار العربي، انظر:

O.H.E. Burmester, *On the Date and Authorship of Arabic Synaxarium of the Coptic Church*, JTS 39 (1938) p. 249-53.

Cf. Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 142.

الإسكندرية. وهو الصراع الذي أدى إلى سجنه، ثم استشهاده<sup>(٨٨)</sup>.

وبعيداً عن وثيقة "أعمال مرقس" نفسها، فإن الشهادات المبكرة التي تتحدث عن استشهاد القديس مرقس، نجدتها في التاريخ اللوزياكي Lausiac History لبالاديوس Palladius في أوائل القرن الخامس الميلادي، حيث ترد قصة عن كاهن من غلاطية اسمه فيلوروموس Philoromus زار الإسكندرية وصلّى في الكنيسة التي بُنيت على قبر القديس مرقس . Martyrion of Mark

وفي وثيقة "استشهاد القديس بطرس Passio S. Petri" رئيس أساقفة الإسكندرية (+ ٢٥ نوفمبر ٣١١م)، نقرأ أن حائط السجن الذي سُجن فيه القديس، قد تمّ ثقبه، ثم أخذه الجنود إلى بوكاليا Boukolou حيث صلّى عند قبر القديس مرقس الإنجيلي أول شهداء الإسكندرية. ثمّ قُطعت رأسه - أي رأس القديس بطرس الكاهن والشهيد - بحد السيف.

ومن ثمّ، يفترض بعض العلماء أن وثيقة "استشهاد القديس بطرس" رئيس أساقفة الإسكندرية، تُعتبر شهادة وثائقية من القرن الرابع الميلادي لوثيقة "أعمال مرقس"<sup>(٨٩)</sup>. بينما يرى البعض الآخر أن قصة صلاة بطرس خاتم الشهداء ورئيس الكهنة عند قبر القديس مرقس - إلى جانب سمات أخرى في النص - هي إضافات متأخرة، دخلت على الأصل الذي دُوّن في أوائل القرن الرابع الميلادي عن استشهاد القديس بطرس أسقف الإسكندرية.

88- Paulinus of Nola, Carmen XIX. 84-86 ; W. Hartel, CSEL 30, Vienna: F. Tempsky, 1894, p. 121.

Cf. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 185, n. 37.

89- *Ibid.*, p. 143.

وبرغم ذلك، فإنَّ المادة التي أُضيفت في وثيقة "استشهاد القديس بطرس" رئيس أساقفة كنيسة الإسكندرية، وخاتم الشهداء، بخصوص قبر القديس مرقس أول شهداء الإسكندرية، نجدُها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بما ورد في وثيقة "أعمال مرقس". وهو أمرٌ لا يمكننا تجاهله.

وهكذا تُقدِّم لنا وثيقة "أعمال مرقس" تحديداً للهويَّة الذاتية لكنيسة الإسكندرية، أنَّها كنيسة تأسست على دم الشهداء، ومن ثمَّ فإنَّ كنيسة مصر، هي "كنيسة الشهداء". وهو ما سيُتضح بجلاء في القرنين التالين، من تاريخ هذه الكنيسة<sup>(٩٠)</sup>.

تعقيب على النَّصِّ الأصلي لوثيقة "أعمال مرقس"، والإضافات

المتأخِّرة التي لحقته

أولُّ كلِّ شيء، ينبغي أن نعرف أنَّه بالرَّغم من التَّاريخ المتأخَّر نوعاً لوثيقة "أعمال مرقس"، إلاَّ أنَّها تحوي عناصر تاريخيَّة مهمَّة، لأقدم مجتمع مسيحي في مصر. وإنَّ النَّداء التَّوحيدي "يا الله الواحد"، الذي قاله أنيانوس Anianus، أولُّ من قَبَلَ المسيحيَّة، واستفاد منه القديس مرقس للكراسة بالمسيح، مستخدماً في ذلك نبوءات العهد القديم، يعني أنَّ الوثيقة تُشير إلى هويَّة هذا المجتمع المسيحي المبكر في مصر، بأنَّه يتكوَّن من اليهود اليونانيِّين Hellenistic Judaism الذين عاشوا في الإسكندرية<sup>(٩١)</sup>.

وبالرَّغم من أنَّ النَّصِّ الأصلي للوثيقة لا يشير إلى اليهود أو اليهوديَّة، إلاَّ أنَّ إضافات متأخِّرة على قصَّة استشهاد القديس مرقس، تحدَّد أنَّ

90. Cf. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 12.

91. Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 144.

اليهود كانوا هم المتورطين في استشهاده<sup>(٩٢)</sup>. ومعروف أن بواكير المسيحيين الإسكندرانيين، كانوا من اليهود.

بالإضافة إلى محاولة تحوير اسم أنيانوس Anianus في النص الأصلي لوثيقة "أعمال مرقس"، ليصبح هو أنانياس Ananias أي حانيا، وهو من أشهر الأسماء اليهودية.

وهنا يلزم الإشارة إلى أن التفصيلات والإضافات المتأخرة التي وردت بالقصة، والتي تشير إلى أن أنانياس Ananias (حانيا) كان جاهلاً بالأسفار المقدسة أي العهد القديم، عارفاً فقط بالإليازا والأوديسا، ربما تكون إضافة خيالية وغير واقعية، أضيفت على النص الأصلي للرواية<sup>(٩٣)</sup>.

٩٢- لا تخفى عداوة اليهود للمسيحيين، فهي عداوة واضحة في كثير من قصص الاستشهاد التي جازها المسيحيون.

93- *Ibid.*, p. 144, n. 63.

كان يهود الشتات قد نسوا لغتهم العبرانية لطول زمان تشتتهم بين الأمم، حيث صارت اللغة اليونانية - وهي اللغة السائدة في أرجاء الإمبراطورية الرومانية - هي لغتهم، كلغة مألوفة ومتداولة بينهم مثل الآرامية في مدن فلسطين. ومعروف أن يهود الإسكندرية قاموا بحركة الترجمة السبعينية للعهد القديم من العبرية إلى اليونانية، وهي الترجمة التي تمت في عهد وبرغبة بطليموس الثاني (٢٨٥-٢٤٦ ق.م) ملك مصر، لمنفعة شعبه من اليهود الذين كانوا يجهلون العبرية.

وبهذه اللغة اليونانية كرز القديس مرقس في مصر، وبهذه اللغة اليونانية نشأت كنيسة الإسكندرية، وظلت اليونانية هي لغة الكنيسة لشعبها من اليهود، حتى أن العلامة بنتينوس (+ ١٩٠ م) ولأجل منفعة الأميين من المصريين الذين انضموا فيما بعد إلى الكنيسة القبطية، وضع الأبجدية القبطية بحروف يونانية لئلا يكتب وتقرأ بها بعد استعانتها بسبعة حروف من اللغة المصرية القديمة - الديموطيقية - وظل الحال هكذا إلى ما بعد منتصف القرن الخامس الميلادي، عندما بدأت اللغة القبطية - لغة السبلاد الأصلية - تحمل محل اليونانية، لاسيما إثر النهضة التي قادها الأنبا شنودة رئيس

والخلاصة هي أن التقليد الذي يربط القديس مرقس بنشأة المسيحية في مصر، له وثائق تعود إلى القرن الثاني الميلادي، كرسالة العلامة كليمنس الإسكندري التي سبق الإشارة إليها<sup>(٩٤)</sup>. وربما يكون هذا التقليد قد نشأ قبل هذا التاريخ.

### نشاط القديس مرقس في الإسكندرية بحسب التقليد

إن تدوين نشاط القديس مرقس في الإسكندرية، حتى دفنه في منطقة بوكولو Boukolou بها، هو استرجاع أو تذكُّر لتقليد محلي قديم.

فأودُّ أن أشير إلى هذا النشاط الذي حفظه التقليد القديم شفهيًّا للقديس مرقس الرسول، حتى تمَّ تدوينه. فمن أهم أعماله التي عملها في الزيارة الأولى للإسكندرية، عدا الكرازة بالمسيح، ما يلي:

(١) وَضَعَ الأُسُس الأولى للقُدَّاس الذي سُمِّي باسمه. وهو القُدَّاس المرقُسي، تُصَلِّي به الكنيسة الناشئة. ولكن مع الأسف، قد بَطُل استخدامه منذ أمد ليس بقريب.

(٢) رسامة أسقفٍ لكنيسة الإسكندرية، يعاونه القسوس والشمامسة. حيث نشأ التسلسل الأسقفي لكنيسة الإسكندرية، بدءاً من مار مرقس الرسول، وهو ما تجد شرحه في الفصل التالي مباشرة.

(٣) تنظيم أمور الكنيسة<sup>(٩٥)</sup>. وهو ما نسميه "التقليد" أو "التسليم

المتوحِّدين في إحياء اللغة القبطية، لغة البلاد الوطنية.

٩٤ - انظر (ص ٥٥) من هذا الكتاب.

٩٥ - يفيد التقليد، بأن بيت أنيانوس Anianus صار أوَّل كنيسة في مصر. فنقرأ في تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية في حبرية البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م)،

الرَّسُولِيَّ“. وكان القديس مرقس معاصراً لنشأة كنيسة أورشليم برئاسة القديس يعقوب الرسول أخي الرَّبِّ، فنقل عنها الكثير إلى كنيسة الإسكندرية. وهذا هو سبب ما نراه من توافق، يصل أحياناً إلى حد التَّطابق في بعض نواحي الحياة الليتورجية لكنيسة أورشليم والإسكندرية.

(٤) سلّم القديس مرقس للمؤمنين الإنجيل الذي دوّنه لهم كطلبهم، ليبقى عندهم حق الإنجيل قبل أن يغادرهم. وهو أوّل إنجيل يُدوّن بين الأناجيل الأربعة المعروفة. بل إن الأناجيل الأخرى، قد نقلت عنه، كأوّل وثيقة مدوّنة، تسرد حياة الرَّبِّ وأعماله. وهذا ما أثبتته الدّراسات النّقديّة الحديثة<sup>(٩٦)</sup>.

وفي زمن والي الإسكندرية الأمير المؤيد حصن الدّولة أبو تراب حيدر، في منتصف القرن الحادي عشر، ما يلي: ”فدفع لنا (والي الإسكندرية) مفتاح كنيسة ماري جرجس التي كانت قديماً بيت أنيانوا أوّل البطاركة، وهو البيت الذي دخله ماري مرقس البشير في أوّل يوم دخل الإسكندرية لما ثقب الشفا كفي أنيانوا، وهو يومئذ إسكافي، وأبراه ماري مرقس، واستضافه في البيت. وقال لنا (والي الإسكندرية) امضوا وافتحوا هذه الكنيسة وصلوا فيها سرّاً وادعوا لي، فدعونا له، وأخذنا المفتاح، ومضينا جماعة إلى البيعة، ولم نزل نعاقر البَاب من ثالث ساعة من النَّهار إلى التاسعة، فبكينا وتضرّعنا وقلنا: ياربُّ قد عرفنا أنك غلقتها لأجل خطايانا وآثامنا، فارحمنا واعف عنّا. فانفتح لنا البَاب، فدخلنا وقدسنا وتقربنا...“

انظر: تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدّسة لسايرس ابن المقفع أسقف الأشوين، مطبوعات جمعيّة الآثار القبطية: المجلد الثاني، الجزء الأوّل، قام على نشره يسى عبد المسيح، وأسولد برمستر، القاهرة ١٩٤٣م، ص ١٧٩

٩٦- يقول العالم ستريتير Streeter: إن إنجيل مرقس هو السَّابق على كلِّ من إنجيل متى وإنجيل لوقا.

Burnett Hillman Streeter, *The Four Gospels, A Study of Origins*, London, 1961, p. 195.

وجدير بالذكر هنا، أنّه وُجدت شذرات لكلِّ من إنجيل القديس متى وإنجيل القديس يوحنا مدوّنة على ورق بردي، في مصر، تعود إلى القرن الثَّاني الميلادي.



وهكذا تغرب شمس القرن الأوّل الميلادي على كنيسة الإسكندرية، بدون أن يمدّنا التاريخ بأية معلومات شافية، لا عن نظام الحياة الليتورجية فيها، ولا عن الأساقفة الذين تعاقبوا على رئاسة كرسيها الأسقفي - وهم أربعة أساقفة شهد آخرهم التسع سنوات الأولى من بداية القرن الثاني الميلادي - اللهم إلاّ التذر اليسير جداً عنهم. إذ نكاد لا نعرف سوى أسمائهم، وسنوات جلوسهم على الكرسي المرقسي فحسب.



### الفصل الثالث

سيرة القديس مرقس واستشهاده

وسير البطاركة التالين له

كما وردت في كتاب "تاريخ البطاركة"

المنسوب للأبنا ساويرس بن المقفع

## تمهيد

لقد سبق أن ذكرت، أنه ليست لدينا أية مصادر وثائقية قبل العلامة كليمنديس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م)، تربط بين القديس مرقس الرسول، وكنيسة الإسكندرية. وحتى هذه الشهادة كانت محل نقد<sup>(١)</sup>.

أما وثيقة "أعمال مرقس"، والتي تعود إلى أواخر القرن الرابع الميلادي، فهي أقدم مصدر معروف حتى الآن، يشرح كرازات القديس مرقس بالمسيحية في مصر.

وأما عن خلفاء القديس مرقس من البطاركة الذين جلسوا على الكرسي المرقسي من بعده، فإن مصادرنا بخصوصهم لا تعود لأبعد من القرن الرابع الميلادي، وبالتحديد بدءاً من يوسابيوس القيصري (٢٦٤-٣٤٠م).

وبخصوص أنيانوس البطريك، لا نعرف شيئاً عنه قبل زمن يوسابيوس في القرن الرابع الميلادي. بل إن يوسابيوس نفسه لم يذكر عنه سوى اسمه فقط، كأول خليفة للقديس مرقس الرسول. وبدون أية معلومات أخرى. وإن كان يوسابيوس يعرف شيئاً عما ورد في وثيقة "أعمال مرقس"، عن لقاء القديس مرقس بأنيانوس، فإنه من المستغرب أن يصمت عن ذلك الأمر في تدوينه لتاريخه. ومع الأسف، فإن ثدرة المعلومات وشحها عند يوسابيوس تتكرر عند ذكره للعشرة بطاركة التالين للقديس مرقس، حيث

1. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 14.

وهو ما تجد شرحه في (ص ٥٥) من هذا الكتاب الذي بين يديك.

أورد أسماءهم بالتتابع بدون أي شيء عن تاريخ حياتهم، باستثناء سنوات جلوسهم على الكرسي.

والسُّطور التَّالية، وحتى نهاية هذا الفصل، هي نصُّ سيرة القديس مرقس الرَّسول، مع سيرة البطريركين التَّالين له، وهما أنيانوس ومليانوس، حيث نكمِّل بقية سير العشرة بطارقة الأوائل<sup>(٢)</sup> بعد القديس مرقس الرَّسول، في الفصل التَّالي مباشرة، حيث عاشوا في القرن الثَّاني الميلادي. ونصُّ سيرهم هي طبقاً لتحقيق العالم إيفيتس B. Evetts لكتاب: "تاريخ بطارقة الكنيسة القبطية"، المنسوب لأنبا ساويرس بن المقفَّع<sup>(٣)</sup>. بالمقارنة مع ما يذكره يوسابيوس القيصري عنهم.

وطبقاً للعالم إيفيتس Evetts فإنَّ النصَّ الموجود في المتن منقول عن مخطوط عربي رقم (301 et 302) بالمكتبة الأهلية بباريس. والذي رمز له إيفيتس Evetts بالحرف (أ). ثمَّ قارن إيفيتس نصَّ هذا المخطوط المذكور مع مخطوطات أخرى، وقام بتدوين الاختلافات الأساسية بينها. وهذه المخطوطات هي:

(ب) المخطوط رقم (add. 26.600) بالمكتبة البريطانية.

(ج) المخطوط رقم (or. 1338) بالمكتبة البريطانية.

(د) المخطوط رقم (620). بمكتبة الفاتيكان.

(هـ) المخطوط رقم (686). بمكتبة الفاتيكان<sup>(٤)</sup>.

٢- أي حتى البطريرك يوليانوس الحادي عشر. وهي فترة مبهمه نوعاً في تاريخ الكنيسة القبطية. ولكن بدءاً من البابا ديمتريوس الثَّاني عشر بدأ التَّاريخ يتضح.

3- B. Evetts, *History of The Patriarchs of The Coptic Church of Alexandria I, Saint Mark to Theonas (300), Arabic Text Edition, Translated and Annotated*, Patrologia Orientalis, I, Paris, 1904.

٤- بعد فحص المخطوطات المذكورة في المتن، وجدتُ أنَّ هذا المخطوط رقم

(و) المخطوط رقم (٤٧٧٣) بالمكتبة الأهلية بباريس.

وقد دونت في المتن بعض أسماء الأعلام بالإنجليزية، طبقاً للمرجع المذكور، وهي ليست من الأصل. وذلك تفادياً لإيراد هذه الأسماء كما وردت في المخطوطات المذكورة، لأنها تختلف بينها من حيث الهجاء، اختلافات واضحة، وذلك إما لجهل الناسخ وعدم معرفته، أو لخطأ في النسخة نفسها.

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد<sup>(٥)</sup>

السيرة الأولى من سير البيعة المقدسة. سيرة ماري مرقس الحواري الإنجيلي، رئيس أساقفة المدينة العظمى الإسكندرية وأوهم

”لما كان في زمان تدبير الرب المخلص الرجوم، يسوع المسيح، عندما جعل له تلاميذ يتبعونه، كان أخوان ساكنين في مدينة من أعمال الخمس مدن التي في المغرب، تُدعى كيرنابولوس Cyrene ، اسم أكبرهما أرسطوبولس Aristobulus ، واسم الآخر برنابس Barnabas ، وكانا فلاحين، وكانا يزرعان ويحصدان. وكان لهما أواسي<sup>(٦)</sup> كثيرة، وكانا عارفين بناموس موسى معرفة جيدة، وحفظاً كتباً كثيرة من العتيقة، ونالتها بلايا عظيمة من قبيلتي البربر والحبش، ونهب جميع ما كان لهما في زمان أوغسطس August قيصر ملك الروم. ولأجل ذهاب مالهما وما

(٦٨٦). بمكتبة الفاتيكان، هو أفضلها جميعاً. وهو ما سيلحظه القارئ بنفسه.

5. P.O., I, 135-140.

٦- كلمة ”أواسي“ هي صيغة جمع للكلمة اليونانية οὐσία (أوسيا). وهي تعني ”أموالاً“. وقد استخدمت بمعنى ”مال“ في لوقا ١٥: ١٢، ١٣

نزل عليهما من البلايا، رحلا من تلك الكورة، واهتما بخلاص أنفسهما، وانتجعا إلى بلاد اليهود.

وكان لأرسطوبولس Aristobulus ولدٌ ذكرٌ يُسمّى يوحنا John . فلما سكنوا في أعمال فلسطين بالقرب من مدينة أورشليم Jerusalem ، كان يوحنا John الطّفل ينمو وينشأ في قامته بنعمة روح القُدُس. وكان لهذين الأخوين ابنة عم، وهي زوجة سمعان بطرس Simon Peter ، الذي صار رئيس تلاميذ السيّد المسيح. وكان يوحنا John المذكور قد سمّوه مرقس Mark . وكان يأوى عند بطرس Peter ، ويتعلّم منه من الكُتُب المقدّسة التّعاليم المسيحيّة.

ولما كان يوم من الأيام، أخذ أرسطوبولس Aristobulus ولده مرقس Mark إلى الأردن. فبينما هما ماشيان، لقيهما أسدٌ ولبؤة. فلما نظر أرسطوبولس Aristobulus إليهما مقبلين إليه، ونظر شدّة غضبهما، قال لولده مرقس Mark: 'يا ولدي، هوذا تنظر غضب هذا الأسد المقبل ليهلكنا، فامض أنت الآن، وانج بنفسك يا ولدي، ودعهما أن يأكلاني، فكما أراد الله ضابط الكل'. أجاب تلميذ المسيح مرقص Mark القديس قائلاً لأبيه: 'لا تخف يا أبت، المسيح الذي أوّمن به، ينجينا من كل شدّة'. فلما قرب منهم الأسد، صاح عليهما مرقص Mark تلميذ السيّد المسيح بصوت عظيم وقال: 'السيّد يسوع المسيح ابن الله الحق يأمركما أن تنشقاً وينقطع جنسكما من هذا الجبل، ولا يكون لكما فيه ولدٌ إلى الأبد'. فانشق الأسد واللّبؤة للوقت والسّاعة من وسطهما، وماتا لوقتتهما من تلك السّاعة، وانقطع نسلهما. فلما نظر أرسطوبولس Aristobulus أبوه هذه الأعجوبة العظيمة التي ظهرت من مرقص Mark ولده بقوة الرّب يسوع المسيح الذي لا يُغلب، قال لولده: 'أنا أبوك الذي ولدتك يا

مرقس Mark ابني. وأنت اليوم أبي ومخلصي ومنجني. والآن يا ولدي الحبيب، أنا وأخي نسألك أن تجعلنا عبيداً للرب يسوع المسيح الذي تُبشّر به. وحينئذ تعلم أبو القديس مرقس Mark، وعمه، تعاليم المسيح في ذلك اليوم، ومريم أمه هي أخت برنابا Barnabas، تلميذ الرُّسل.

وبعد هذا كان في تلك النواحي في بلد يُسمّى أزودود Azotus أصل زيتون كبير جداً. وكان الناس يتعجبون من عظمته<sup>(٧)</sup>، وكان أهل تلك المدينة يسجدون للقمر، ويصلون لشجرة الزيتون. فنظر القديس مرقس Mark صلاتهم، وقال لهم: 'هذه الزيتون التي تأكلون ثمرها، وتوقدون أغصانها للنار، ثم تسجدون لها كإله<sup>(٨)</sup>، ماذا تصنع؟ هوذا بكلمة الله الذي أعبده أمر هذه الشجرة أن تسقط على الأرض بلا حديد يدنو منها'. فقالوا له: 'نحن نعلم أنك تعمل سحر الجليلي صاحبك، ومهما أردته فعلته. ونحن فندعو إلهنا القمر الذي أقام لنا هذه الشجرة الزيتون نُصلي لها'. أجاب القديس مرقس Mark وقال لهم: 'أنا أطرحها على الأرض، فإن أقامها إلهكم، فأنا أعبده معكم'. فرضوا بهذا القول منه. وأبعدوا جميع الناس عنها، وقالوا: 'انظروا لئلا يكون إنسان محتفياً فيها'. حينئذ رفع القديس مرقس Mark وجهه إلى السماء<sup>(٩)</sup>،<sup>(١٠)</sup> وحول وجهه ناحية المشرق، وفتح فاه ودعا وقال: 'يا سيدي يسوع المسيح ابن الله الحي، اسمع عبدك، وأمر القمر الذي هو خادم ثان لهذا العالم الذي يضيء في

٧- (أ): "عظمه".

٨- (أ): "كإله".

٩- (هـ)، (و): " + وصلي".

١٠- (هـ)، (و): " - وحول وجهه إلى ناحية المشرق ... وفي تلك الساعة".

وهذا يريك قارئي العزيز، كيف يستطيع الناس أن يضيف من عنده كل هذا الكم الكبير من الإضافات. ومن هنا، كان تحقيق المخطوطات عملاً أساسياً لاستيضاح الأصول الأولى لأي نص.



الليل بأمرك وسُلطانك، أن يُظهر صوته على هؤلاء الذين ليس لهم إله، ويعرفهم من خلقه وخلق جميع الخليقة، ومن هو الله، حتى يعبدوه. وأنا أعلم يا ربي وإلهي<sup>(١١)</sup> أن ليس له صوت ولا نطق، ولا جرت عادته أن يكلم أحداً لكي يسمع كلامه في هذه الساعة بقوتك التي لا تقاوم، ليعرف هؤلاء الذين ليس لهم إله<sup>(١٢)</sup>، أن ليس هو إلهاً<sup>(١٣)</sup>، لكنّه خادِم تحت سُلطانك، وأنت إله. وهذه الشجرة التي يُصلُّون لها تقع على الأرض، ليعرف الكل ربوبيتك، أن ليس إله إلا أنت، والآب الصَّالح، والروح القدس المحيي إلى الأبد آمين. وفي تلك الساعة<sup>(١٤)</sup> عند تمام صلاته، حدثت ظلمة عظيمة نصف النهار، وظهر لهم القمر<sup>(١٥)</sup> مضيئاً في السماء<sup>(١٥)</sup>، وسمعوا صوتاً من القمر قائلاً: "أيها النَّاس القليلو الإيمان، لست أنا الله فتعبدوني، بل أنا عبد الله، ومن بعض خلقه. وأنا خادِم المسيح ربي الذي يبشر به هذا، مرقس Mark تلميذه. فهو وحده الذي نعبد ونخدمه"<sup>(١٦)</sup>. عند ذلك سقطت شجرة الزيتون، وصار خوفٌ عظيمٌ عظيمٌ على كلِّ من شاهد هذه الأعجوبة. فأماً القوم الذين كانوا يُخدِّمون الشجرة ويسجدون لها، فإنهم غضبوا وخرقوا ثيابهم، ومسكوا القديس مرقس Mark وضربوه، وسلّموه لليهود المخالفين، وطرحوه في السَّجن. وفي تلك الليلة، رأى القديس مرقس Mark في نومه، السيّد المسيح يقول لبطرس Peter: "أنا أخرج كلَّ من هو معتقل". فلما انتبه من نومه رأى أبواب السَّجن مفتوحة، فخرج هو وكلُّ من كان معه في السَّجن. وكانوا

١١- (أ): "والاهي".

١٢- (أ): "الاه".

١٣- (أ): "الاه".

١٤- (هـ)، و(و): "كما طلب القديس".

١٥- (هـ)، و(و): "مضيئاً في السماء".

١٦- (هـ)، و(و): "تلميذه. فهو وحده الذي نعبد ونخدمه".

حفظة السَّجْن نياماً كالأموات. فأماً الجموع الذين شاهدوا ما كان، قالوا: 'ما يتم لنا عمل مع هؤلاء الجليليين، لأنهم يفعلون هذه الأفعال ببعزبول Beelzebub رئيس الشياطين'. وكان مرقس Mark من<sup>(١٧)</sup> السَّبعين تلميذاً، وهو الذي حمل الجرَّة الماء في بيت سمعان القيرواني<sup>(١٨)</sup> Simon the Cyrenian في وقت العشاء السَّري. وهو أيضاً الذي كان يأوي التلاميذ في منزله في زمان آلام السيِّد المسيح. ومن بعد قيامته من الأموات، حيث دخل عليهم والأبواب مغلقة. وبعد صعوده إلى السَّماء، مضى مرقس Mark مع بطرس Peter إلى أورشليم<sup>(١٩)</sup> Jerusalem، وبشراً الجموع بكلام الله. وظهر الرُّوح القُدس لبطرس Peter، وأمره أن يمضي إلى المَدُن والقُرى التي هناك، فمضى بطرس Peter ومعه مرقس Mark إلى عمل<sup>(٢٠)</sup> بيت عنيا Bethany، وبشراً بكلام الله. وأقام بطرس هناك أياماً. فنظر في المنام ملاك الله يقول له: 'في كورتين<sup>(٢١)</sup> غلاء عظيم'.<sup>(٢٢)</sup> فقال بطرس للملاك: 'أي الكور تعني؟' قال له: 'مدينة الإسكندرية وكورة مصر، وكورة رومية<sup>(٢٣)</sup>'. وليس هو غلاء من خُبز وماء، بل هو غلاء<sup>(٢٢)</sup> من قلة معرفة كلام الله الذي تبشَّر به. فلما استيقظ بطرس Peter من نومه، قال لمرقس Mark ما شاهده في منامه. ومن بعد ذلك مضى بطرس

١٧- (هـ): "مع".

١٨- (أ): "القيرواني".

١٩- (أ): "بروشليم".

٢٠- أي مقاطعة أو منطقة district .

٢١- (هـ)، و(و): "كورة مصر والإسكندرية".

٢٢- (هـ)، و(و): " - فقال بطرس للملاك ... بل هو غلاء".

انظر التعقيب الذي ورد على الحاشية رقم (١٠).

٢٣- يضيف العالم إيفيتس Evetts عبارة "كورة رومية" على النَّص. ويذكر في الهامش أن جميع المخطوطات قيد الدِّراسة لم تذكر هاتين الكلمتين. ولكنَّه أضافهما، لأنَّ سياق النَّص يستوجب ذلك.

ومرقس إلى أعمال<sup>(20)</sup> رومية، وبشرا هناك بكلام الله. ولما كان في السنة الخامسة عشرة من بعد صعود المسيح، أنفذ القديس بطرس ماري مرقس الأب الإنجيلي إلى مدينة الإسكندرية، ليبشّر فيها، ويكرز بكلام الله، وإنجيل السيّد يسوع المسيح، الذي له ينبغي المجد والكرامة والسُّجود، وللآب والروح القدس، الله الواحد إلى الأبد. آمين.“

شهادة القديس ماري مرقس وبشارته بمدينة الإسكندرية<sup>(٢٤)</sup>، وهي الثانية من سير البيعة<sup>(٢٥)</sup>

”ولما كان في زمان تدبير الربّ المُخلّص يسوع المسيح، من بعد صعوده إلى السّماء، قسم جميع الكور على الرُّسل بإلهام الروح القدس، ليكرزوا فيها بكلام البشارة بالسيّد يسوع المسيح. ومن بعد زمان، وقع نصيب مرقس الإنجيلي أن يمضي إلى كورة مصر، ومدينة الإسكندرية العظمى بأمر الروح القدس، لكي يسمّعهم كلام إنجيل السيّد المسيح<sup>(٢٦)</sup>، ويثبتهم عليه لأجل ضلالتهم وانغماسهم في عبادة الأوثان، وعبادة المخلوق دون الخالق<sup>(26)</sup>. وكان عندهم براي كثيرة لأهتهم المرذولة، يخدمونها في كل مكان، ويعبدونها بكلّ إثم وسحر، ويدبحون لها بينهم قرايين، لأنه أوّل من كرز في كورة مصر وأفريقيا والخمس المُدُن وجميع أعمالها<sup>(٢٧)</sup>. فلما عاد القديس مرقس من رومية وقصد إلى الخمس مدن أوّلاً، وبشّر في جميع أعمالها بكلام الله،<sup>(٢٨)</sup> وأظهر عجائب كثيرة، حتى

24. P.O., I, 141-148.

٢٥ - (د)، و(هـ)، و(و): ”- وهي الثانية من سير البيعة“.

٢٦ - (هـ)، و(و): ”+ ويردهم من ضلالتهم“ - ”ويثبتهم عليه ... دون الخالق“.

٢٧ - (هـ)، و(و): ”- يخدمونها في كل مكان ... وجميع أعمالها“.

٢٨ - (هـ)، و(و): ”- وأظهر عجائب ... الحالة فيه“.

أنه أبرأ الأعلاء وطهرَّ البرص، وأخرج الشياطين بنعمة الله الحالة فيه<sup>(28)</sup>.  
 وآمن كثير بالسيد المسيح من أجله، وكسروا أوثانهم التي كانوا يعبدونها،  
 وكل الشجر التي كانت الشياطين تأوى إليه، وتخاطب الناس منها<sup>(٢٩)</sup>،  
 وعمدَّهم باسم<sup>(٣٠)</sup> الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد. ولذلك  
 ظهر له الروح القدس، وقال له: 'قم امض إلى مدينة الإسكندرية لتزرع  
 فيها الزرع الجيد، الذي هو كلام الله'. فقام تلميذ المسيح، وهض وتقوى  
 بروح القدس، كمثل مقاتل في الحرب، وسلم على الإخوة وودَّعهم،  
 وقال لهم: 'السيد يسوع المسيح يُسهِّل طريقي لأمضي إلى الإسكندرية،  
 وأبشِّر فيها بإنجيله المقدس'. ثم دعا<sup>(٣١)</sup> <sup>(٣٢)</sup> وقال: 'ياربُّ ثبتَّ الإخوة  
 الذين قد عرفوا اسمك المقدس، وأعود إليهم فرحاً بهم'. فشيعوه  
 الإخوة<sup>(32)</sup>. وتوجَّه إلى مدينة الإسكندرية، فلماً دخل من بابها انقطع  
 شمع<sup>(٣٣)</sup> حذائه. فلماً رأى ذلك، قال: 'الآن قد علمتُ أن الربَّ سهَّل  
 طريقي'. ثم التفت فظفر إلى إسكافي<sup>(٣٤)</sup> هناك، فتقدَّم إليه، ودفع له الحذاء  
 ليصلحه. فلماً أخذه الإسكافي وتناول الشفا ليعمله، ثقب الشفا كفه.  
 فقال: 'يس أو<sup>(٣٥)</sup> ثاوس<sup>(٣٦)</sup> الذي تأويله الواحد الله. فلماً سمعه القديس  
 مرقس Mark يذكر اسم الله، فرح جداً، وحولَّ وجهه إلى الشرق، وقال:  
 'يا سيدي يسوع، أنت الذي تسهِّل طريقي في كلِّ مكان'. ثم ثقل على

٢٩- (هـ)، و(و): " + وصنع فيهم آيات وعجائب كثيرة".

٣٠- (هـ)، و(و): " + باسم الثالوث المقدس".

٣١- (هـ): " + لهم أن الله يثبتهم على الإيمان".

٣٢- (هـ): " - وقال يارب ... فشيعوه الإخوة".

٣٣- أي سير strap.

٣٤- حرفياً: "إسكاف".

٣٥- جميع المخطوطات قيد الدراسة: " - أو". وهذه الإضافة التي أضافها إيفيتس، وهي

حرف النداء Ó (أو) (في اليونانية) ليست في محلها.

٣٦- Heis ho Theos.

الأرض، وأخذ منه طيناً، ووضعه على موضع تُقب الشفا في يد الإسكافي، وقال: 'باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد الحي الأبدي، تُعافي يدي هذا الإنسان في هذه الساعة، ليمتجد اسمك القدوس'. فعوفيت يده في تلك الساعة. قال له القديس مرقس: 'إذا كنت تعرف أن الله واحد، فلماذا تُعبُد هذه الآلهة الكثيرة؟' قال له: 'نحن نذكر الله بأفواهنا لا غير، وما نعرف من هو'. وبقي الإسكافي متعجباً من قوة الله الحالة في القديس مرقس. ثم قال له: 'أنا أسألك يا رجل الله أن تصير إلى منزل عبدك، تستريح وتأكل خبزاً<sup>(٣٧)</sup> لأني أراك اليوم قد رحمتني'. ففرح القديس مرقس وقال له: 'يعطيك الرب خبز الحياة في السموات'<sup>(37)</sup>. ومضى معه إلى بيته. فلما دخل منزله، قال: 'بركة الله تكون في هذا البيت'. وصلّى. فلما أكلوا قال له الإسكافي: 'يا أبي أريد أن تعرفني من أنت الذي عملت هذه الأعجوبة العظيمة'. فأجاب القديس وقال له: 'أنا أعبد يسوع المسيح ابن الله الحي إلى الأبد'. قال له الإسكافي: 'أنا أريد أن أبصره'. قال له القديس مرقس: 'أنا أدعك أن تنظره'. ثم بدأ ينص له إنجيل البشارة، وقوله والمجد والعز<sup>(38)</sup> والسلطان الذي لله من البداية. ووعظه بمواعظ وتعاليم كثيرة، يُشهد بها سيرته. ثم انتهى معه إلى أن قال له: 'إن السيّد المسيح في آخر الزمان تجسّد من مريم العذراء، وجاء إلى العالم، وخلصنا من خطايانا'. وبيّن له ما ثبت به الأنبياء عليه شيئاً فشيئاً. فقال له الإسكافي: 'هذه الكتب التي ذكرتها، ما سمعت بها قط. لكن كتب الفلاسفة اليونانيين هي التي تعلمها الناس أولادهم ههنا. وكذلك المصريون'. فقال له القديس مرقس: 'فلاسفة هذا العالم، باطل عند الله حكمتهم'. فلما سمع الإسكافي الحكمة وكلام الكتب من القديس مرقس،

٣٧- (هـ): " - لأني أراك اليوم ... في السموات ".

٣٨- صحتها: " والعزة ".

مع ما<sup>(٣٩)</sup> نظره من العجب العظيم الذي فعله في يده، مال قلبه إليه، وآمن وآمن بالرَّب، وتعمَّد هو وكلُّ أهل بيته، وكلُّ من يجاوره. وكان اسمه أنيانوس Anianus. فلما كثر المؤمنون بالمسيح، وسمع أهل المدينة أن رجلاً يهودياً جليلاً قد دخل إليها، وهو يريد أن يقلب عبادة الأوثان آهتهم، وقد منع جماعة من عبادتها، طلبوه في كلِّ مكان، ونصبوا له قوماً يرصدونه. فلما علم القديس مرقس مؤامرتهم، قسم أنيانوس Anianus أسقفاً للإسكندرية، وثلاثة قسوس، وسبعة شمامسة. هؤلاء الأحد عشر، جعلهم يخدمون ويثبتون الإخوة المؤمنين. وخرج من عندهم ومضى إلى الخمس مُدُن. وأقام بها سنتين يُبشِّرُ ويرسم أساقفة وقسوساً وشمامسة في كلِّ أعمالها. وعاد إلى مدينة الإسكندرية، فوجد الإخوة قد تثبتوا على الأمانة، وكثروا بنعمة الله، واهتموا أن يبنوا بيعة في موضع يُعرف بمراعي البهائم، قريبة من البحر عند صخرة يُقطع منها الحجارة. ففرح القديس مرقس بذلك فرحاً عظيماً، وسجد على ركبتيه، وبارك الله، إذ ثبتت خُدَّام الأمانة الذين ربَّتهم في تعاليم السيِّد المسيح، ونكثوا عن عبادة الأوثان. فلما علم أولئك الكفرة أن القديس مرقس قد عاد إلى الإسكندرية، امتلأوا غضباً لأجل الأعمال التي يعملها المؤمنون بالمسيح من إبراء الأمراض، وإخراج الشياطين، وإطلاق ألسنة الخرس، وإسماع الطُّرش، وتطهير البُرس. وبخثوا عن القديس مرقس بغضب عظيم، فلم يجدوه. وصرُّوا عليه بأسنانهم في برايبهم، ومواضع أوثانهم بغضب، وقالوا: 'ما تنظرون ظلم هذا السَّاحر؟' فلما كان في أحد السُّبوت، يوم عيد فصح السيِّد المسيح، اتفق في تلك السَّنَة، يوم تسعة وعشرين من برمودة، وكان أيضاً عيد الكُفَّار الوثنيين، طلبوه باجتهاد فوجدوه على الهيكل، فهجموا وأخذوه، وجعلوا في حلقه حبلاً، وجرُّوه على الأرض، وكانوا يقولون:

‘جرؤوا التنين في دار البقر’. وكان القديس إذا جرؤه يُسبح الله ويقول: ‘الشكر لك يارب، إذ جعلتني مستحقاً أن أتألم على اسمك القدوس’. وكان لحمه يتقطع ويلتصق بحجارة الشوارع، ودمه يجري على الأرض. فلما كان المساء، مضوا به إلى الاعتقال، حتى يتشاوروا بأي هلاك يهلكونه. فلما انتصف الليل وأبواب السجن مغلقة، والحراس نياماً على الأبواب، وإذا زلزلة عظيمة واضطراب شديد، فنزل له ملاك الرب من السماء، ودخل إلى القديس، وقال له: ‘يا مرقس عبد الله، هوذا قد كتب اسمك في سفر الحياة، وعُدت في جماعة القديسين، وروحك تسبح مع الملائكة في السموات، وجسدك لا يهلك ولا يزول من على الأرض’. فلما استيقظ من نومه، رفع عينيه إلى السماء، وقال: ‘أشكرك يا ربي يسوع المسيح، وأسألك أن تقبلي إليّ، لأتعم بصلاحك’. فلما تم هذا القول، نام أيضاً. فظهر له السيد المسيح في الشخص الذي يعرفه التلاميذ<sup>(٤٠)</sup>،<sup>(٤١)</sup> وقال له: ‘السلام لك يا مرقس الإنجيلي المصطفى’<sup>(٤١)</sup>. فقال له القديس: ‘أشكرك يا مخلصي يسوع المسيح، إذ جعلتني مستحقاً أن أتألم على اسمك القدوس’. ودفع له السيد المخلص سلامه، وغاب عنه. فلما انتبه وأصبح الصبح، اجتمع الجمع، وأخرجوا القديس من الحبس، وجعلوا في حلقة أيضاً حبلاً، وقالوا: ‘جرؤوا التنين في دار البقر’. وزحفوا بالقديس على الأرض، وهو يشكر السيد المسيح ويمجّده، ويقول: ‘أنا أسلم روحي في يديك يا إلهي’. قال القديس هذا القول وأسلم الروح. فجمع خدام الأوثان الأنجاس حطباً كثيراً في موضع يدعى الإنجيليون Angelion، ليحرقوا جسد القديس هناك. وكان بأمر الله ضبابٌ عظيمٌ وريحٌ شديدة، حتى ارتعدت الأرض، وهطلت أمطار كثيرة،

٤٠- (هـ): “+ وأعطاه السلام وعزاه”.

٤١- (هـ): “- وقال له السلام ... المصطفى”.

ومات قومٌ كثيرٌ من الخوف والرّعب. وكانوا يقولون 'إن زربس Serapis الصنم، افتقد الإنسان الذي قُتل في هذا اليوم'. فاجتمع الإخوة المؤمنون، وأخذوا جسد القديس ماري مرقس من الرماد، ولم يتغيّر فيه شيء، ومضوا به إلى البيعة التي كانوا يقدّسون فيها، وكفّوه، وصلّوا عليه كما جرت العادة. وحفروا له موضعاً، ودفنوا جسده فيه ليتّموا تذكاره في كلّ وقت بفرح وابتهاج، لأجل النعمة التي دفعها لهم السيّد المسيح على يديه في مدينة الإسكندريّة. وجعلوه إلى الشّرق من البيعة في اليوم الذي تمّت فيه شهادته<sup>(٤٢)</sup>، وهو أوّل من استشهد من الجليليين على اسم السيّد يسوع المسيح بالإسكندريّة<sup>(٤٣)</sup> في آخر يوم من برمودة

٤٢- ظلّ الجسد مع الرأس مدفوناً في كنيسة بوكاليا، وهي المعروفة باسم المغارة، أو دير أسفل الأرض، حتى سنة ٦٤٤م، إبّان الفتح العربي للبلاد، حين فشلت محاولة لسرقة الرأس بواسطة أحد البحّارة. ثمّ أخذها البابا بنيامين الـ ٣٨ من عمرو بن العاص، الذي أعطى البابا عشرة آلاف دينار لبناء كنيسة على اسم صاحب هذه الرأس. فبني كنيسة في الإسكندريّة كانت معروفة باسم المعلقة. واستقرّ الرأس فيها حتى القرن الحادي عشر. ثمّ انتقلت الرأس إلى دير القديس أنبا مقار، ربما في زمن البابا زخارياس (الـ ٦٤) في القرن الحادي عشر - وربما ارتبط اسم الهيكل البحري بكنيسة الدّير باسم مار مرقس بزمن وصول الرأس إلى الدّير. وهو يُسمّى الآن هيكل يوحنا المعمدان، لأنّ تحته مغارة موصدة (تمّ اكتشافها في سنة ١٩٧٩م)، مدفون فيها جسداً أليشع النبي، ويوحنا المعمدان، بعد خراب كنيستيهما عام ١٣١٢م وتحويلها إلى جامع النبي دانيال بالإسكندريّة - ثمّ تنقلت الرأس في بيوت أعيان الإسكندريّة حتى القرن الرابع عشر. وخوفاً عليها من السرقة وضعت الرأس مع جماجم أخرى للقديسين، في مقصورة بالجهة البحرية الشّرقيّة بالكنيسة المرقسيّة الحاليّة، حتى لا يمكن الاهتداء إليها، وذلك في أيام البابا بطرس السّادس (الـ ١٠٤).

أمّا الجسد فكان في كنيسة بوكاليا في يد الرّوم منذ القرن السّادس، حتى سرقة أهل البندقيّة سنة ٨٢٨م أو ٨٢٩م. وهو محفوظ في كنيسة مار مرقس بالبندقيّة حتى اليوم.

لشرح أوفر، انظر: البابا شنودة الثالث، مرجع سابق، ص ٦٨-٧٨، ١٥٢  
٤٣- (هـ): " - وهو أوّل ... بالإسكندريّة".



للمصريين<sup>(٤٤)</sup>، وهو ثمانية من قلنظر kalends مايس<sup>(٤٦)</sup> May من شهور الروم<sup>(٤٧)</sup> وهو أربعة وعشرون يوماً من نيسان من شهور العبرانيين. ونحن أيضاً بنو الأرثوذكسيين نُصعد المجد والتّقدّيس والترتيل لسيدنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذي له ينبغي المجد والكرامة والسُّجود، وللآب والروح القدس المحيي المساوي، الآن وكلّ أوان. صلّاته وشفاعته تكون معنا إلى أبد الأبد، آمين“.

### السيرة الثالثة من سير البيعة<sup>(٤٨)</sup>: أنيانوس البطرک وهو الثاني من العدد

”فلما تُوفي الإنجيلي مرقس رسول السيد يسوع المسيح، جلس بعده أنيانوس Anianus بطرکاً. وكثرت الإخوة المؤمنون بالمسيح، ووسمهم كهنة وخداماً. وأقام اثنتين وعشرين سنة، وتنيح في العشرين من هاتور السنة الثانية من ملك دوماتيوس Domitian ملك رومية“<sup>(٤٩)</sup>.

يوسايوس (٢: ٢٤): ”وفي السنة الثامنة من مُلك نيرون Nero سلّمت إلى أنيانوس Anianus إدارة إيارشيّة الإسكندريّة، خلفاً لمرقس الإنجيلي“.

٤٤- (هـ): ”+ صلّاته وشفاعته تكون معنا إلى أبد الأبد، آمين“.

٤٥- (هـ): ”- وهو ثمانية ... إلى أبد الأبد، آمين“.

٤٦- أي: مايو.

47- which is equivalent to the 8th day before the kalends of May among the monthes of the Romans.

Evetts, *op. cit.*, p. 148.

48. P.O., I, 149.

٤٩- جلس هذا البطريرك خلال الفترة من (٦٢-٨٥م).

## مليانوس البطرک وهو الثالث من العدد

”فاجتمع الشعب الأرثوذكسي، وتشاوروا، وأخذوا إنساناً اسمه مليانوس Avilius، وقسموه بطرکاً على كرسي ماري مرقس الإنجيلي عوض أنيانوس Anianus. وكان هذا مليانوس Avilius ذا عفاف. وثبت الشعب على معرفة<sup>(٥٠)</sup> المسيح. وكثر شعب الأرثوذكسيين بمصر والخمس مدن وأفريقية. وأقام اثني عشرة سنة على الكرسي. وكانت البيعة في أيامه تحت سلامة. وتنيح في أول يوم من توت في خامس عشر سنة من ملك الملك المقدم ذكره<sup>(٥١)</sup>. فسمع الكهنة والأساقفة الذين كانوا من قبله في البلاد، بأن البطرک تنيح، فحزنوا واجتمعوا إلى مدينة الإسكندرية، وتشاوروا مع الشعب الأرثوذكسي الذين فيها. وطرحوا القرعة، لكي يعرفوا من يستحق يجلس على كرسي القديس مرقس الإنجيلي، تلميذ السيد المسيح بعد هذا الأب مليانوس Avilius، فاتفق رأيهم بتأييد السيد المسيح ربنا على رجل مختار، خائف من الله اسمه كردنوس Cerdo“.

يوسايوس (٣: ١٤): ”أبيليوس Abilius ثاني أسقف على الإسكندرية. وفي السنة الرابعة لحكم دومتيانوس Domitian، مات أنيانوس Anianus أول أسقف لإيبارشية الإسكندرية بعد أن لبث في منصبه اثنتين وعشرين سنة. وخلفه أبيليوس Abilius ثاني أسقف“.

وهنا يكون القرن الأول قد انطوى. حيث نستكمل باقي العشرة بطاركة التالين للقديس مرقس الرسول، مع حلول القرن الثاني الميلادي.

٥٠- (ب): ”ملة“. (هـ): ”الإيمان بـ“.

٥١- جلس هذا البطريرك خلال الفترة من (٨٥-٨٦م).

الباب الثاني

القرن الثاني الميلادي



الفصل الأوّل  
أبرز شخصيّات القرن الثّاني الميلادي

## تمهيد

في هذا الفصل نُكْمَل سِير باقي العشرة بطاركة التالين للقديس مرقس الرسول - وهم في هذا الفصل ثمانية بطاركة - وذلك طبقاً لتحقيق العالم إيفيتس B. Evetts لكتاب: "تاريخ بطاركة الكنيسة القبطية"، المنسوب للأبنا ساويرس بن المقفع<sup>(١)</sup>. بالمقارنة مع ما يذكره يوسابيوس القيصري (٢٦٤-٣٤٠م) عنهم. ثم نتحدث عن أشهر ثلاثة شخصيات في هذا القرن.

## أولاً: سير الثمانية بطاركة من الرابع حتى الحادي عشر

## كردنوس البطرک وهو الرابع من العدد

"فأخذوه وأوسموه على كرسي الإسكندرية. وكان عفيفاً متضعاً معيماً<sup>(٢)</sup> في أيامه كلها. وأقام إحدى عشرة سنة في رئاسته، وتنيح في الحادي والعشرين يوماً من بؤونة في تسع سنين من ملك أدرينانوس Trajan الملك"<sup>(٣)</sup>.

يوسابيوس (٢١:٣): "بعد أن حكم نرفا Nerva ما يزيد قليلاً على

1- B. Evetts, *op. cit.*, Paris, 1904.

واختصاصات أسماء المخطوطات، والتي تجدها في الهامش عند ذكر سير البطاركة، طبقاً لتحقيق العالم إيفيتس Evetts تجدها شرحها في (ص ٧٧) من هذا الكتاب.

٢- innocent .

٣- جلس هذا البطريرك خلال الفترة من (٩٨-١٠٩م).

سنة، خلفه تراجان Trajan . وفي السنة الأولى من حكمه، تولى كرونوس Cerdo إدارة كنيسة الإسكندرية خلفاً لأبيليوس Abilius الذي رأسها ثلاث عشرة سنة. وكان ثالث رئيس لتلك الكنيسة بعد أنيانوس Anianus الذي كان هو الأوّل.“

### أبريموس البطرک وهو الخامس من العدد

”وبعد هذا، كان في شعب المسيح الأرثوذكسي، إنساناً اسمه أبريموس Primus . وكان عفيفاً كالملائكة، ويفعل أفعالاً حسنة بئسك. فتشاوروا عليه، وأخذوه وأوسموه على الكرسي الإنجيلي بطرکاً. فأقام اثنتي عشرة سنة، وكانت السّلامة في البيعة في أيامه. وتنيح في الثالث من مسرى، في خامس سنة من مُلك أدريانوس Hadrian الملك“<sup>(٤)</sup>.

يوسابيوس (١:٤): ”وفي السنة الثانية عشرة من حُكم تراجان Trajan مات أسقف إيارشية الإسكندرية السّالف الذكر. وانتخب بدلاً عنه بريموس Primus الخليفة الرابع من عهد الرُّسل“.

### يُسْطُس البطرک وهو السّادس في العدد

”وبعد هذا اجتمع الشّعب، ووقع اختيارهم على إنسان فاضل حكيم منهم، اسمه يوسطس Justus ، فوسموه بطرکاً. وأقام إحدى عشرة سنة<sup>(٥)</sup>، وتنيح في الثّاني عشر من بؤونة، في سادس عشر سنة من مُلك

٤- (ب)، و(هـ): ”+ ودفن مع آبائه“.

جلس هذا البطريرك على الكرسي من (١٠٩-١٢٢م).

٥- (هـ): ”+ في هدوء وسلامة، لا يمل من الوعظ والتعليم“.

أدريانوس Hadrian . ودُفن مع آباءه“<sup>(٦)</sup>.

يوسابيوس (٤:٤): ”وفي نفس هذا الوقت (أي السنة الثالثة من حكم أدريان Hadrian) مات بريموس Primus أسقف الإسكندرية في السنة الثانية عشرة من أسقفيته، وخلفه يسطس Justus“.

### أومانيوس البطرک وهو السابع من عدد الآباء

”بعد ذلك<sup>(٧)</sup> وسموا أومانيوس<sup>(٨)</sup> Eumenes بطركاً على كرسي الإسكندرية. فأقام ثلاث عشرة سنة يرضي الله والشعب. وتبيح في العاشر من بابه في السنة السادسة لأنطونيوس Antonius الملك“<sup>(٩)</sup>.

يوسابيوس (٥:٤): ”وفي نفس الوقت، بعد انقضاء فترة سنة وبضعة شهور، أقيم أومانيوس Eumenes ، وهو سادس أسقف بعد الرسل، لرئاسة كنيسة الإسكندرية بعد أن ظل سابقه أحد عشرة سنة في مركز الأسقفية“.

### مرقيانوس البطرک وهو الثامن من عدد الآباء

”لما مضى البطرک المذكور، اجتمع الشعب، وأخذوا إنساناً محباً لله اسمه مرقيانوس Mark وأوسموه بطركاً، وأجلسوه على كرسي البشير ماري مرقس. وأقام تسع سنين وشهوراً بسيرة عجيبة، وتبيح في اليوم

٦- جلس هذا البطريرك على الكرسي من (١٢٢-١٣٠م).

ويذكر عنه سنكسار الكنيسة الإثيوبية، أن القديس مرقس هو الذي عمده.

٧- (هـ): ”+ اجتمع الشعب، ووقع اختيارهم على إنسان عالم فاضل، متضعاً عفيفاً، اسمه أومانيوس، وأوسموه“.

٨- (هـ): ”- وسموا أومانيوس“.

٩- جلس هذا البطريرك على الكرسي من (١٣٠-١٤٢م).



السَّادس من طوبه، في السنَّة الخامسة عشرة لأنطونيُس Antonius الملك“ (١٠).

يوسابيوس (١١:٤): ”وفي الإسكندريَّة عُيِّن مرقس Mark (أو مركيانوس Marcianus) راعياً بعد أن ظلَّ أومانوس Eumenes في مركزه ثلاث عشرة سنة“.

### كلاديانوس البطرک وهو التاسع من عدد الآباء

”كان في تلك الأيام في الشَّعب، إنسانٌ محبٌ لله اسمه كلاديانوس Celadion . فاجتمع الشَّعب والأساقفة الذين كانوا في الإسكندريَّة في تلك الأيام، وأخذوه ووسموه بطرکاً على الكرسي الإنجيلي . وكان محبوباً من جميع الشَّعب . وأقام أربع عشرة سنة من ملك أورالياس Aurelius والارفيارس Verus ولَدَي الملك. (١١) وتبيَّح في التاسع من أيَّسب (١١)، وكُفِّن، ودُفِن مع آبائه البطاركة المقدم ذكرهم“ (١٢).

يوسابيوس (١١:٤): ”وعندما مات مرقس Mark (أو مركيانوس Marcianus)، بعد أن ظلَّ في مركزه عشر سنوات، خلفه كالوتيانوس Celadion في إدارة كنيسة الإسكندريَّة“.

### أغريبنوس البطرک وهو العاشر من العدد

”ثمَّ أنَّ الشَّعب اجتمعوا أيضاً باتِّفاق، وجعلوا أيديهم على إنسان من الشَّعب، خائف من الله اسمه أغريبنوس Agrippinus ، ووسموه بطرکاً، وأجلسوه على الكرسي الإنجيلي . وأقام اثنتي عشرة سنة، وتبيَّح في

١٠- جلس هذا البطرک على الكرسي من (١٤٣-١٥٤م).

١١- (أ)، (ب)، (ج)، (د): ”- وتبيَّح في التاسع من أيَّسب“.

١٢- جلس هذا البطرک على الكرسي من (١٥٧-١٦٧م).

الخامس من أمشير، في السنة التاسعة عشرة من مُلك الملوك المذكورين“ (١٣).

يوسابيوس (٤: ١٩): ”وبعد أن رأس كيلاديون Celadion كنيسة الإسكندرية أربع عشرة سنة، خلفه أغريبينوس Agrippinus“.

### يوليانوس البطرك وهو الحادي عشر من العدد

”كان إنساناً قسّاً حكيماً، قد درس كُتُب الله، اسمه يوليانوس Julian ، سالكاً في طريق العفاف والتدبُّن والهدوء. فاجتمع جماعة أساقفة من السُّودس، والشَّعب الأرثوذكسي بمدينة الإسكندرية، وبحثوا عن جميع الشَّعب، فلم يجدوا مثل هذا القس، فجعلوا أيديهم عليه، وأوسموه بطركاً. فوضع ميامر ومقالات للقدِّيسين. وأقام عشر سنين. ومن بعد هذا البطرك لم يَقم أسقف الإسكندرية فيها بل صار يخرج سراً، ويوسم كهنة في كلِّ مكان، كما راي مرقس الإنجيلي. وتبيح المذكور في اليوم الثامن من برمهاة. (١٤) وقيل في ثاني عشر بابة (١٤) في السنة الخامسة من مُلك سوريانوس Severus المَلِك“ (١٥).

يوسابيوس (٥: ٩): ”تولَّى الحُكم كومودس Commodus . وفي السنة الأولى من حُكمه، أُقيم يوليانوس Julian أسقفًا على كنائس الإسكندرية بعد أن شغل أغريبينوس Agrippinus الأسقفية اثني عشرة سنة“.

### تعقيب

ومع جلوس البطريرك ديمتريوس الثاني عشر من بطاركة الكنيسة

١٣- جلس هذا البطريرك على الكرسي من (١٦٧-١٨٠م).

١٤- (أ)، و(ب)، و(ج)، و(د)، و(و): - وقيل في ثاني عشر بابة“.

١٥- جلس هذا البطريرك على الكرسي من (١٨٠-١٨٩م).

القبطية على الكرسي المرقسي، بدأت تتضح لنا معالم تاريخ الكنيسة القبطية المبكر. ودخلت الكنيسة القبطية مرحلة جديدة من تاريخها<sup>(١٦)</sup>. فيقول يوسابيوس عنه (٢٢:٥): "بعد أن أكمل يوليانوس Julian سنته العاشرة، أو ثمن ديمتريوس Demetrius على إيبارشيات<sup>(١٧)</sup> الإسكندرية". وفي كتابه السادس من تاريخ الكنيسة، أمدنا يوسابيوس بتفصيلات أوفر عن أسلوب إدارة ديمتريوس الأسقف لكنيسة الإسكندرية، وإخضاع التعليم الكنسي لسُلطان الكنيسة. وهو ما سنعود إليه مرة أخرى، عند الحديث عن العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م)، وعلاقته بمدرسة الإسكندرية، وبالأنبا ديمتريوس أسقف الإسكندرية.

وهكذا، وعلى مدى قرنين من الزمان، نكاد لا نعرف شيئاً عن العشرة بطاركة الذين خلفوا القديس مرقس في رئاسة كنيسة الإسكندرية. تلك الكنيسة التي ظلت مركزاً كنسياً مهماً في الكنيسة المسيحية المبكرة، ومصدراً لأقدم وثائق كنسية عرفها العالم.

ولكن ما هو سبب صمت المصادر المبكرة عن الإفصاح عن أي تفاصيل عن هؤلاء العشرة بطاركة الأوائل بعد القديس مرقس الرسول؟ لقد حاول والتر باور Walter Bauer أن يجيب على هذا السؤال، فقال إن

16. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 21.

١٧- "إيبارشيات" بصيغة الجمع، أي Paroikiai. وقد تعرضت هذه الكلمة لبحث من بعض العلماء، مثل العالم إدوارد هاردي Edward R. Hardy الذي يذكر في كتابه "مصر المسيحية" أن ما يذكره يوسابيوس هنا، ربما يفيد بدء تأسيس نظام الإيبارشيات في كنيسة مصر، كنظام لم يكن معروفاً قبل البطريك ديمتريوس. إذ ظلت كنيسة الإسكندرية حتى ذلك الوقت على شكل جماعات هنا وهناك تحت تدبير قساوستها.

سبب صمت المصادر المبكرة عن قادة الكنيسة المصرية في القرنين الأولين من الميلاد، نابع من حقيقة أنهم لم يكونوا مدافعين أكفاء عن المسيحية خلال تلك الفترة المبكرة من تاريخها، وأن الطابع المسيطر على المسيحية المبكرة في كنيسة مصر هو الطابع الغنوسي Gnostic type ، والذي اعتبرته الكنيسة الجامعة فيما بعد هرطوقياً. وأن الدليل على عدم أرثوذكسية الكنيسة القبطية في القرنين الأولين للميلاد، هو العثور على أناجيل غنوسية قديمة في مصر، خصوصاً إنجيل المصريين *Gospel of the Egyptians* ، وإنجيل العبرانيين *Gospel of the Hebrews* . وهما الإنجيلان اللذان - بحسب رأيه - يمثلان شكلاً للمسيحية فيها، قبل انتقالها إلى الأرثوذكسية. وبحسب رأي باور Bauer فإن الإيمان الأرثوذكسي قد تثبت في كنيسة الإسكندرية نحو نهاية القرن الثاني الميلادي في حبرية البطريرك ديمتريوس (١٨٩-٢٣١م). ففي هذا الوقت عينه، بدأ الأدب الغنوسي المبكر أن يتقلص ويضعف. وهو ذات الوقت الذي بدأ فيه تدوين تاريخ الكنيسة المسيحية في مصر. وهكذا فإن السبب الذي لأجله أمدنا يوسايبوس بندرة من المعلومات عن العشرة بطاركة الذين خلفوا القديس مرقس، هو أنه لم تكن لديه معلومات موثوق بها في هذا الأمر. وبحسب قول باور Bauer أيضاً، فإن هؤلاء العشرة بطاركة الأول هم: ”مجرد صدى، ونفخة دخان - a mere echo and a puff of smoke“<sup>(١٨)</sup>. ولقد قوبلت آراء باور Bauer باعتراضات قوية دامغة من الأوساط المسيحية، وكان من أفضل المهادمين لنظرية باور Bauer ، العالم المتخصص في تاريخ المسيحية المبكرة في مصر، وهو العالم كولين روبرتس Colin H. Roberts أشهر علماء البرديات في عالمنا المعاصر. وهو ما سيرد شرحه تفصيلاً في الفصل الرابع من هذا الباب، وهو بعنوان: ”الغنوسية وعلاقتها

18- Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 16.

بكنيسة الإسكندرية“.

ثانياً: أشهر ثلاث شخصيات عرفها القرن الثاني الميلادي، وكتاباتهم

يُعدُّ العلامة أثيناغوراس، مدير مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، ومن بعده العلامة بنتينوس (+ ١٩٠م)، ومن بعده العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م)، أشهر ثلاث شخصيات عرفها القرن الثاني الميلادي في كنيسة الإسكندرية. وحول هذه الشخصيات وكتاباتهم أفرّد السطور التالية.

(١) العلامة أثيناغوراس (التّصف الثاني من القرن الثاني)

يُعرف القليل جداً عن سيرته، لأنه ذُكر مرّة واحدة في الأدب المسيحي المبكر، وذلك في مقال لميثوديوس Methodius عن القيامة<sup>(١٩)</sup>.

وهو فيلسوف، يبدو أنه نشأ في أثينا، وفيها أسّس مدرسة فلسفية وثنية، وصار هو مديرها. وإذ درس المسيحية، عاكفاً على دراسة الكتاب المقدس، بغرض أن يتمكن من تفنيد المسيحية ودحضها، أمسكه الروح وآمن بالمسيح حوالي سنة ١٧٦م، وحوّل مدرسته إلى الكرازة بالمسيحية. وفي مرحلة لاحقة من حياته، نجده في الإسكندرية مديراً لمدرسة مسيحية<sup>(٢٠)</sup>.

19- Methodius, *De resurrectione* I,36,6 – 37,1.

Cf. J. Quasten, *Patrology*, vol. 1, 1984, p. 229.

٢٠- ليست لدينا أدلة وثائقية واضحة تُثبت أن أثيناغوراس كان مديراً لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية التي توالى على رئاستها كل من بنتينوس، وكليمنس، وأوريجانوس، وغيرهم. حيث لم يُشر "قاموس أكسفورد للكنيسة المسيحية" إلى ذلك. (ODCC, 2<sup>nd</sup> edition, p. 102, 103). والدكتور موريس جيرار Maurice Geerard في كتابه الشهير ذي الستة مجلدات "فهرس كتابات الآباء اليونان" *Clavic*

ونلمس في كتاباته، العقل الفلسفي الذي هذبته الثقافة اليونانية، مع ملكة رائعة في الكتابة<sup>(٢١)</sup>. وكان أقدر من يوستينوس في اللغة والأسلوب وترتيب المادة. بل كان - بلا جدال - أكثر المدافعين المسيحيين الأوائل بلاغة. وهو يجب الاقتباس من الشعراء والفلاسفة، مستخدماً المصطلحات الفلسفية في كتاباته<sup>(٢٢)</sup>.

### كتابه

أوردتُ كتاباته هنا - وهما كتابات وصلا إلينا - لاكتمال الفائدة لدى القارئ العزيز.

### • "توسل لأجل المسيحيين"

προσβεία περι τῶν χριστιανῶν

CPG 1070 ; PG 6, 889-972 ; ANF II, 129-148 ; SC 379, 70-209.

وعنوانه الكامل باليونانية هو<sup>(٢٣)</sup>:

Ἀθηναγόρου ἀθηναίου φιλοσόφου χριστιανοῦ προσβεία

*partum graecorum* (CPG) - والذي اعتمدنا عليه كمرجع أساسي في كتابنا "فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية، الكتابات اليونانية" - لم يضع كتابات هذا الفيلسوف ضمن كتابات آباء كنيسة الإسكندرية، بل وضعها ضمن كتابات الآباء المدافعين. ومن ثم لم يرد ذكره في "القاموس التاريخي للكنيسة القبطية".

Gawdat Gabra, *Historical Dictionary of the Coptic Church* (HDCC), The American University in Cairo Press, Cairo, 2008.

21. Schmid, *Manual of Patrology*, p. 97.

انظر: القمص تادرس يعقوب ملطي، نظرة شاملة لعلم الباتولوجي في السّنة قرون الأولى، الإسكندرية، ٢٠٠٨م، ص ٣٥

22. J. Quasten, *op. cit.*, p. 229.

23. SC 379, p.12, n.2.

περὶ Χριστιανῶν

أي: "من أثيناغوراس الفيلسوف الأثيني المسيحي، توسّل لأجل المسيحيين".

• "عن قيامة الأموات" — περὶ ἀναστάσεως νεκρῶν

CPG 1071 ; PG 6, 973-1024 ; ANF II, 149-162 ; SC 379, 214-316.

وقد نشر العالم بودرون B. Pouderon النص اليوناني لهذين الكتابين، مع ترجمة فرنسيّة لهما، وذلك في مجموعة "المصادر المسيحيّة" Sources chrétiennes في باريس سنة ١٩٩٢م، تحت العنوان التالي: "توسّل لأجل المسيحيين، وعن قيامة الأموات".

Athénagore, *Supplique au sujet des chrétiens et Sur la résurrection des morts*, introduction, texte et traduction par B. Pouderon, SC 379, Paris, 1992.

وكانت قد نُشرت ترجمة إنجليزية لهما في نهاية القرن التاسع عشر في مجموعة "آباء ما قبل نيقية" ANF. كما نُشرت ترجمة إنجليزية أحدث بواسطة العالم كريهان Crehan سنة ١٩٥٦م في لندن:

J. H. Crehan, *Athenagoras. Embassy for the Christians. The Resurrection of the Dead*, London, 1956.

### حول مضمون كتاباته

كُتِبَ كتابه الأوّل "توسّل لأجل المسيحيين" حوالي سنة ١٧٧م. ووجهه إلى الإمبراطور ماركوس أوريليوس أنطونيوس<sup>(٢٤)</sup>، وابنه لوكيوس

أوريلْيوس كومودوس<sup>(٢٥)</sup>. وهو يتكوّن من ٣٧ فصلاً، الثلاثة فصول الأولى منه بمثابة مقدّمة، ثمّ دفاع عن المسيحيّين، في ثلاثة اتهامات موجّهة إليهم من الوثنيّين، وهي: الإلحاد (Atheism)، وأكل لحوم البشر (Cannibalism)، وممارسة المعاشرات الأوديبيّة (Oedipean incest). ثمّ الفصل الأخير كفصل ختامي<sup>(٢٦)</sup>.

ويدافع عن المسيحي، قائلاً بأنّ معرفته عن الله هي أنقى وأكثر كمالاً من معرفة الفيلسوف عنه. وهي حقيقة تُثبتها الوقائع والأحداث وليس الكلمات. فيقول في ذلك: "مَنْ مِنَ الفلاسفة الوثنيّين لهم نفوس طاهرة هكذا، فبدلاً من أن يكرهوا أعداءهم، يحبّوهم. وبدلاً من أن يتكلّموا بالشرّ على الذين يطردوهم، يباركوهم. ويصلّون من أجل الذين يتأمرون بالشرّ على حياتهم". وهكذا يُبرز سمو الحياة المسيحيّة.

كما يتحدّث عن نظرة المسيحيّين المقدّسة للزّواج، وحُبّهم لحياة البتوليّة، ورفضهم للطلاق، وإيمانهم بقيامة الجسد<sup>(٢٧)</sup>.

وحين يمتدح البتوليّة، كإحدى ثمار الحياة المسيحيّة، يقول: "تجدون بيننا كثيرين من رجال ونساء، شاخوا وهم في البتوليّة، ولم يتزوّجوا. مترجّين الحياة في شركة أعمق مع الله".

وهو يرفض الزّواج الثّاني، حتى بعد موت أحد الزّوجين، وذلك بسبب نظرتّه لأبدية الزّواج، وأنه سرٌّ لا يقدر الموت أن يحلّه. وهو في

25- Lucius Aurelius Comodos.

26- J. Quasten, *op. cit.*, p. 229-231.

27- *Ibid.*, p.230, 231.



ذلك يتعارض مع تعليم الكنيسة المبني على الكتاب المقدس<sup>(٢٨)</sup>.

أمّا كتابه الثاني "عن قيامة الأموات"، فهو يحوي ٢٥ فصلاً. ويُعدُّ حديثه عن قيامة الأموات، أوّل محاولة يقوم بها كاتب مسيحي، ليؤكد عقيدة القيامة ببراهين فلسفيّة، وليس بدلائل من الكتاب المقدس وحده. ويُعتبر كتابه هذا، من أفضل ما كُتِب في هذا الشأن في الكتابات المسيحيّة المبكرة<sup>(٢٩)</sup>.

وينقسم الكتاب إلى قسمين:

الفصول (١-١٠) وهي تتحدّث عن الله والقيامة. موضعاً أنّ حكمة الله وعدله لا تتعارض مع القيامة من الأموات، بل تتوافق معها. ثمّ الفصول (١١-٢٥) وهي تتحدّث عن الإنسان والقيامة. فأولاً: القيامة ضرورة للطبيعة البشريّة، لأنّ الإنسان مخلوق لكي يحيا إلى الأبد (الفصلان ١٢، ١٣).

وثانياً: لأنه مُكوّن من جسد ونفس، وهذه الوحدة التي تنفصم بالموت، يلزم أن تُعاد مرّة أخرى بالقيامة من الموت، لكي يحيا الإنسان خالداً (الفصول ١٤-١٧).

وثالثاً: ينبغي أن يشترك الجسد مع النّفس في مكافأة العالم الآتي، كما اشتركا معاً في الأرض. وليس من العدل أن تكافأ النّفس وحدها بمعزل عن الجسد الذي شاركها كلّ شيء هنا على الأرض (الفصول ١٨-٢٣). ورابعاً: أنّ الإنسان مخلوق للسعادة الأبدية، التي لا تتحقق بوجوده

٢٨- انظر: ١ كورنثوس ٧: ٣٩

29- Altaner, *Patrology*, p. 130.

انظر: القمّص تادرس يعقوب ملطي، الكرازة ومدرسة إسكندريّة، مقال في مجلّة مدرسة الإسكندريّة، السّنة الأولى، العدد الأوّل، ٢٠٠٩م، ص ٣٥

هنا على الأرض، بل يلزمها حياة أخرى (الفصلان ٢٤، ٢٥) (٣٠).

### أهم أخطائه اللاهوتية

تلقب الكنيسة أثيناغوراس فيلسوفاً، وليس قديساً، ربما لسقوطه في بعض الأخطاء اللاهوتية. نذكر منها:

- دعا الشيطان أمير المادة، أقامه الله عليها ليسوسها.
- حسب أن النفس تُعدُّ ناقصة وغير كاملة، ما لم تتحد بالجسد.
- نادى بعدم معاقبة الأطفال على ما يفعلونه.
- نسب سقوط الشياطين إلى علاقات شهوانية مع بنات الناس، وأهم انسلوا منهم جابرة (٣١).

### (٢) العلامة بنتينوس (+ ١٩٠ م)

كان العلامة بنتينوس (+ ١٩٠ م) وثياً قبل اعتناقه المسيحية، وكان فيلسوفاً رواقياً. أما ملابسات اعتناقه المسيحية، فهي غير معروفة لدينا. وقد اشتهرت مدرسة الإسكندرية اللاهوتية مع رئاسة بنتينوس لها، وذلك خلال الفترة من سنة ١٨٠ م إلى سنة ١٩٠ م، وأيضاً في زمن كليمنس وأوريجانوس، وغيرهم، خلفائه في رئاستها. أمّا بدايات هذه المدرسة، فهي مجهولة لدينا. ويقول بعض المؤلفين الأقباط، أن القديس مرقس الرسول هو مؤسس هذه المدرسة، ولكن ليست هناك أدلة تاريخية تدعم هذا الرأي (٣٢).

وعن بنتينوس يقول يوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠ م):

30- J. Quasten, *op. cit.*, p. 231, 232.

٣١- نيافة الأنبا غريغوريوس، أثيناغوراس الفيلسوف المسيحي، ١٩٦١ م، ص ٣٦، ٣٧.  
مقتبس عن القمص تادرس يعقوب ملطي، نظرة شاملة...، مرجع سابق، ص ٣٨  
32- HDCC, 1st edition, p. 58, 59.

”عُهد إلى بنتينوس - وهو شخصٌ بارزٌ جداً بسبب علمه - إدارة مدرسة المؤمنين، إذ كانت قد أنشئت بها منذ الأزمنة القديمة مدرسة للتعاليم المقدسة، ولا زالت حتى يومنا هذا. وكان يديرها - كما وصل إلى علمنا - رجال في غاية المقدرة والغيرة نحو الإلهيات. وقيل إنه برز من بينهم في ذلك الوقت بنتينوس، لأنه تهذب بفلسفة الروافيين.

ويقال إنه أظهر غيرة شديدة نحو الكلمة الإلهية، حتى أنه عُين سفيراً لإنجيل المسيح للأمم التي في الشرق، ووصل حتى إلى الهند، لأنه كان لا يزال يوجد فعلاً الكثيرون من المبشرين بالكلمة، الذين سعوا باجتهد، أن يستخدموا غيرهم الإلهية على مثال الرُّسل، لزيادة انتشار وتثبيت الكلمة الإلهية. وكان بنتينوس أحد هؤلاء.

وقيل إنه ذهب إلى الهند. وقيل أيضاً إنه وجد لدى من عرفوا المسيح هناك، إنجيل متى، الذي كان قد سبق إلى الهند قبل وصوله هو. لأن برثلماوس أحد الرُّسل، كرز لهم. وترك لهم باللغة العبرانية إنجيل متى، الذي كانوا محتفظين به حتى ذلك الوقت. وبعد أعمال مجيدة كثيرة، رأس بنتينوس أخيراً مدرسة الإسكندرية<sup>(٣٣)</sup>، وفسر كنوز التعاليم الإلهية شفويًا وكتابةً<sup>(٣٤)</sup>.

ولكن مع الأسف لم يصلنا أي شيء من هذه الكتابات. ويظنُّ العالم الفرنسي مارو H.J. Marrou - ويوافقه العالم لايتفوت - أن العلامة بنتينوس هو مؤلف الرسالة إلى ديوجنيتس Diognetus. ولكن ليس من

٣٣- أفردتُ حديثاً عن مدرسة الإسكندرية، في الفصل الأول من الباب الثالث من هذا الكتاب الذي بين يديك.

٣٤- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١:١٠٥-٤).

أدلة تدعّم هذا الرأي<sup>(٣٥)</sup>.

وقام العلامة بنتينوس بمعاونة تلميذه العلامة كليمنديس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) بترجمة الإنجيل إلى اللغة القبطية، باستخدام الحروف اليونانية، مضافاً إليها سبعة حروف غير موجودة في الأبجدية اليونانية.

وفي رسالة بعثها ألكسندر أسقف أورشليم إلى العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م)، يقول له فيها: ”إننا نعرف جيداً أولئك الآباء المباركين، الذين سلكوا الطريق قبلنا، والذين سوف نلحقهم سريعاً: بنتينوس، الرجل المبارك حقاً، والمعلم المقتدر، وكليمنديس القديس، معلّمي، والمحسن إليّ...“<sup>(٣٦)</sup>.

### (٣) العلامة كليمنديس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م)

يرى القديس إبيفانيوس (٣١٥-٤٠٣م)، أن العلامة كليمنديس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) من مواليد أثينا. بينما يرى آخرون، أنه من مواليد الإسكندرية، ولكنه بعد ترحال كثير، استقرّ في الإسكندرية، وخلف العلامة بنتينوس في إدارة مدرسة الإسكندرية، حوالي سنة ١٩٠م، بعد أن تتلمذ له مدّة من الزمن. وفي ذلك يقول يوسابيوس القيصري (٢٦٤-٣٤٠م): ”في ذلك الوقت، عُهد إلى كليمنديس ”تعليم الإيمان“ في الإسكندرية خلفاً لبنتينوس، وصار أوريجانوس أيضاً أحد تلاميذه، وكان

35- Cf. Quasten, J., *Patrology*, Vol. 2, 1984, p. 5

٣٦- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٩:١٤:٦).  
تحدّثت عن العلامة بنتينوس، في غير موضع من هذا الكتاب، ولاسيما عند حديثي عن الغنوسية، وعلاقتها بكنيسة الإسكندرية. (انظر الصفحات ١٠٩، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١٦٤، ١٦٥، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٧٥) من هذا الكتاب.

لا يزال صبياً“ (٣٧).

ويقول يوسابيوس عن العلامة كليمنس:

”في ذلك الوقت اشتهر كليمنس، إذ تعلم معه (أي مع بنتينوس) الأسفار الإلهية في الإسكندرية. وفي كتابه Hypotyposes ‘وصف المناظر’ يتحدث عن بنتينوس بالاسم كعالمه. ويبدو لي أنه يشير إلى نفس الشخص في الكتاب الأول من مؤلفه Stromata ‘الأنسجة’، عندما يشير إلى أبرز خلفاء الرُّسل الذين قابلهم قائلاً:

[ليس هذا المؤلف كتاباً مجرد التظاهر، ولكن ملاحظاتي قد أذخرت لزمن الشيخوخة خشية النسيان. هي صورة لم تمسها يد الفنان، وهي مجرد تسجيل بسيط غير مزوَّق، للكلمات الحية القوية، التي كان لي حظُّ سماعها. وتصوير لأشخاص مباركين بارزين... (٣٨) وقد حافظ هؤلاء الأشخاص على التقليد الحقيقي للتعليم المبارك، المسلم مباشرة من الرُّسل القديسين، بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس، إذ كان الابن يتسلّمه عن أبيه. وقليلون هم الذين شابهوا آباءهم، حتى وصل

٣٧- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٦:٦).

٣٨- هؤلاء الأشخاص يذكرهم كليمنس في نفس هذا الموضوع هكذا: ”من بين هؤلاء ذلك الأيوني (الأيونيون هم أسلاف اليونانيين) الذي كان في اليونان. وآخر في اليونان العظمى (وهو الجزء الجنوبي من شبه جزيرة إيطاليا، لاحتوائه على مستعمرات يونانية كثيرة) أحدهما من سوريا الوسطى (وهو الوادي الواقع بين سلسلي جبال لبنان الشرقية والغربية)، والآخر من مصر. كان هناك آخران في الشرق، أحدهما آشوري، والآخر عبراني في فلسطين. وعندما قابلت هذا الأخير - وكان في الواقع هو الأول بالنسبة لمقدرته - بعد أن تصدّته من مخبئه في مصر، وجدتُ راحة عظمى“.

إلينا بإرادة الله، لنحافظ على هذه البذار الرسولية [٣٩].

وهذه الملاحظة التي يسوقها العلامة كليمنديس الإسكندري، هي في غاية الأهمية. لأنها من جهة، تُعدُّ أوَّل سابقة من نوعها في كنيسة الإسكندرية لمحاولة صياغة التقليد الشفاهي المسلّم إليها بدءاً من الآباء الرُّسل. أي أننا الآن في الفترة الزمنية الحرجة، والتي ينتقل فيها التقليد الشفاهي إلى التقليد المكتوب. ومن جهة أخرى، لأنَّ كلَّ مُعلِّم في الكنيسة، يستمد أصالة تعليمه واستقامته، ممَّا قد تسلَّمه من السلف، رجوعاً إلى الآباء الرُّسل. وهكذا فعل كلُّ آباء الكنيسة. وهذا هو التقليد الذي حفظته الكنيسة جيلاً بعد جيل.

ولقد شدَّد القديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م) على أهمية تسليم الأمانة، كما سلَّمت إلينا من الأقدمين. وهكذا فعل البابا ديونيسيوس الكبير (٢٤٨-٢٦٥م)، والقديس بوليكاربوس (+ ١٥٥م)، والقديس إغناطيوس الأنطاكي (٣٥-١٠٧م)، والقديس يوستينوس الشهيد (١٠٠-١٦٥م)، والقديس كبريانوس الشهيد (+ ٢٥٨م)، والبابا أناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، والبابا كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م)، وكثيرون غيرهم.

ونستطيع أن نتعرَّف على شخصيَّة العلامة كليمنديس الإسكندري، بأكثر قرب، وذلك ممَّا كتبه يوسابيوس القيصري (٢٦٤-٣٤٠م) عن الإسكندر أسقف أورشليم الذي أرسل رسالة إلى كنيسة أنطاكية، مشيراً فيها إلى قيوده وسجنه. وأشار إلى أنَّه أرسل هذه الرسالة بيد كليمنديس، إذ كتب في ختامها ما يلي:

”يا إخوتي المكرِّمين، لقد أرسلتُ إليكم هذه الرِّسالة بيد كليمنديس

القس المبارك، وهو رجلٌ فاضلٌ، مشهودٌ له، تعرفونه أنتم أيضاً، وسوف تتحققون منه. وإذ أرسلته العناية الإلهية إلى هنا، شدّد وبني كنيسة الربّ“ (٤٠).

### حول كتابات العلامة كليمنديس الإسكندري (٤١)

أشهر ثلاثة كُتِبَ للعلامة كليمنديس الإسكندري، هي:

الكتاب الأوّل: ”دعوة (أو مناشدة) لليونانيين“ *Protrepticus Pros Ellinas*. أو المعروف باسم ”نصائح لليونانيين“ (٤٢). وهو مقالة يهدف بها إلى دعوة غير المؤمنين إلى الإيمان. فيقول: ”اسمعوا أيها البعيدون، وأيضاً اسمعوا أيها القريبون، إنّ اللوغوس ليس مخفياً عن أحد. إنه النور الشامل الذي يضيء الكل. فلم تعد في العالم ظلمة. فلنسرع إلى خلاصنا وتجددنا“.

الكتاب الثاني: ”المربي“ أو ”المؤدّب“ *Paidagogos*. أو المعروف باسم ”المعلم“ (٤٣). وهو في ثلاثة كُتِبَ أو فصول. وهو من أبداع كُتِبَ. ويهدف به إلى تشجيع الذين قبلوا الإيمان، لكي يضعوا حياتهم بين يدي المعلم الإلهي، يسوع المسيح، بصفته المربي الشافي. وفيه يتطرّق إلى العلاقات الاجتماعية، والزواج، والحياة الزوجية. موضعاً الفرق بين حياة المسيحيين وأعمالهم وسلوكهم، وبين حياة الوثنيين وأعمالهم وسلوكياتهم. وبين أغاني الشعراء الوثنيين، وترانيم المزامير بواسطة المؤمنين. ولكن ليس ثمّة حديث عن علاقة هذه الأمور بالحياة الليتورجية في داخل الكنيسة.

٤٠- نفس المرجع، (٦: ١١١: ٦).

٤١- الفهرس التفصيلي الكامل لكتابات العلامة كليمنديس الإسكندري تجده في كتاب ”فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية - الكتابات اليونانية“ (ص ٤٦-٥٧).

٤٢- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٦: ١٣: ٣).

٤٣- نفس المرجع، (٦: ١٣: ٣).

الكتاب الثالث: "المتفرقات" أو "المتنوعات"، أو "البيديعات" *Stromata*. وهو يشرح فيه الحياة الفاضلة التي يجيهاها المسيحي، حين يبلغ إلى المعرفة الكاملة بالإلهيات. وهو مليء بإشارات ليتورجية مهمة.

ويحتوي هذا العمل على ثمانية كُتب أو فصول، وقد خصص الفصل الثالث منه للحديث عن الزواج المسيحي. والفصل الخامس منه للحديث عن التسليم السرّي الذي لا يُداع لغير المؤمنين.

وفي باقي الكُتب (أي الفصول) الثمانية يتحدث عن الفلسفة وفائدتها، ومن هو الغنوسي الحقيقي؟ ويقارن بين الفيلسوف المسيحي الذي يجد كل كفايته في الإنجيل، وبين الفيلسوف اليوناني الذي له معرفة باهتة، وإن كانت معطاة له كهبة من الله. وبالاختصار فهو يكشف عن العلاقة بين الإيمان المسيحي والفلسفة اليونانية. كما هاجم الغنوسيين الهراطقة، الذين أقاموا فجوة ضخمة بين الله والعالم.

وعن هذا الفصل الثالث، والذي يدعوه يوسابيوس القيصري الكتاب الأول، يقول يوسابيوس ما يلي: "يقدم كليمنس في الكتاب الأول من مؤلفه المسمى 'ستروماتا'، جدولاً تاريخياً يبين فيه الحوادث التي حصلت حتى موت كومودس. ومن ذلك يتضح أن هذا المؤلف كتب أثناء حكم ساويرس الذي نتحدث الآن عن عصره" (٤٤).

ويقول يوسابيوس أيضاً عن هذا الكتاب: "إن جميع مؤلفات كليمنس الثمانية المسماة 'ستروماتا'، لا زالت محفوظة عندنا، وقد سماها هو: 'ستروماتا تيطس فلافيوس كليمنس عن الملاحظات الخاصة بالمعرفة، المتعلقة بالفلسفة الحقيقية'. وفي مؤلفه المسمى 'ستروماتا'، لم يتحدث



بتوسُّع عن الأسفار الإلهية فحسب، بل اقتبس أيضاً من الكتاب اليونانيين كلُّ ما رآه نافعاً، وشرح آراء الكثيرين، يونانيين وبرابرة. وقد فُند أيضاً التَّعاليم الكاذبة التي نادى بها زُعماء الهراطقة. وعلاوة على هذا، راجع جزءاً كبيراً من التاريخ، مقدِّماً إلينا عيِّنات من مختلف التَّعاليم. أمَّا ما تبقى، فإنه يمزج به آراء الفلاسفة. ولعلَّه لهذا السَّبب أطلق على مؤلِّفه ذلك اللَّقب المناسب: 'ستروماتا'. ويستخدم أيضاً في هذه المؤلِّفات، شهادات من الأسفار المتنازع عليها، مثل حكمة سليمان، وحكمة يشوع بن سيراخ، ورسالة العبرانيين، ورسائل برنابا، وكليمنس، ويهوذا. ويذكر أيضاً حديث تاتيان إلى اليونانيين. ويتحدَّث عن كاسيانوس كمؤلِّف لكتاب تاريخي. ويشير إلى المؤلِّفين اليونانيين، فيلو وأرسطوبولس، ويوسيفوس، وديمترىوس، وبوبوليموس، مبيِّناً بأنهم جميعاً أثبتوا في مؤلِّفاتهم أنَّ موسى والجنس اليهودي كانوا كائنين قبل أقدم اليونانيين. وتتماز هذه الكُتب أيضاً بعلوم أخرى كثيرة. ففي أوَّلها يتحدَّث المؤلِّف عن نفسه بأنه التَّالي لخلفاء الرُّسل. وفيها يعدُّ أيضاً بكتابة تفسير لسفر التَّكوين<sup>(٤٥)</sup>.

ولقد حازت هذه الكُتب الثلاثة لكليمنس الإسكندري شهرة واسعة، ليس في زمانه فحسب، بل وللقرائ الحديث أيضاً. فربما ليس في كلِّ الأدب الآبائي في العُصور الأولى، ما هو أكثر جاذبيَّة منها، من حيث تدرُّج خطة الله نحو البشريَّة والتي تأخذ مراحل ثلاث، تطابق ما وُضعت هذه التَّلاثيَّة من أجله. بالإضافة إلى علاقتها بكلِّ ما يدين به الفكر البشري.

وعن باقي كتابات كليمنس يقول يوسابيوس:

له مؤلف "بعنوان: 'أيمكن أن يخلص الغني؟' ومؤلف 'عن الفصح'، وبحث 'عن الصوم'، و'عن الكلمات الشريفة'. وكتاب يتضمن 'نصائح عن الصبر'، أو 'إلى المعمدين حديثاً'. ومؤلف عن 'القوانين الكنسية'، أو 'المتهودين'، أهداه إلى الإسكندر الأسقف (أسقف أورشليم) (٤٦).

وفي كتابه 'عن الفصح'، اعترف بأن أصدقاءه قد طلبوا منه بإلحاح أن يكتب - من أجل الأنسال المتعاقبة - التقاليد التي سمعها من الشيوخ الأقدمين. وفي نفس الكتاب يذكر ميليتو وإيريناؤس وآخرين. واقتبس بعض فقرات من كتاباتهم (٤٧).

"أمّا الكُتُب المعنونة: Hypotyposis 'وصف المناظر'، فهي بنفس العدد (أي ثمانية كُتُب). وفيها يذكر بنتينوس بالاسم كعمله، وينقل آراءه وتعاليمه" (٤٨). "وبالاختصار؛ لقد قدّم في مؤلف 'وصف المناظر'، وصفاً موجزاً عن جميع الأسفار القانونية، دون أن يجذف الأسفار المتنازع عليها، أعني رسالة يهوذا، والرّسائل الجامعة الأخرى، ورسالة برنابا، والسفر المسمّى رؤيا بطرس" (٤٩).

وينقل لنا يوسابيوس رأي كليمنس عن كاتب الرّسالة إلى العبرانيين: فيقول كليمنس: "إنّ الرّسالة إلى العبرانيين من تأليف بولس، وإها كُتبت إلى العبرانيين باللّغة العبرانية. ولكن لوقا ترجمها بدقّة، ونشرها إلى اليونانيين. ولذا فإنه يوجد في هذه الرّسالة نفس أسلوب التّعبير الذي في سفر الأعمال. ويرجّح بأنّ كلمتي 'بولس الرّسول' لم توضع في مقدّمة الرّسالة، لأنّه إذ

٤٦- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٦: ١٣: ٣).

٤٧- نفس المرجع، (٦: ١٣: ٩).

٤٨- نفس المرجع، (٦: ١٣: ٢).

٤٩- نفس المرجع، (٦: ١٤: ١).

أرسلها إلى العبرانيين المتحاملين عليه، والمتشككين فيه، كان حكيماً في أنه لم يشأ أن ينفرهم منها منذ البداية بذكر اسمه. وبعد ذلك يقول: والآن كما قال الشيخ المبارك، لأن الرب رسول القدير، أرسل إلى العبرانيين، فإن بولس إذ أرسل إلى الأمم، لم يشأ أن يعتبر نفسه رسول العبرانيين، وذلك تأدباً منه. وهو إذ كان سفيراً ورسولاً للأمم، لم يكتب إلى العبرانيين إلا لغزارة مادته“ (٥٠).

”وفي نفس الكتب أيضاً يُقدّم كليمنس تقليد الآباء الأولين عن ترتيب الأناجيل على هذا الوجه التالي: فيقول إن الإنجيل المتضمنين نسب المسيح كتباً أولاً. أما إنجيل مرقس، فقد كانت مناسبة كتابته هكذا: لما كرز بطرس بالكلمة جهاراً في روما، وأعلن الإنجيل بالروح، طلب كثيرون من الحاضرين إلى مرقس أن يدون أقواله، لأنه لازمه وقتاً طويلاً. وكان لا يزال يتذكرها. وبعد أن كتب الإنجيل سلّمه لمن طلبوه.

ولما علم بطرس بهذا، لم يمنعه من الكتابة، ولا شجّع عليها. وآخر الكل، لما رأى يوحنا أن الحقائق الخارجية قد دُوّنت بوضوح في الإنجيل، كتب إنجيلاً روحياً بعد إلحاح من أصدقائه وإرشاد من الروح. هذه هي رواية كليمنس“ (٥١).

”ثم أن ألكسندر السابق ذكره، أشار - في رسالة إلى أوريجانوس - إلى كليمنس، وإلى بنتينوس في نفس الوقت، كشخصين من أخلص أصدقائه. وهذا ما كتبه: لأنك تعلم أن هذه كانت إرادة الله أن تبقى علاقات القرابة بيننا غير متزعزعة، بل بالحري تزداد متانة وقوة. لأننا

٥٠- نفس المرجع، (٦:١٤:٢-٤).

٥١- نفس المرجع، (٥:١٤:٥-٧).

نعرف جيداً أولئك الآباء المباركين الذين سلكوا الطريق قبلنا، والذين سوف نلحقهم سريعاً. وبتينوس الرجل المبارك حقاً والمعلم المقتدر، وكليمنس القديس معلّمِي والمحسن إليّ. وإن كان هناك آخرون مثلهما الذين تعرّفْتُ بهم معك يا معلّمِي وأخي“<sup>(٥٢)</sup>.  
هذا ما كتبه يوسابيوس عن كليمنس ومؤلفاته.

### اللاهوت عند كليمنس الإسكندري

واللاهوت عند كليمنس الإسكندري، هو لاهوت خلاصي. أي أن المعرفة الإلهية عنده لا يمكن فصلها عن خلاصنا. وأن هدف التعليم المسيحي هو هدف عملي، وليس نظرياً، والغرض منه هو الارتقاء بالنفس، لا تعليمها فحسب، بل تدرّيبها حياة طاهرة تفوق العقل. وهذا هو خلاصة اللاهوت الإسكندري الذي تميّزت به كنيسة الإسكندرية ومدرستها اللاهوتية.

ويقول ياروسلاف بليكان Jaroslav Pelikan ”إنّ المسيحيين الأوائل اشتروا في الإيمان الراسخ، بأنّ الخلاص هو العمل الذي لا يمكن أن يكون عمل أيّ أحد سوى ربّ السموات والأرض. وإننا لنجد أنّ أقدام عظمة بقيت من الكنيسة الأولى تُفتتح بهذه الكلمات:

[إخوتي، يجب أن نفكّر في يسوع المسيح بصفته الله، ديان الأحياء والأموات. ويجب ألاّ نُقلّل من شأن خلاصنا، لأننا عندما نُقلّل من شأنه، فحينئذ نتوقّع أن نأخذ قليلاً“<sup>(٥٣)</sup>.

٥٢ - نفس المرجع، (٦: ١٤، ٨، ٩).

53- 2 Clem. 1:1-2 ; Jaroslav Pelikan, *The Christian Tradition, Vol. 1, The Emergence of the Catholic Tradition (100-600)*, 1961, p. 173.

انظر: القمص تادرس يعقوب ملطي، الكرازة ومدرسة إسكندرية، مرجع سابق، ص ٣٨

## الفصل الثاني

بدء انفكاك كنيسة الإسكندرية  
من الانحصار في الهوية اليهودية

## الملاح الرئيسيّة لكنيسة الإسكندريّة في القرنين الأوّل والثاني

يمكننا أن نستوضح بعض الملاح الرئيسيّة لتاريخ كنيسة الإسكندريّة خلال القرنين الأوّل والثاني للميلاد.

ففي المرحلة الأولى كان مسيحيو الإسكندريّة - ومعظمهم من اليهود - غير راغبين أو غير قادرين على التحرر من الصبغة اليهوديّة التي كانت لهم قبل أن يقبلوا الكرازة بالمسيح. أمّا القليل منهم، فكان من المؤمنين من أصل أُممي.

ففي البداية، ارتبط مصير كنيسة الإسكندريّة، بمصير الجالية اليهوديّة في مصر. فالجالية اليهوديّة في مصر بقيت فيها بعد خراب أورشليم على يد تيطس بين سنتي ٦٦م، ٧٠م.

وفي عهد الأسقف بريموس Primus (١٠٩-١٢٢م)، وهو عصر الإمبراطور هديران (١١٧-١٣٨م)، قامت ثورة عارمة في سنة ١١٧م من يهود ليبيا والإسكندريّة، وقتلوا من الوثنيين العدد الكثير بلا رحمة، وحاصروهم داخل أسوار مدينة الإسكندريّة. فانتقم اليونانيون الوثنيون من كل اليهود الساكنين في الإسكندريّة حتى كادوا أن يبيدوهم تماماً. فأرسل الإمبراطور تراجان (٩٨-١١٧م) أحد قوّاده، وهو مارسيليس توربو Marcilis Turbo فقام بحملة تأديبيّة، وقتل آلافاً من المشاغين من كلا الطرفين، حتى أحمد ثورتم.

وهذه هي الثورة الرابعة التي شنتها اليهود على الوثنيين الذين سمحوا لهم بالعيش بينهم. وكانوا قد شنتوا ثلاث ثورات سابقة في غضون القرن الأوّل الميلادي كما سبق أن أشرتُ من قبل<sup>(١)</sup>. ولكن هذه الثورة الرابعة كانت وبالأعلى اليهود، لأنه يبدو أن الإمبراطور تراجان كاد أن يفنيهم. ولذلك فمنذ هذا التاريخ، أي منذ سنة ١١٧م، بدأت كنيسة الإسكندرية تتحرّر من القيود والعوائد اليهودية التي تحكّمت في ماضيها، لتحوّل كنيسة الإسكندرية رويداً رويداً من أعضاء وقادة من اليهود الذين قبلوا الإيمان بالمسيح، إلى أعضاء وقادة من أبناء شعب مصر الوطنيّين.

وفي زمن الأسقف أومانيوس Eumenes (١٣٠-١٤٢م) وهو السابع من أساقفة كنيسة الإسكندرية، شبت في فلسطين ثورة باركوكبا، أي ابن الكوكب، سنة ١٣٢م، واستمرت الثورة مشتتة ثلاث سنوات، حتى سنة ١٣٥م. وهي الثورة التي شنتها اليهود ضد السُلطة الرومانية، فكانت إيذاناً بزوال أورشليم، عاصمتهم الدنيّة، حيث سوّيت المدينة التاريخيّة بالأرض، وأُخليت من سكّانها اليهود، وجيء بأُمميين ليسكنوا أطلالها، بعد أن تحوّل اسمها إلى أليا كابيتولينا، إكراماً للإمبراطور إليوس هديريان (١١٧-١٣٨م). ونظراً لأنّ كنيستها قد أصبحت منذ ذلك الوقت مكوّنة من الأمم، فقد تولى إدارتها أوّل أسقف أممي، وهو مرقس، بعد أساقفة الختان الخمسة عشر الذين تولّوا رئاستها حتى ثورة باركوكبا. وقد توالى على رئاسة كنيسة أورشليم أساقفة أمميون، كان الخامس عشر منهم، هو نركيسوس، الذي يقول عنه يوسابيوس القيصري (١:١٢:٥): ”ولا يزال معروفاً عند الكثيرين إلى هذا اليوم. وكان هو الخامس عشر منذ حصار اليهود في عهد هديريان ...“.

١- انظر (ص ٣٤) من هذا الكتاب.

وهنا حدث انتقال في كنيسة أورشليم، من كنيسة نشأت في وسط يهودي يقودها أساقفة من أصل يهودي، إلى كنيسة صار معظم شعبها وقادتها من الأمم، والفرق بين الحالين شاسع للغاية.

ولا يخفى علينا الرباط القديم الذي ظل قائماً بين كنيسة أورشليم وكنيسة الإسكندرية. ولا بد أن تكون كنيسة الإسكندرية قد عانت الكثير بسبب ثورة باركوكبا في فلسطين سنة ١٣٢م. ويصمّت التاريخ عن الآلام التي حاقّت بالمؤمنين في مصر خلال رئاسة الأسقف أومانيوس، ذلك لأن الكنيسة في مصر حتى ذلك الوقت، كانت في غالبيتها من اليهود الذين قبلوا المسيحية، الذين كانوا في نظر الدولة الرومانية يهوداً لا غير. وكانت مصر كولاية رومانية، خاضعة للرومان، لا يمكن أن تفلت من تأديب اليهود الساكنين فيها، نظراً لتمردهم في فلسطين كولاية رومانية أيضاً، واليهود هم اليهود أينما كانوا وأينما حلوا.

إذاً ففي غضون هذا الوقت، بدأت كنيسة الإسكندرية تنفك من القيود والعوائد اليهودية السابقة، وبدأ بصيص ضوء يتوفر لدينا عن نشاط كنيسة الإسكندرية في هذا الوقت المبكر من تاريخها.

وهذا هو ما أكدته الدراسات الحديثة، حيث يذكر العالم كولين روبرتس Colin H. Roberts أشهر علماء البرديات في عالمنا المعاصر<sup>(٢)</sup> أنه خلال الفترة ما بين سنة ٧٠م وسنة ١١٧م، توجد لدينا شواهد أثرية، وبرديات مصرية كثيرة، خلال هذه الفترة. ولأن اليهودية كانت وقتئذ ديانة مسموحاً بها Religio licita وكان اليهود بعد سنة ٧٠م خاضعين لضريبة الجزية، لذلك كانت لديهم مستندا لهم التي تبين ديانتهم، وتُظهر

2- Cf. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 58, 59.



خضوعهم لقوانين الدولة. أمّا المسيحيون غير اليهود، فما كان ممكناً تمييزهم بواسطة القانون، لذلك اختفوا ولم يبق لهم من مستندات مكتوبة، كالبرديات مثلاً، لإثبات شخصيتهم.

ولكن حدث تحولٌ مصري منذ عصر تراجان، حيث انخفضت البرديات التي عُثِرَ عليها، بل نكاد لا نعثر على شيء يُذكر من البرديات اليهودية بعد حرب الإمبراطور تراجان على اليهود سنة ١١٧م. لأنه منذ سنة ١١٧م وحتى سنة ٣٣٧م (أي خلال ٢٢٠ سنة)، توجد لدينا ٤٢ بردية يهودية فقط، مقابل ٣٠٠ بردية خلال المائة والخمسين سنة السابقة. وهذا يعني أن حملة تراجان ضدَّ اليهود قد تسببت في إبادتهم تقريباً من مصر. وما يؤكِّد ذلك أيضاً، أنه بعد سنة ١١٧م، بدأت تكثر لدينا البرديات المسيحية في مصر.

وهكذا بدأت الكنيسة المسيحية في مصر تشعر بالحرية من القيود اليهودية السابقة، والتي تحكَّمت في ماضيها. وربما خلال هذه الحرب، استطاع المسيحيون أن يجلِّوا أنفسهم من السُّلطان اليهودي، الذي قيَّد حركتهم. فكانت الفرصة سانحة لبروز الشخصيات الغنوسية، إلى جوار الشخصيات المسيحية الصحيحة المعتقد.

ويقول العلامة كليمنديس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) أنه منذ عصر تراجان (٩٨-١١٧م) بدأت الهرطقات في الكنيسة<sup>(٣)</sup>. وكان كلُّ من الغنوسية والكنيسة الصحيحة المعتقد، يشتركان معاً في معارضة اليهودية التقليدية.

إذا؛ ففي المرحلة الأولى من تاريخ المسيحية في مصر، وهي المرحلة التي تنتهي عند سنة ١١٧م، نجحت اليهودية في ترك بصمة واضحة على المسيحية.

وهنا ننتقل إلى المرحلة الثانية من تاريخ المسيحية في مصر، وهي المرحلة المحصورة ما بين سنة ١١٧م وسنة ١٨٠م. وفي هذه المرحلة، قل الارتباط الوثيق الذي كان قائماً بين كنيسة الإسكندرية من جهة، وكنيسة اورشليم وكنيسة سوريا من جهة أخرى. حيث ازداد هذا الرباط في اتجاه آخر، أي بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة روما.

ففي القرن الثاني الميلادي، نجد شذرات من كتاب "راعي هرماس - The Shepherd of Hermas" في أرسينوي (الفيوم)، وهو كتاب تم تأليفه في روما. وهناك أيضاً التشابه القريب جداً بين النظام الكنسي والرعي في كل من كنيسة الإسكندرية وكنيسة روما. ولا ينبغي أن نغفل أيضاً، الرسائل المتبادلة بين الكنيستين بانتظام، بخصوص عيد الفصح، وهي الرسائل التي جرت في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي.

ولكن هل استطاعت حرب تراجان سنة ١١٧م، على يهود الإسكندرية، أن تخلص الكنيسة نهائياً من التأثيرات اليهودية عليها. وإجابة هذا السؤال تنقلنا إلى العنوان التالي مباشرة.

### تأثير المسيحيين من أصل يهودي على كنيسة الإسكندرية

كما سبق أن رأينا، فقد عاش المسيحيون الأوائل في مدينة الإسكندرية من أصل يهودي جنباً إلى جنب مع اليهود الذين سكنوا ذات المناطق في المدينة، وكانوا يشاركونهم الحياة في المجتمع اليهودي إلى جانب

عبادتهم الجديدة التي كانت في الكنائس التي أنشأوها في البداية في بيوتهم، كما يخبرنا كتاب العهد الجديد<sup>(٤)</sup>.

وجدير بالذكر، أنه مع أوائل القرن الثاني الميلادي، بدأ المسيحيون يظهرون كجماعة مختلفة و متميزة عن المجتمع اليهودي. فإن الانفصال بين المجمع اليهودي والكنيسة، قد حدث متأخراً نوعاً في الإسكندرية. وربما لم يتم بشكله النهائي والكامل حتى وقت ثورة اليهود سنة ١١٧م، والتي جرت في أيام حكم الإمبراطور تراجان (٩٨-١١٧م). وكانت نتيجة هذه الثورة، هو استئصال اليهود ومجتمعهم من المدينة، وربما كان من بينهم أيضاً بعض المسيحيين. بل يرى البعض، أن ثورة يهود مصر على الإمبراطور تراجان، قد قضت بلا شك على أي أثر لأي جماعة يهودية كانت موجودة في الإسكندرية<sup>(٥)</sup>.

ومع ذلك، فقد امتد تأثير المسيحيين من أصل يهودي في مصر على كنيستها لعدة قرون تالية. فطبقاً ليوسابيوس القيصري، كتب العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) مؤلفاً عن "القانون الكنسي ضد المتهودين"، وفيه يُثبت أن اليهودية كانت لا تزال خطراً كبيراً على الكنيسة في بداية القرن الثالث الميلادي<sup>(٦)</sup>. ويحذر العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) من الممارسات اليهودية، مثل الختان والصوم. ويتحدث عن مسيحيين، كانوا يذهبون إلى كل من المجمع اليهودي والكنيسة<sup>(٧)</sup>.

٤- انظر: أعمال ٤٦:٢، ٤٢:٥، ٢:٢٠، رومية ٥:١٦، ١ كورنثوس ١٦:١٩؛ كولوسي ٤:١٥؛ فليمون ٢

5- Cf. H.I. Bell, *Cults and Creeds in Graeco Roma and Egypt*, p. 79.

٦- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق (٦:١٣:٣).

Cf. A.F.J. Klijn, *op. cit.*, p. 164.

٧- عظة على سفر اللاويين ٨:٥

ويتحدث أيضاً بكل وضوح، عن مسيحيين من أصل يهودي، كجماعة مستقلة<sup>(٨)</sup>. ويقول بأن عددهم لا يتعدى مائة وأربعة وأربعين ألفاً المذكورين في سفر الرؤيا<sup>(٩)</sup>. كما أشار أيضاً إلى عدد من المسيحيين اليهود، وذلك في شرحه لبعض أجزاء من العهد القديم<sup>(١٠)</sup>.

وإن انتشار إنجيل العبرانيين في كنيسة مصر، هو من أوضح الظواهر التي تشير إلى استمرار اليهود المؤمنين بالمسيح في صبغ طقوسهم اليهودية، بصبغة مسيحية. وهو ما سأشير إليه لاحقاً.

كما أن وجود ظاهرة اختصار "الأسماء المقدسة - Nomina sacra"<sup>(١١)</sup> في البرديات التي اكتشفت في مصر في القرنين الرابع والخامس، يشير إلى التأثير اليهودي على مسيحي كنيسة الإسكندرية، من أصل يهودي، والذي ساد فيها إلى ما بعد القرنين الثالث والرابع للميلاد.

وهناك رسالة كتبها مسيحي يعيش في روما في منتصف القرن الثالث الميلادي، وأرسلها إلى آخر من كنيسة أرسينوي (الفيوم). بمصر، يطلب إليه فيها أن ينسخ له الآيات الأولى من سفر التكوين طبقاً لترجمة أكويلا Aquila، وهي إحدى الترجمات التي اعتمدها اليهود لترجمة أسفار العهد

٨- هذه إشارة بالغة الأهمية - برغم أنها شديدة الإهمام - إذ يتضح منها أن الكنيسة المسيحية في مصر، والتي هي من أصل أممي، ربّما كانت تنظر إلى الكنيسة المسيحية في مصر ذات الأصل اليهودي، نظرة جماعة مستقلة عنها، تمارس بعضاً من العادات اليهودية التي لا توافق عليها الكنيسة ذات الأصل الأممي في مصر.

٩- عظة على إنجيل يوحنا ١:١٠:٧

١٠- عظة على سفر العدد ١٢:٥

Cf. A.F.J. Klijn, *op. cit.*, p. 164, 165.

١١- سأشرح هذا الاصطلاح في الفصل القادم مباشرة، أي الفصل الثالث.

القديم إلى اللغة اليونانية<sup>(١٢)</sup>.

وفي بواكير القرن الرابع الميلادي، كتبت امرأة من البهنسا Oxyrhynchus شكوى ضد زوجها، بأنه أغلق الباب في وجهها - أي طردها من البيت - لأنها ذهبت إلى الكنيسة في يوم السبت. وهي قصة ربما تكون ذات دلالة بالغة، وذلك على ضوء ما أشار إليه القديس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م)، أنه من العيب إذا أتضح أن أي مسيحي لا زال يراعي السبت اليهودي<sup>(١٣)</sup>.

ولا ينبغي أيضاً أن نغفل أن كتاب "راعي هرماس - The Shepherd of Hermas" قد نال شعبية واسعة في مصر.

وهناك شهادة من مصدر آخر، يخبرنا بها يوسايبوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م) عن بدعة "الملك الألفي"، وهي البدعة التي انتشرت في أرسينوي (الفيوم) في زمن أسقفها نيبوس Nepos الذي كان يعتنق هذه البدعة، وكيف أقنعه البابا ديونيسيوس الكبير (٢٤٨-٢٦٥م) بالعودة إلى الإيمان، حيث ردّه بكل نجاح، وفي سلام كامل. فيقول يوسايبوس في الفصل الرابع والعشرين من كتابه السابع عن تاريخ الكنيسة ما يلي:

"وعلاوة على كل هذه، فإنه هو (أي البابا ديونيسيوس الكبير) الذي كتب أيضاً الكتابين عن المواعيد. أمّا سبب كتابتهما، فهو أن نيبوس Nepos أحد أساقفة مصر، نادى بأن المواعيد التي أعطيت للأتقياء في الأسفار الإلهية، يجب أن تُفهم بروح يهودية. وأنه سوف يكون هناك ألف سنة تُقضى في تمثع جسدي على هذه الأرض.

12- Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 57.

13- *Ibid.*, p. 57.

وإذ توهم بأنه يستطيع أن يدعم رأيه الشخصي من رؤيا يوحنا، كتب كتاباً عن هذا الموضوع عنوانه: 'تفنيد الرأي القائل بتفسير الكتاب مجازياً' (١٤). ويقاوم ديونيسيوس هذا الكتاب في كتابيه 'المواعيد'. ففي الأول يبين رأيه في العقيدة، وفي الثاني يتحدث عن رؤيا يوحنا. وإذ يذكر اسم نيبوس Nepos في البداية يكتب عنه ما يلي:

ولأنهم يقدمون مؤلفاً لنيبوس Nepos ، يعتمدون عليه كلياً، كأنه قد أثبت إثباتاً قاطعاً أن هنالك سيكون ملك المسيح على الأرض، فإنني أعترف بتقديري ومحبي لنيبوس Nepos من نواح أخرى كثيرة، لأجل إيمانه ونشاطه واجتهاده في الأسفار المقدسة. ولأجل تسايحه العظيمة التي لا يزال الكثيرون من الإخوة يتلذذون بها. ويزداد احترامي له لأنه سبقنا إلى راحته. على أن الحق يجب أن يُحب ويُكرم قبل كل شيء. ومع أننا يجب أن نمتدح ونصادق على كل ما يُقال صواباً دون أي تحيز، فإننا يجب أن نمتحن كل ما يبدو أنه لم يكتب صواباً، ونصححه.

لقد كان يكفي أن يكون موجوداً لشرح رأيه شفويًا، وإقناع مقاوميه، دون حاجة إلى تدوين مناقشاته كتابية. ولكن نظراً لأن البعض يظنون أن مؤلفه لا غبار عليه، ونظراً لأن بعض المعلمين يعتبرون أنه لا أهمية للناموس والأنبياء، ولا يتبعون الأناجيل، ويستخفون بالرسائل الرسولية، وينظرون إلى المواعيد - وفق تعليم هذا الكتاب - كأنها أسرار خفية، ولا يسمحون لإخوتنا البسطاء بتكوين آراء سامية رفيعة عن ظهور ربنا المجيد الإلهي، وقيامتنا من بين الأموات، واجتماعنا معاً إليه، وتغييرنا على صورته، بل بالعكس يدفعونهم إلى أن يرجوا أموراً تافهة زمنية في ملكوت الله، أموراً كالموجودة الآن، ونظراً لأن هذا هو الموقف، فمن

الضروري أن نناقش أخانا نيبوس Nepos كأنه موجود.

وبعد ذلك يقول:

ولما كنتُ في إقليم أرسينوي (الفيوم)، حيث سادت هذه التعاليم طويلاً كما تعلم، الأمر الذي نشأ عنه انشقاق، بل ارتداد كنائس برُمَتها، دعوت قسوس ومعلمي الإخوة في القُرى، والإخوة الذين أرادوا أيضاً الحضور، ونصحتهم بفحص هذا الأمر علانية.

وإذ قدّموا إليّ هذا الكتاب، كأنه سلاح ماض، وحصن لا يُغلب، وجلستُ معه من الصُّباح إلى المساء ثلاثة أيام متوالية، جاهدت لتصحیح ما كُتب فيه.

واغتبطتُ بمثابرة وإخلاص الإخوة، ودماثة خلقهم، إذ كُنّا نبحث بالترتيب وبهدوء، المسائل والصُّعوبات التي تحت البحث، والنُّقطة التي اتَّفقنا عليها. وقد تحاشينا كُليّة ومن دون أيّ نزاع، الدِّفاع في أيّ رأي كُنّا نعتقده سابقاً، إلاّ إذا اتُّضحت صحته. كما أننا لم نتجنّب أيّ اعتراض. واجتهدنا على قدر استطاعتنا أن نُثبت ونؤيّد الأمور المعروضة علينا. وإن اقتنعنا بالبراهين المقدّمة، لم نخجل من تغيير آرائنا، وموافقة الآخرين. وبالعكس أننا بكلّ إخلاص ونزاهة، وقلوب مكشوفة أمام الله، قبلنا كلّ ما أيّدته بالبراهين، تعاليم الأسفار الإلهية.

وأخيراً، اعترف مُنشئ وبعث هذا التّعليم - ويُدعى كوراسيون - على سماع كلّ الإخوة الحاضرين، وشهد لنا بأنه لن يتمسك بعد بهذا الرأي، أو يناقشه، أو يذكره أو يعلم به، إذ اقتنع اقتناعاً كلياً بفساده. وأبدى بعض الإخوة الحاضرين سرورهم بالمؤتمر، وبروح الصِّفاء والوفاق

التي أظهرها للجميع“ (١٥).

مما سبق، يتضح أمامنا أن جانباً من التراث اليهودي الذي انتقل إلى المسيحية بواسطة اليهود الذين آمنوا بالمسيح، قد امتد تأثيره على الكنيسة المسيحية في مصر حتى أواخر القرن الثالث الميلادي على الأقل. ولم يكن ذلك أمراً حديثاً عليها أو وافداً إليها، بل هو أمرٌ موجودٌ فيها منذ نشأتها. إنه تراثٌ يهودي قديم، ما زالت بقاياه تنضح على الكنيسة بين الحين والحين (١٦).

هل أن تقسيم المسيحية إلى مسيحية يهودية وأخرى أممية في القرن الأول، قد أصبح يقابله في القرن الثاني وما بعده مسيحية صحيحة المعتقد مقابل الغنوسية؟ (١٧)

علينا الآن أن نناقش رأياً يقول، إن تقسيم المسيحية إلى مسيحية ذات أصل يهودي، وأخرى ذات أصل أممي في القرن الأول الميلادي، قد حل محلّه تقسيم آخر لها في القرن الثاني الميلادي وما بعده، وهو كنيسة مسيحية صحيحة المعتقد إزاء الغنوسية (١٨).

وإن مناقشة هذا الأمر، تحسمه البرديات التي تم اكتشافها في مصر في زمن سابق لزمن الإمبراطور قسطنطين الكبير (٣٢٣ - ٣٣٧م)

١٥- لقد نقلتُ هنا النص الكامل كما ورد عند يوسابيوس القيصري، لكي يقف القارئ العزيز على شخصية البابا ديونيسيوس الكبير. تلك الشخصية العظيمة، التي تثير إعجاب القارئ دائماً. وهو ما سأعرض له بالتفصيل أيضاً فيما بعد.

16. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 57.

١٧- أفردتُ فصلاً كاملاً للحديث عن الغنوسية، وأثرها على كنيسة الإسكندرية، وهو الفصل الرابع من نفس هذا الباب.

18. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 59 ff.



antérieures à Constantin . أي أن حديثنا التالي ينحصر في القرن الثالث الميلادي وأوائل الرابع الميلادي.

فالأدلة التي تتوفر لدينا بعد فحص هذه البرديات، تعطينا انطباعاً أقل تحديداً، وأكثر سهولة أو سيولة، من هذا التقسيم المحدد الملامح، السابق الإشارة إليه. وحتى يمكننا معرفة مدى اختراق الغنوسية للأوساط المسيحية في مصر في القرنين الثاني والثالث، علينا أن نفحص الشواهد التالية، مع الأخذ في الاعتبار أن تأثير الغنوسية على كنيسة الإسكندرية، لا ينبغي أن يُقاس بنسبة عدد البرديات الغنوسية، إلى عدد البرديات الأخرى.

فأول نتيجة نخرج بها، هي أن أكبر عدد من البرديات المكتشفة في مصر لسفر من أسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، هو سفر المزامير، إذ وُجد هذا السفر وحده في أربع عشرة بردية. ومن المعروف أن سفر المزامير هو سفر لا يهتم به الغنوسيون كثيراً.

ويلي سفر المزامير - من حيث كثرة عدد البرديات - سفر التكوين، حيث وُجد في تسع برديات. يليه سفر إشعياء وإرميا، في ثلاث برديات لكل منهما. أما أسفار العهد القديم الأخرى، فإن وُجِدَتْ، فهي توجد في مخطوطين فقط. أما أسفار يشوع، والقضاة، وراعوث، وصموئيل الأول والثاني، وملوك الأول والثاني، وأيوب، فلم تظهر على الإطلاق، باستثناء سفر راعوث الذي وُجد في قرون تالية. أما الأسفار القانونية الثانية، فهي تتمثل في سفر الحكمة، وسفر الجامعة، وسفر طوبيت.

هذا من جهة العهد القديم، أما عن العهد الجديد، فإنجيل القديس يوحنا وُجد في عشر برديات، يليه إنجيل القديس متى في تسع برديات، يليه إنجيل

القديس لوقا في أربع برديات. أما إنجيل القديس مرقس، فلا يوجد سوى في بردية واحدة تعود إلى تلك الفترة عينها، وهي محفوظة في مكتبة شيبستر بيتي<sup>(١٩)</sup> Chester Beatty ضمن مجموعة مخطوطات الأناجيل والأعمال.

وإن ما يُلفت النظر هنا، هو ندرة البرديات التي تحوي إنجيل القديس مرقس في هذه المجموعة من البرديات التي فحصت. وهي ليست حالة فريدة من نوعها، لأن العالم لوفور L.Th. Lefort يذكر<sup>(٢٠)</sup> أنه قد جرى فحص مخطوط يحوي اقتباسات من الأناجيل، حيث وُجد به ستين اقتباساً من إنجيل متى، وخمسة عشر اقتباساً من إنجيل لوقا، ومثلها من إنجيل يوحنا، ولم يرد به اقتباس واحد من إنجيل مرقس.

وما يُلفت النظر، أنه لم يتم العثور على أية بردية تحوي الأناجيل القانونية بالذات، مع أية كتب أخرى غير قانونية. وجدير بالذكر هنا، أن البرديات أو المخطوطات التي تحوي كتباً قانونية مع أخرى غير قانونية، تُدعى "البرديات أو المخطوطات المختلطة" mixed codex . أي أنه لم يتم العثور أبداً على أية بردية مختلطة mixed codex تحوي نص الأناجيل القانونية.

فالبرديات المختلطة mixed codex التي كانت تحوي نصوص كتب غير قانونية، كانت تضم غالباً الأسفار الكتابية التي كانت على حافة التقنين في ذلك الوقت، وهي بالتحديد أسفار نشيد الأنشاد The Song of

١٩- تأسست هذه المكتبة في دوبلن Dublin عاصمة أيرلندا، في سنة ١٩٥٠م. وذلك لحفظ مجموعات المخطوطات التي جمعها سير ألفريد شيبستر بيتي Alfred Chester Beatty .

Songs - الجامعة Ecclesiastes - الحكمة Wisdom - والرِّسائل  
الرَّعويَّة<sup>(٢١)</sup> The Pastorals<sup>(٢٢)</sup>.

أمَّا عن رسائل القديس بولس الرسول، فإذا استثنينا منها رسالة  
العبرانيين Hebrews والرسائل الرَّعويَّة The Pastorals، فإنها وُجدت في  
ثمانية مخطوطات بردية.

ولقد وُجدت الرسائل الرَّعويَّة The Pastorals في بردية واحدة. أمَّا  
رسالة العبرانيين، فقد وُجدت في نسختين؛ النسخة الأولى في مكتبة  
شيستر بيتي Chester Beatty مكتوبة على ظهر درج شهير محفوظ في هذه  
المكتبة on the verso of the famous roll of Livy. أمَّا النسخة الثانية، فقد  
وُجدت في مخطوط من البردي Papyrus codex في البهنسا Oxyrhynchus  
يعود إلى أوائل القرن الرابع الميلادي.

وبرغم وجود مثل هذا الرقم الكبير نسبياً من المخطوطات التي  
تحتوي رسائل القديس بولس الرسول في القرن الثالث وأوائل الرابع  
للميلاد، فهناك حقيقة تُلفت الانتباه هنا، وهي أنه لا وجود لأي أثر  
لرسائل القديس بولس الرسول في البرديات التي تعود إلى القرن الثاني  
الميلادي في مصر<sup>(٢٣)</sup>.

أمَّا عن رسالة يهوذا، ورسالة يعقوب، وسفر الرؤيا، فقد وُجدوا في

٢١- الرسائل الرَّعويَّة هي رسائل القديس بولس إلى تلميذه الأسقف تيموثاوس  
وإلى تلميذه الأسقف تيطس، بالإضافة إلى رسالته إلى فلِيمون.

22. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 61.

23- *Ibid.*, p. 62.

برديتين. في حين أن رسالتي القديس بطرس الرسول<sup>(٢٤)</sup>، ورسائل القديس يوحنا الرسول، وُجدت في بردية واحدة<sup>(٢٥)</sup>.

ومن المعطيات السابقة رغم نُدرتها، ومن فحص البرديات المكتشفة في مصر، ربما يمكننا أن نلقي بعض الضوء على جانب من حياة كنيسة الإسكندرية، وعلاقتها بأسفار الكتاب المقدس في هذا الوقت المبكر من تاريخها.

أمّا الأدلة الغنوسية، فعلياً أن نتبّعها في النصوص غير الكتابية. فهناك سبعون بردية مكتشفة في الفترة التي نتحدّث عنها. وفي برديتين منهما فقط تحوي كلٌّ منهما أكثر من عمل أدبي يسهل التّعرّف على مؤلّفه. ولأنّ بعض هذه البرديات السبعين المكتشفة، تحوي أكثر من عمل أدبي واحد، فإنّ عدد الأعمال الأدبية في هذه البرديات المكتشفة هي أكثر قليلاً من سبعين عملاً.

أمّا الأعمال الغنوسية، التي أمكن التّعرّف عليها، فموجودة في ثلاثة مخطوطات بردية، وهي ”إنجيل توما“<sup>(٢٦)</sup>، و”إنجيل مريم“، و”كلمة يسوع المسيح“. أمّا أهم هذه الأعمال، فهي حتماً تلك النصوص اللاهوتية، ولكنّها نصوص صغيرة، وردت في شذرات فحسب. اثنان منها غنوسيان، وكلاهما جاء من البهنسا Oxyrhynchus .

٢٤- هناك أيضاً مخطوط قبطي هو Mississippi Pascal Codex يحوي رسالة القديس بطرس الرسول الأولى.

25- Cf. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 62.

٢٦- على الرّغم من اتجاه ”إنجيل توما“ نحو التّسك الشديد، أكثر من اتجاهه الغنوسي، إلا أن المرء لا يخطئ في إدراك ميله الغنوسي.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أنه في غضون تلك الفترة، أو بعدها بقليل، انتشرت في مصر مقالة مليتون أسقف ساردس Melito of Sardis عن الآلام. وهو الأسقف المعروف باستقامة عقيدته، حيث وجدت مقالاته هذه في ثلاث برديات يونانية، وفي مخطوطين قبطيين. ويشير الخط المكتوب به أحد هذين المخطوطين القبطيين، أنه يعود إلى القرن الثالث الميلادي<sup>(٢٧)</sup>. وهذا الأمر يثير تساؤلاً مهماً هو: كيف أنه في خلال هذه الفترة المبكرة، انتشرت المسيحية بين الأقباط انتشاراً واسعاً، بواسطة كنيسة تعتبر نفسها حتى ذلك الوقت أنها كنيسة قد تأسست على اللغة اليونانية فقط؟

أما الأعمال الغنوسية التي عرفناها من الترجمات القبطية لها، سواء في المخطوطات المكتشفة في نجع حمادي، أو في أي مكان آخر، أو بواسطة عناوينها فقط، والتي أشار إليها بعض آباء الكنيسة مثل إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م) وإبيفانيوس (٣١٥-٤٠٣م) فكلها غائبة من قائمة السبعين بردية السابق الإشارة إليها.

ومن بين البرديات السبعين السابق ذكرها، بردية شهيرة محفوظة في برلين Berlin تحوي مجموعة صلوات متفرقة ذات طابع غنوسي، وفي نفس الوقت متقاربة مع بعض صلوات مسيحية غير غنوسية، مثل اللحن الأخير لجماعة دينية سرية مغلقة على نفسها.

The final hymn of Poimandres from the Hermetic corpus.

وفي بعض من هذه الصلوات المختارة، فإن "الأسماء المقدسة"<sup>(٢٨)</sup> Nomina sacra قد استخدمت، بينما لم تُستخدم في بعضها الآخر. وإن

27- Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 63.

٢٨- عن الأسماء المقدسة، انظر الفصل الثالث من هذا الباب.

مراعاة استخدامها من عدمه، هو معيارٌ دقيقٌ للحُكم عمَّا إذا كانت هذه الصَّلوات تختص بالشَّيخ الغنوسية أو بالمسيحية.

وبعيداً عن أسفار الكتاب المقدس، فإنَّ "راعي هرماس" The Shepherd of Hermas يُعدُّ أوسع الكُتب انتشاراً في مصر. فهو موجود في سبع مخطوطات بردية. وإنَّ شعبيته، لدليل على مدى تأثير المسيحية اليهودية، وأيضاً على مدى الرِّباط الذي يربط بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة روما.

كما اكتُشفت خمس أو ست شذرات من الأناجيل الأبوكريفية<sup>(٢٩)</sup>. بالإضافة إلى ثلاثة نصوص شعبية وافدة من روما لعمل أدبي يُدعى "أعمال بولس". وثلاثة نصوص منسوبة للعلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م)، واحداً منها يعود إلى القرن الثالث الميلادي.

إنَّ ما يُلفت النَّظر، هو انتشار القراءة بين الأقباط المتعلمين في أقاليم مصر المختلفة، لكثير من المؤلفين غير المحليين. فقد كانوا يقرؤون - إلى جانب من سبق ذكرهم - لفيلو (١٣ق.م-٥٠م). الفيلسوف اليهودي، والعلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م)، وبرنابا Barnabas، وأريستيدس<sup>(٣٠)</sup> Aristides، ويوليوس أفريكانوس<sup>(٣١)</sup> Julius Africanus.

٢٩- في هذه الشذرات يكون التفريق بين نصِّ الإنجيل الأبوكريفي والتعقيب عليه أو تفسيره، غير واضح دائماً.

٣٠- أريستيدس هو فيلسوف مسيحي من أثينا، عاش في القرن الثاني الميلادي، وهو من المدافعين عن الإيمان Apologist. وإلى عهد قريب كانت كل معلوماتنا عنه تأتي من يوسابيوس القيصري، والقديس جيروم. ولكن في سنة ١٨٧٨م نُشر جانب من دفاعه في فينيسيا في ترجمة أرمنيَّة، بواسطة جماعة رهبانية تُدعى Mechitarists

أسسها كاهن أرمني اسمه Mechitar (١٦٧٦-١٧٤٩م) في القسطنطينية، وذلك سنة ١٧٠١م. وقد انضم هذا الكاهن الأرمني إلى كنيسة روما سنة ١٦٩٦م. ومن ثم فقد طردت هذه الجماعة الرهبانية من القسطنطينية سنة ١٧٠٣م واستقرت في فينيسيا سنة ١٧١٧م.

وفي سنة ١٨٩١م، نُشرت ترجمة سريانية كاملة لدفاعه كاملاً، والذي تم اكتشافه سنة ١٨٨٩م في جبل سيناء. وطبقاً ليوسابيوس القيصري، فقد قدم أريستيدس دفاعه، إلى الإمبراطور هدران (١١٧-١٣٨م).  
وفيه أظهر وجود وأبدية الله، وأوضح أن المسيحيين يدركون طبيعة الله إدراكاً عميقاً كاملاً أكثر من الوثنيين واليونانيين واليهود. ومن ثم فهم فقط الذين يحبونه. طبقاً لهذه المعرفة العميقة ... الخ.

Cf. ODCC, 2nd edition, p. 84, 897.

٣١- يوليوس أفريكانوس (١٦٠-٢٤٠م)، هو كاتب مسيحي وُلد في اورشليم، وعاش عدة سنوات في قرية عمواس. وكان على علاقة وثيقة بالقصر الملكي في إديسا (الرها). وفي زمن الإمبراطور ألكسندر ساويرس (٢٢٢-٢٣٥م)، لعب دوراً بارزاً وفعالاً في تشييد المكتبة العامة في البانثيون (وهو مجمع الأرباب عند القدماء) في روما. وكانت له علاقات بالإسكندرية مع هيراكلوس، والعلامة أوريجانوس.

أما عمله الأساسي، فهو كتابه عن "تاريخ العالم Chronographiai"، والذي أنجزه سنة ٢١٧م في خمسة كتب. ولم يتبق لنا منه سوى شذرات، وصلتنا عن طريق يوسابيوس وبعض الكتاب الآخرين. وفيه يرى أن العالم سينتهي بعد ستة آلاف سنة من خلقته. وأن ميلاد المسيح قد حدث سنة ٥٥٠٠ من خلق العالم.

وله عمل آخر في ٢٤ كتاباً يُسمى Embroidered Girdles وهو في اليونانية Keστοί. وكلمة Embroidered تعني المزين بالتطريز. أما كلمة Girdles فتعني رباط أو منطقة، وهو عمل يتكلم في التاريخ الطبيعي، والطب، والعلوم العسكرية، والسحر، وموضوعات مختلفة. ولم يتبق من هذا العمل سوى شذرات.

وله أيضاً رسالتان؛ واحدة كتبها إلى العلامة أوريجانوس بخصوص قصة سوسنة التي وردت في سفر دانيال. ورسالة أخرى إلى واحد يدعى أريستيدس Aristides عن سلسلة أنساب المسيح، التي وردت في كل من إنجيل القديس متى، وإنجيل القديس لوقا. وتُظهر الرسالتان قدرته في الدراسات التقديية.

Cf. ODCC, 2<sup>nd</sup> edition, p. 768.

بالإضافة إلى بعض الأعمال التّقوية الشّعبيّة مثل "إنجيل الطفولة ليعقوب" Protevangelium of James ، و"توبة ينيس ويميريس" (٣٢) The Penitence of Iannes and Iambres .

وليس بين هذه القراءات السّابق ذكرها أعمالٌ محلّية، كما أنّها من جهة أخرى، أعمالٌ ليست قليلة الأهميّة من الوجهة التّقوية. كما أنّها تتوافق مع الأدب غير الدّيني الواسع الانتشار، والذي كان يُقرأ، سواء في المدن الكُبرى في مصر، أو في أقاليمها المترامية الأطراف.



الفصل الثالث  
دلالات الأسماء المقدّسة  
في الوثائق البرديّة

## تمهيد

في هذا الفصل، نبحث في أيجاز، موضوعاً خاصاً جداً، وهو أهميّة الاختصارات لبعض الأسماء المقدّسة أو السّرّائيّة، الموجودة في المخطوطات القديمة جداً، وذلك بغية دراسة كل من التّاريخ واللاهوت المسيحيّين في الكنيسة المبكّرة. وهو موضوعٌ يختص أساساً بعلم دراسة الخطوط القديمة Paleography .

فالأسماء المقدّسة Nomina Sacra كمصطلح، يعني عند علماء دراسة الخطوط القديمة، اليونانيّة واللاتينيّة، عدداً محدداً من الأسماء. وهي بالتّحديد خمسة عشر اسماً. وهذه الأسماء المقدّسة لا تُكتب في الوثائق البرديّة كاملة، بل مختصرة، حيث يوضع خط أفقي مستقيم فوق الحروف المختصرة لهذه الأسماء، كتحذير بأنّ هذا الاسم لا يمكن نطقه كما هو مكتوب بحروفه المختصرة. أمّا نهاية أيّ اسم من هذه الأسماء المقدّسة، فيحكمها قوانين صارمة. وعادة كانت تُترك مسافات حول الاسم المختصر لإظهاره.

ولقد رأى علماء الخطوط القديمة في هذه الأسماء المقدّسة Nomina Sacra ، أداة تساعد على تحديد مكان وزمان النّاسخ الذي نسخ أو كتب هذه الوثيقة أو هذا المخطوط الذي يحوي بعضاً منها. وهذا هو الغرض الأساسي من دراسة هذا النّظام.

وكان العالم ترويبه Ludwig Traube هو صاحب هذا الاصطلاح أي

اصطلاح "الأسماء المقدسة" *Nomina Sacra* ، حيث ظهر لأول مرة سنة ١٩٠٦م<sup>(١)</sup>. ولدينا من المصادر المبكرة ما يشرح نظرية كتابة الاسم باستخدام الرّسم monogram وبالتحديد للاسمين Ἰησοῦς (إيسوس) أي "يسوع"، و Χριστός (خريستوس) أي "المسيح".

### تقسيم الأسماء المقدسة إلى ثلاثة أقسام

وتُقسّم هذه الأسماء المقدسة *Nomina Sacra* إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول منها يحوي أربعة أسماء أساسية هي:

- Ἰησοῦς (إيسوس) أي "يسوع".
- Χριστός (خريستوس) أي "المسيح".
- Κύριος (كيريوس) أي "الرّب".
- Θεός (ثيؤس) أي "الله".

أمّا القسم الثاني منها، فيحوي ثلاثة أسماء هي:

- Πνεῦμα (ابنفا) أي "الرّوح".
- ἄνθρωπος (أنثروبوس) أي "الإنسان".
- σταυρός (إستافروس) أي "الصليب".

أمّا القسم الثالث منها، فيحوي ثمانية أسماء هي:

- Πατήρ (باتير) أي "الأب".
- υἱός (إيوس) أي "الابن".
- σωτήρ (سوتير) أي "المخلص".

- μήτηρ (ميتير) أي "الأم".
- οὐρανός (أورانوس) أي "السَّماء".
- Ἰσραήλ (إسرائيل) أي "إسرائيل".
- Δαυείδ (دافيد) أي "داود".
- Ἱερουσαλήμ (يروساليم) أي "أورشليم".

وتُعامل هذه الأسماء المقدَّسة معاملة مختلفة، طبقاً لوجودها في واحد من الأقسام السَّابق ذكرها، وهو ما تُظهره الوثائق المبكرة. فبعض الأسماء تُكتب بالذهب، بينما الآخر منها يُكتب بالفضة.

ولكن يبقى أمام النَّاسخ أن يحدِّد ما إذا كانت الكلمة التي أمامه ستستخدم كاسم مقدَّس أم لا. ومثال لذلك كلمة υἱός أي "الابن" فإن جاءت هذه الكلمة في صيغة "ابن الإنسان"، فهي هنا كلمة مقدَّسة، بخلاف ما إذا جاءت في تعبير عادي. وبالمثل أيضاً اسم Δαυείδ أي "داود"، حيث يختلف الأمر إذا استُخدم الاسم في نص ماسياني، أو استُخدم في نص تاريخي بحت.

وإنَّ المكتشفات الحديثة للبرديات، وما تمَّ دراسته ونشره منها، يوصلنا إلى أنَّ الاختصارات المتعلقة بهذه الأسماء المقدَّسة، ليست من مصدر يهودي يوناني كما كان يُعتقد من قبل، حيث لم يوجد من الإثباتات الأثرية ما يؤيِّد هذا الرأي. ومن ثمَّ، فإنَّ هذا النِّظام في اختصار الأسماء المقدَّسة، راجع إلى أصول مسيحية بحتة.

أي أنَّ هذه الأسماء المقدَّسة Nomina Sacra ترد في المخطوطات المسيحية مختصرة وموضوعاً فوقها شرطة. وكانت الكلمات الأربعة

الأولى الأساسيّة، هي أوَّل كلمات أو أسماء، استُخدم فيها الاختصارات، باعتبارها أسماء مقدَّسة. إلّا أنه في الأغراض العلميّة، كان يمكن كتابة الاسم كاملاً بدون اختصار، ومن أبداع الأدلة على ذلك، هو برديةٌ وُجدت في البهنسا Oxyrhynchus ، وهي عبارة عن ورقة بردي مدوّنة عليها عمليّة حسابيّة لشراء أو بيع بعض الحبوب، وتعود إلى النصف الأوَّل من القرن الثالث الميلادي<sup>(٢)</sup>. وعلى ظهر هذه البرديّة، كُتب لحن للتالوث، لمؤلّف مجهول، مع علاماته الموسيقيّة. وهنا كان من الضّروري أن يُكتب مقطع كل كلمة بالكامل، لتوقيع العلامات الموسيقيّة المرافقة له، لذلك وجدنا أن الاسم Θεός (ثيوس) أي "الله"، قد كُتب كاملاً بدون اختصار<sup>(٣)</sup>.

وعلينا الآن أن نحاول الإجابة على الأسئلة التّالية:

- أين نشأ هذا النّظام؟ ولماذا؟
- وما هو أقدم دليل عليه؟
- وما فائدة هذا النّظام في التّعريف على التّاريخ المبكّر للكنيسة عموماً، وكنيسة مصر خصوصاً؟

### الافتراضات التي تحاول استيضاح نشأة هذا النّظام

الافتراض الأوَّل يقول بأن كلمة Κύριος (كيريوس) أي "الرّب"، كانت هي أوَّل كلمة استُخدمت في هذا النّظام. ولكي نشرح ذلك، فعلينا الآن أن نتخيّل جماعة مسيحيّة حديثة من اليهود اليونانيّين، الذين اعتادوا التّردّد على الجامع اليهوديّة لسماع التّوراة تُقرأ

2. P. Oxy. xv. 1786 = H. 962.

3. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 37.

عليهم باليونانية<sup>(٤)</sup>، وقد اعتادوا على أن قارئ التوراة، حينما يصل إلى كلمة "يهوه" - التي كانت تُكتب في المخطوطات اليونانية بحروفها العبرية 7177 بواسطة يهودي من الكهنة بحسب تقليدهم وقتئذ - كان ينطقها "أدوناي"<sup>(٥)</sup>.

ولما طردت هذه الجماعة من الجامع اليونانية اليهودية بسبب إيمانها بالمسيح، كان لابد لها أن تُكوّن لنفسها مجعاً مستقلاً بها، حيث يجتمعون معاً ويقرؤون التوراة كما اعتادوا من قبل. وكان عليهم أن ينسخوا التوراة السبعينية. ولكن لم يكن عندهم الكاهن اليهودي الذي يكتب لهم كلمة "يهوه" 7177 بحروفها العبرية، والتي كانت عندهم ذات جلال غير محدود. فكان على الناسخ أن يكتب هذه الكلمة بالحروف اليونانية المعتادة، أي يكتب Κύριος أي "الرّب"<sup>(٦)</sup>.

وكما كان الناسخ اليهودي يميّز هذه الكلمة حتى يتنبه القارئ إلى أنها هي اسم الله المقدّس، فيكتبها بحروف مذهّبة، أو يضع فوقها شرطة كنوع من لفت النظر، هكذا أيضاً صنع ناسخ التوراة للمجمع اليوناني المسيحي الذي انفصل عن مجمع اليهود التقليدي، فصارت الكلمة تُكتب هكذا: **KC** كما جاءت في بعض البرديات والمخطوطات القديمة المحفوظة لنا من القرن الثاني الميلادي<sup>(٧)</sup>. وإنّ نظام اختصار كلمة Κύριος في

٤- استخدم اليهود اليونانيون الترجمة اليونانية للأسفار العبرية منذ القرن الثالث قبل الميلاد.

٥- وهو ما يشهد به العلامة أوريجانوس في تفسيره للمزامير.

Cf. Origen., in Psalms 2:2.

6- Cf. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 34 ff.

7- *Ibid.*, p. 28, 29.

المخطوطات، قد أخذ به قبل نهاية القرن الأوّل الميلادي<sup>(٨)</sup>.

وإنّ ما سبق شرحه للتو، لم يكن محاكاة للتقليد اليهودي تماماً، إلّا من جهة لفت الانتباه لمثل هذه الكلمات فحسب. وفي ذلك يؤكّد العالم براون Schuyler Brown أنّه ليس ثمة علاقة متوازية بين طريقة كتابة الاسم في العبريّة، وبين طريقة كتابة الأسماء المقدّسة Nomina Sacra في اليونانيّة. ففي الكتابة العبريّة لم يكن هناك شيء يميّز طريقة كتابة الأسماء عن غيرها من الكلمات، فحذف الحروف المتحرّكة في كليهما كان في هذه الفترة هو شيء عادي في كلّ الكتابات العبريّة. أمّا في حالة الأسماء المقدّسة Nomina Sacra في اليونانيّة، فلم تكن تُحذف كلّ الحروف المتحرّكة من هذه الأسماء، بل كان يُحذف أيضاً منها بعض الحروف السّاكنة<sup>(٩)</sup>.

ويرى علماء الخطوط القديمة، أنّ اليهود اليونانيّين، لم يعتبروا كلمة Κύριος اليونانيّة - أي "الرّب" - واحدة من الأسماء المقدّسة Nomina Sacra<sup>(١٠)</sup> وهو ما يدعم نظريّة العالم الألمانيّ كاليه P.E. Kahle

8- *Ibid.*, p. 35.

9- *Ibid.*, p. 29.

١٠- فهناك - على سبيل المثال - سبع لفائف من البردي أو الجلد أو الرّقوق تمّ اكتشافها في مصر، وفي وادي قمران، وفي الجانب الآخر من صحراء اليهوديّة، يتراوح زمن نساختها بين أوائل القرن الثاني قبل الميلاد وأوائل القرن الأوّل بعد الميلاد، لم يُستخدم فيها كلمة Κύριος للإشارة إلى الاسم الإلهي "يهوه" بل كتبت الاسم بالحروف العبريّة. وهذه المخطوطات هي:

- لفيفة من البردي papyrus roll لسفر الخروج، وادي قمران، ١٠٠ ق.م.
- لفيفة من البردي لسفر اللاويين، وادي قمران، أواخر الأوّل ق.م، وأوائل الأوّل ب.م.
- لفيفة من الجلد leather roll لسفر اللاويين، وادي قمران، ١٠٠ ق.م.
- لفيفة من الجلد لسفر العدد، وادي قمران، ٥٠ ق.م - ٥٠ ب.م.
- لفيفة من البردي لسفر التكوين وسفر التثنية، P. Fouad Inv. 266 القرن الأوّل قبل الميلاد.
- لفيفة من البردي لسفر التثنية، القرن الثاني قبل الميلاد.

الذي يرى أن وجود الاختصار لكلمة Κύριος - وهو  $\overline{\text{ΚC}}$  - في أي مخطوط خلال الثلاثة قرون الأولى للمسيحية، يؤكد أن هذا المخطوط ذو أصول مسيحية بحتة، وليست يهودية. وجدير بالذكر هنا أن المسيحيين استخدموا هذا الاختصار في مخطوطاتهم قبل نهاية القرن الأول الميلادي<sup>(١١)</sup>.

وهناك افتراض آخر وهو الأكثر قبولاً، وهو أن أول اختصار، لم يكن لكلمة κύριος (كيريوس)، بل لكلمة Ἰησοῦς (إيسوس)، وذلك بناء على الدلالة الرمزية للحروف الأولى منه، إذا اعتبرت أرقاماً باللغة اليونانية. ويأتينا الدليل عليه، ليس من مخطوطة للكتب المقدسة، بل من مصدر أدبي مسيحي، وهو رسالة برنابا، والتي يرجعها العلماء إلى أواخر القرن الأول المسيحي أو أوائل الثاني، حيث يرد فيها شرح للمعنى الرمزي الذي يشير إليه عدد غلمان إبراهيم الـ ٣١٨ الذين حاربوا وغلبوا (تكوين ١٤:١٤). والشرح مبني على كتابة هذا العدد بحسب الترقيم اليوناني  $\overline{\text{ππ}}$  حيث تقول الرسالة إن حرف  $\tau$  يرمز للصليب، بينما الحرفان  $\eta$  هما اختصار اسم يسوع. ولا يُقدّم لنا الكاتب إيضاحاً عن اختياره لهذا الرمز  $\overline{\eta}$  ليشير به إلى اسم يسوع، بل يقدم الاختصار كأنه أمر متعارف عليه غير محتاج لشرح أو برهان<sup>(١٢)</sup>. أمّا النتيجة الحتمية، فهي أن اختصار اسم يسوع من هذين الحرفين اليونانيين إذا

- لفيفة من الرقوق parchment roll لأسفار الاثني عشر الصغار، صحراء اليهودية، ٥٠ م. - ٥٠ ب.م.

11- Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 30, 31, 35.

١٢- لقد ورد هذا الشرح عنه لرقم ٣١٨ في كتابات العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥ م) Cf. Strom. 6. 11

Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 37.



لم يكن يرجع إلى العصر الرُّسولي، فإنه يعود إلى زمن رسالة برنابا، أي إلى ما بعد العصر الرُّسولي مباشرة..

وفي الحقيقة فإنَّ  $\overline{\text{I}\eta}$  ليس اختصاراً contraction للاسم "يسوع"، بل هو اختزال suspension له. لأنَّ اختصار الاسم يأتي من الحرفين الأوَّل والأخير له. ومن ثمَّ فإنَّ التَّطوُّر الذي حدث لاختصار اسم "يسوع" باعتباره من الأسماء المقدَّسة Nomina Sacra صار  $\overline{\text{I}\Gamma}$ . وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ كلَّ الشُّواهد الحاليَّة تدلُّ على أنَّ الاختصار  $\overline{\text{X}\Gamma}$  المختص بالاسم المقدَّس  $\text{X}\rho\iota\sigma\tau\acute{o}\varsigma$  أي "المسيح" أُسِّب من الاختصار  $\overline{\text{X}\text{P}}$  (وهما الحرفان الأوَّل والثاني من الاسم)، حيث أنَّ هذا الاختصار الأخير أي  $\overline{\text{X}\text{P}}$  لم يوجد أبداً بهذا الشَّكل إلاَّ إذا كان مرتبطاً بالاختصار  $\overline{\text{I}\eta}$  وهو ما نجده في مجموعة مخطوطات الأناجيل والأعمال المحفوظة في مكتبة شيستر بيٽي Chester Beatty. ومن ثمَّ فلا يوجد دليل كافٍ لكي نظنَّ أنَّ كتابة أوَّل حرفين من الاسم suspension هو نظام سابق على كتابة اختصار الاسم من حرفيه الأوَّل والأخير contraction.

ولكن الأرجح أنه إلى جانب هذا الاختزال لاسم يسوع ( $\overline{\text{I}\eta}$ )، نشأ أيضاً اتجاه آخر، جعل التُّسَاخ يستعملون اختصار اسم يسوع ( $\overline{\text{I}\Gamma}$ ) وذلك بناءً على قول السيِّد المسيح عن نفسه أنه هو الألف والياء أي الألفا والأوميغا  $\text{A}\Omega$ ، البداية والنهاية. لذلك اتَّجه التُّسَاخ لاستعمال الحرف الأوَّل والحرف الأخير من الاسم لاختصار اسم يسوع باعتباره من الأسماء المقدَّسة Nomina Sacra<sup>(١٣)</sup>.

### معنى اختيار أسماء بعينها دون غيرها لتكون أسماء مقدّسة

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: لماذا أختيرت هذه الكلمات فقط دون كلمات أخرى تحمل أيضاً مدلولات لاهوتية ذات مغزى مثل:

- λόγος (لوغوس) أي "كلمة".
- σοφία (صوفياً) أي "حكمة".
- αἷμα (هيما) أي "دم".
- ἄρτος (آرتوس) أي: "خبز".
- σὰρξ (ساركس) أي "جسد".
- σῶμα (سوما) أي "جسد".

والجواب هو أن عدم وجود هذه الكلمات السابق ذكرها مباشرة في قائمة الاختصارات التي أشرنا إليها في بداية هذا الفصل، يشير إلى أن هذه الاختصارات - الواردة في بداية هذا الفصل - جاءت من منطقة لم تتعرض لتأثيرات رسائل القديس بولس الرسول، وكتابات القديس يوحنا الرسول الإنجيلي<sup>(١٤)</sup>.

وهناك أيضاً مؤشّر في نفس هذا الاتجاه، وهو أن اختصار كلمة ἀνθρωπος أي "الإنسان" جاء معاصراً للزمن المبكر الذي بزغت فيه هذه الكلمات المختصرة. أمّا تعليل هذا، فهو استعمالها لاسم يسوع باعتباره "ابن الإنسان"، وهو اللقب الذي استعمله الإنجيليون في تسجيلهم لأقوال يسوع. وما يهّمنا في هذا المجال، هو أن هذا اللقب "ابن الإنسان" قد استعمل مبكراً في ترجمة الأصول الآرامية للإنجيل إلى اللغة اليونانية، ولكن لا نجد في رسائل القديس بولس الرسول.

ولقد جاء استخدام هذه الأسماء المقدّسة معاصراً لنشأة المخطوطات البرديّة المجلّدة Codex المسيحيّة، أي في زمن هُضمة فن النسخة. وأيضاً في نفس الوقت الذي حدث فيه نشاط أدبي نقدي بين علماء اليهود والذي أفضى في النهاية إلى تثبيت النّص العبري للأسفار المقدّسة. وهذا يوحي لنا بوجود نوع من التّنظيم والتّخطيط الواعي والمقصود، لإنشاء هذا النّظام الدّقيق في كتابة الأسماء المقدّسة في المجتمعات المسيحيّة الأولى، والتي نجعل عنها الشّيء الكثير.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، هناك أربع كلمات تُعامل في المخطوطات اليونانيّة المتأخّرة على أنّها من الأسماء المقدّسة Nomina Sacra وهي كلمات: οὐρανός أي "السّماء"، Ἰσραήλ أي "إسرائيل"، Δαυείδ أي "داود"، و Ἱερουσαλήμ أي "أورشليم". ويتّضح لنا جلياً، أنّها ليست من أصول مسيحيّة، وهي تُكتب - بدون استثناء لواحده منها - في أيّ مخطوطات مسيحيّة مبكّرة، بحروفها كاملة وبدون اختصار<sup>(١٥)</sup>. وهذا دليلٌ آخر على أنّ نظام اختصار الأسماء المقدّسة، قد نشأ في أوساط مسيحيّة وليست يهوديّة.

وهناك أيضاً برديّة ليتورجيّة Liturgical papyrus تورّخ بنهاية القرن الأوّل المسيحي، ورد بها صلاة تطلب مساعدة ملاك الخروج ضد الأرواح الشرّيرة. ونوع الخط الذي كُتبت به يُرجعها إلى أصول يهوديّة. وفي هذه البرديّة نجد أنّ كلمة Κύριος أي "الرّب"، قد كُتبت كاملة وبدون اختصار، ولم يوضع خط فوقها، وهو ما يؤكّد مجدداً أنّ اليهود لم ينظروا إلى هذه الكلمة على أنّها كلمة مقدّسة nomen sacrum. ولكن بدءاً من

القرن الرابع الميلادي وما بعده، هناك أمثلة في بعض مخطوطات يهودية يتضح لنا منها أن كلمة Κύριος قد تم اختصارها باعتبارها من الأسماء المقدسة Nomina Sacra. ولكن مثل هذه الحالات تظل استثناءات، ويمكن إرجاعها إلى تأثير العالم المحيط باليهود، ونظرته إلى هذه الكلمة<sup>(١٦)</sup>.

### المغزى اللاهوتي وراء استخدام بعض هذه الأسماء المقدسة

إن وراء الكلمات الأربعة الأساسية Ἰησοῦς - Χριστός - Κύριος Θεός (أي: يسوع - المسيح - الرب - الله)، بالإضافة إلى كلمات Ἰσραήλ - Πνεῦμα - Πατήρ - ἄνθρωπος (أي: الروح - الأب - الإنسان - إسرائيل)، سبب لاهوتي.

فالمغزى اللاهوتي العميق الذي يختفي وراء هذه الترتيبات والتنظيمات - ولاسيما في هذه الاختصارات - هو أن الاسم يساوي الشخصية وحامل لقوتها. وهو ما يظهر لنا من كتاب العهد الجديد<sup>(١٧)</sup>. ولقد بدأت

16- *Ibid.*, p. 31.

١٧- «حين كنت معهم في العالم، كنتُ أحفظهم في اسمك» (يوحنا ١٧: ١٢).  
 «لكي تجثو باسم يسوع كل ركلة» (فيلبي ٢: ٩).  
 «فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك» (متى ٦: ٩).  
 «ياربُّ ياربُّ أليس باسمك تنبأنا». (متى ٧: ٢٢).  
 «وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي» (متى ١٠: ٢٢).  
 «وعلى اسمه يكون رجاء الأمم» (متى ١٢: ٢١).  
 «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون في وسطهم» (متى ١٨: ٢٠).  
 «فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨: ١٩).

«من قبل واحداً من أولاد مثل هذا باسمي يقبلني» (مرقس ٩: ٣٨).  
 «فرجع السبعون بفرح قائلين: ياربُّ حتى الشياطين تخضع لنا باسمك» (لوقا ١٠: ١٧).

الأجيال التّالية في التّعامل مع اسم يسوع، كبديل لاسم "يهوه"، كما هو ظاهر في رسالة الأبوكريفا المنسوبة ليعقوب الرّسول، والتي هي من مصدر مصري. ومن روما، كان كتاب راعي هرماس *The Shepherd of Hermas* والذي انتشر في مصر، وفيه يقول الكاتب إنّ البُرج كان مؤسساً على النّطق بالاسم الجيد المقدر<sup>(١٨)</sup>. وهذا التّمسك بالاسم المبارك، هو سمة مميّزة للاهوت لليهود المؤمنين بالمسيح في الكنيسة الأولى<sup>(١٩)</sup>.

### مكان نشأة نظام استخدام الأسماء المقدّسة

فمن أين نبعث هذه الأفكار اللاهوتيّة التي أعطت للمخطوطات هذه الرّموز؟ هل من الممكن أن يكون مصدرها هو الإسكندريّة، باعتبارها مركز تجارة الكتاب في العالمين اليوناني والروماني وقتئذ، وبؤرة تجمّع التصوّف اليهودي؟ ولاسيما أنّ أقدم المخطوطات المسيحيّة المبكّرة صادرة من مصر؟ ولكن ما هي العلاقة بين تجارة الكتاب في الإسكندريّة ومصر والكتّاب المسيحيّين الأوائل؟

يرى بعض العلماء أنه من المستبعد أن يكون لكنيسة الإسكندريّة المغمورة في القرن الأوّل الميلادي - والتي ليس لديها أي آثار وثائقيّة بعد عهد الرّسل مباشرة - مثل هذا التّأثير على العالم اليوناني المسيحي. كما

---

«وأما كلّ الذين قبلوه، فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أبناء الله، أي المؤمنون باسمه» (يوحنا ١: ١٢).

«أيها الآب جُدِّ اسمك» (يوحنا ١٢: ٢٨).

«ويكون كلّ من يدعو باسم الرّب يخلّص» (أعمال ٢: ٢١).

«ليس اسم آخر تحت السّماء قد أعطي بين النّاس به ينبغي أن نخلّص» (أعمال ٤: ١٢).

18. *Sim. IX 14:3 ; Vis. III 3:1.*

19. J. Daniélou, *Primitive Christian Symbols*, p. 142.

أنَّ المخطوطات القبطية ليس فيها سوى الأربع كلمات الأساسية المختصرة مع كلمتي Πνεῦμα - Πατήρ . فلو كانت مصر هي التي أبدعت هذا النظام، لكانت الكنيسة القبطية قد تبنته أكثر من ذلك في كتاباتها القبطية.

أمَّا عن كنيسة روما، فلنرى هناك هذا النظام في الترجمات اللاتينية المبكرة لديها، ولكنها استعملته بدون انتظام في عصور متأخرة قليلاً. ومن ثمَّ تبقى بعد ذلك كنيسة أورشليم. وإنَّ العلاقات بين مصر وفلسطين، وبين يهود أورشليم ويهود الإسكندرية، لا تحتاج إلى إيضاح أو تأكيد. وهناك ما يرجح أنه من أورشليم خرج هذا النظام الذي نشره بعد ذلك تُسَاخ الإسكندرية، وانتقل منهم إلى سائر الأرجاء بواسطة تجارة الكتاب، وهي التجارة التي اشتهرت بها مصر والإسكندرية. وفصول الإبركسيس (أعمال ٤١:٢-٤٢:٥) والتي نشأت بين اليهود اليونانيين في كنيسة أورشليم تشرح لنا ما تبلور حول اسم "يسوع" من قيم لاهوتية تركت آثارها على الأدب الكنسي المبكر. ومن هناك كان اسم "الله" واسم "يسوع" يتبادلان كلُّ منهما مكان الآخر، وصارا حقيقتين متساويتين. وصارت كلُّ آية ماسيائية تحمل اسم المسيا أو تشير إليه ذات أهمية خاصة. وهذا ما أكدته دراسات جان دانييلو J. Daniélou في كتابه عن لاهوت اليهود الذين قبلوا المسيحية<sup>(٢٠)</sup>. وصار من الطبيعي، أنه بمجرد تدوين الكرازة الإنجيلية في مادة مكتوبة، أن أحيط "الاسم المقدس" بالمهابة، وهي المهابة التي أوحى بها اسم "يهوه" في العهد القديم.

20- J. Daniélou, *History of Early Christian Doctrine, I: Theology of Jewish Christianity*, p. 147ff.

## نظام الأسماء المقدّسة Nomina Sacra في الوثائق، قد أعاد كتابة تاريخ نشأة كنيسة الإسكندريّة

لقد ثبت أن المسيحيّة في كنيسة الإسكندريّة، قد تأثرت في نشأتها بالتأثير اليهودي، إذ كانت أورشليم هي المصدر والنبوع الذي استمدت منه مصر مسيحيّتها. فقد بدأ كثير من المؤرّخين - وعلى هذا النّسق - يعيدون كتابة تاريخ كنيسة الإسكندريّة، حيث يقولون بأنّ المسيحيّة قد دخلت الإسكندريّة عن طريق فلسطين بواسطة الجماعة التي كان يرأسها القديس يعقوب الرّسول، وهم الذين كان تقليد المجامع يمثّل بالنسبة لهم أهميّة كبرى. وكما قلنا من قبل، أنه يلاحظ أنّ نظام استعمال الأسماء المقدّسة Nomina Sacra أي كتابتها بحروف مختصرة، كان ينم عن وجود تنظيم وإدارة مسبقة. فالّتقليد الخاص بالنظام الجمعي اليهودي من جهة القارئ Lector، والعناية الرّائدة بالنّسخة، وحفظ درج التّوراة، ثمّ نظام الخزانة Genizah للمخطوطات التي يتم الاستغناء عنها لدى المجامع اليهوديّة، كلُّ هذه التّقاليد، يمكن تعديلها لتناسب مع استعمال اليهود الذين قبلوا المسيحيّة، التّقليديّين، الذين كان يمثّلهم ويرأسهم القديس يعقوب الرّسول، ممّا يلقي ضوءاً ليس بالهين على تاريخ المخطوطات المسيحيّة المبكّرة في مصر.

وهكذا تكتمل إلى حد ما، الأدلة المستمدة من استعمال "الأسماء المقدّسة Nomina Sacra"، بأنّها من نتاج جماعة مسيحيّة مبكّرة كانت تتميز بمفهومات مسيحيّة ذات اتجاهات لا علاقة لها بتعليم القديس بولس الرّسول، واستمرّت إلى ما بعد سنة ٧٠م. وبذلك يُنسب استخدام هذه الأسماء المقدّسة إلى بواكير المسيحيّة، وهي تكاد أن تكون معاصرة لأوّل وثائق مكتوبة عن المسيحيّة. وهي لم تكن أبداً خاضعة لجماعة معيّنة، ولا

لشخص أو ناسخ معين. وهكذا تصبح هذه التّحديدات في موضعها تماماً، لو كانت كنيسة أورشليم هي أساس المسيحية في مصر، والتي بدأت قبل سنة ٧٠م.

وإنّ نظام "الأسماء المقدّسة"، هو نظام دقيق معقد، لا يمكن لناسخ أو لكتاب ما، أن يفكر فيه من ذاته، ولا يستطيع أن يحل تعقيداته بمفرده، أو باستخدام سلطانة الشّخصي. ومن ثمّ، فإنه لا بد أنه كان أمام النّاسخ أو الكاتب، صورة أصلية ينسخ على نمطها، إذ كيف يمكنه بمفرده أن يميّز بين كلمة ذات معنى علماني، ونفس الكلمة حينما تكون ذات معنى تقديسي؟

وملخص كل هذه البراهين، هو أن استعمال "الأسماء المقدّسة Nomina Sacra" في الوثائق المسيحية، لا يمكن فهمه على أنه نظام مطوّر أو مأخوذ من نظام النّساختة اليونانية أو اليهودية. لأنّ نظام نساخة الأسماء المقدّسة، لا يشبه الرّموز والاختصارات المستعملة في النّساختة اليونانية، سواء في المستندات الأدبية أو الاستعمالات اليومية، بل هي "الحاجة وليدة الاختراع"، كما في أمور أخرى كثيرة كانت تواجهها المسيحية الأولى، وتحل مشاكلها بحسب أصولها وقواعدها التي تسلّمها من الرّب يسوع عن الرّسل. وإنّ الارتباط بين العهد القديم والعهد الجديد، هو بلا شك حجر الزاوية في هذا النّظام، حيث كانت آيات العهد القديم الماسيائية، هي أساس المسيحية الناشئة.



## الفصل الرَّابِع

الغنوسية وعلاقتها بكنيسة الإسكندرية

## الغنوسية واحدة من أعظم الحركات الفلسفية التي شهدها التاريخ الإنساني

إن الغنوسية<sup>(١)</sup> التي تُعدُّ واحدة من أعظم الحركات الفلسفية التي شهدها التاريخ الإنساني، هي مجموعة عقائد متداخلة، ظهرت بوضوح في شكلها المسيحي في القرن الثاني الميلادي. وكانت بمثابة أول اختبار حقيقي لأهمية دور مدرسة الإسكندرية اللاهوتية في مواجهة أعنف حركة فلسفية واجهتها.

وإن كانت الغنوسية قد أخذت كثيراً من الأشكال، لكنّها اتفقت كلها على زيادة معلّمها الأوائل وهم: باسيليدس Basilides أول وأكبر معلّم غنوسي في الإسكندرية حوالي سنة ١٤٠م، وكان ينتسب إلى كنيسة الإسكندرية. وبعده بقليل جاء فالنتينوس Valentinus أقوى معلّم الغنوسية، والذي لم يلبث أن غادر الإسكندرية إلى روما، وكاد ينجح في أن يكون أسقفاً لها ما بين سنة ١٦٠م وسنة ١٧٠م. وأيضاً ماركيون Marcion الذي وُلد في ممفيس بمصر. وأيضاً كاربوكراتس Carpocrates وأبلس Apelles<sup>(٢)</sup>

وقد ثبت لدى العلماء الآن، أن أصول المسيحية الغنوسية، هو الفكر

١ - جاءت الكلمة العربية "غنوسية" من الكلمة اليونانية Γνωσις (غنوسيس) أي "المعرفة".

2- Cf. A.F.J. Klijn, *op. cit.*, p. 165.

الذي كان قائماً بالفعل آنذ في الأوساط الوثنية. وفي المسيحية ظهرت هذه الحركة في البداية كمدرسة - أو مدارس - فكرية داخل الكنيسة، وما لبثت أن استقرت في كافة مراكز المسيحية المعروفة آنذ. وفي غضون نهاية القرن الثاني الميلادي، وضح أن الغنوسية أصبحت شيع مستقلة في فكرها عن فكر الكنيسة.

وإن كانت الغنوسية تعتمد على الفلسفة الفكرية، فإن مصدر هذه "المعرفة" الخاصة كان - بحسب اعتقادهم - إما من الرسل الذين عن طريقهم كان التقليد السري غير المكتوب، أو الإلهام المباشر الذي يُعطى لمؤسسي الشريعة.

ولقد استخدمت وفُسرَّت أسفار العهد القديم، وكثير من أسفار العهد الجديد، بواسطة أكبر هذه الشيع. وكان محور التفسير هو شخصية يسوع، ولكن اعتماداً على عدّة نقاط أساسية، تختلف اختلافاً بيناً عن التعليم الأصيل للكنيسة.

أما المدافعون الأساسيون عن الكنيسة ضد الغنوسية، فكان منهم القديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م)، والعلامة ترتليان (١٦٠-٢٢٥م)، وهيبوليتس الروماني. وهم الذين أكدوا على السمات الوثنية للغنوسية، وركزوا في دفاعهم على أن تفسير الأسفار المقدسة، يجب أن يكون نابعاً من تقليد الكنيسة الذي سلّم من معلّم إلى معلّم، رجوعاً إلى الآباء الرسل أنفسهم.

ويؤكد بعض العلماء الألمان<sup>(٣)</sup> على أن الغنوسية، كمذهب

فلسفي قد عُرفت قبل المسيحية. وأنَّ الشَّيخ اليهودية قبل المسيحية، أمدت الأفكار الغنوسية بتربة خصبة لنموها. وأنَّ بعض اليهود المتكلمين باليونانية، أمثال فيلو Philo ، قد حاولوا أن يشرحوا إيمانهم في مصطلحات فلسفية يونانية.

ولقد ظلت الغنوسية في أشكال مختلفة لبضعة قرون. أمَّا شيعة المانيين التي أسسها ماني الفارسي في القرن الثالث الميلادي، فقد انتشرت حتى وصلت إلى تركستان، وبقت فيها حتى القرن الثالث عشر. وأحد هذه الشَّيخ الغنوسية والتي تُسمى The Mandeans لا زالت باقية حتى اليوم فيما بين النهرين<sup>(٤)</sup>.

وفي خضم معركة الإيمان التي حدثت في القرن الرابع الميلادي بسبب هرطقة أريوس، وجدت الغنوسية فرصتها السانحة، وجوها الخصب، لتدخل هي الأخرى ميدان التسابق في تحديد المفاهيم الإيمانية والشروحات الإنجيلية، وانتشرت حتى وصلت إلى أسبانيا، مختبئة تحت الممارسات والطقوس الروحية السرية على يد ماركيون Marcion المارق، الذي كان من مواليد ممفيس بمصر.

ولقد دخلت الدراسات الغنوسية مرحلة جديدة بعد اكتشاف مجموعة كبيرة من النصوص القبطية قرب نجع حمادي في صعيد مصر سنة ١٩٤٥م أو سنة ١٩٤٦م. وهي تحوي أكثر من أربعين بحثاً مستقلاً، منها اثنان فقط كانا معروفين قبلاً، وكلها مترجمة - منذ القرن الرابع الميلادي - عن أصول يونانية تعود إلى حوالي القرن الثاني الميلادي.

إنَّ بعض هذه الكتابات المكتشفة في نجع حمادي، هي كتابات نُسكية، في مظهرها مسيحية، لكنّها تحوي سمات غنوسية على درجات مختلفة. ومن بين هذه الكتابات ما يُسمّى ”إنجيل الحق“، ومقال ”عن القيامة“ ذات تعليم أرثوذكسي. وإنَّ من بين ما جذب الانتباه من هذه الكتابات أكثر من غيره، هو ”إنجيل توما“.

وتُعدُّ اكتشافات نجع حمادي من أهم الاكتشافات التي أَلقت ضوءاً جديداً على أصول الغنوسية، على الرَّغم من أنَّ كثيراً من التفصيلات لا تزال غير واضحة.

**هل كانت كنيسة الإسكندرية النَّاشئة واقعة تحت تأثير الغنوسية؟**

وصلت المسيحية إلى مصر عن طريق فلسطين بشكل متأثر كثيراً باليهودية، وهي حقيقة لا نزاع عليها. إلاَّ أنَّ هذه الحقيقة غير قادرة في ذاتها على أن تجيب على واحد من السؤالين التاليين:

**السؤال الأوَّل:** لماذا لم نسمع ولم نعرف إلاَّ القليل النَّادر عن

الكنيسة في مصر في القرنين الأوَّل والثاني للميلاد؟

**السؤال الثاني:** هل هذه التُّدرة في المعرفة، تجعلنا نظن أنَّ كنيسة

مصر كانت واقعة تماماً تحت تأثير الغنوسية، وهو ما حاولت الأجيال التالية التَّنصُّل منه، كما يقول بعض المؤلِّفين والمؤرِّخين المحدثين؟

لقد أجبنا على السؤال الأوَّل في الفصل الأوَّل من هذا الكتاب<sup>(٥)</sup>،

والآن علينا أن نبحث في إجابة السؤال الثاني.

في الحقيقة؛ إن كان تأثير اليهودية على الغنوسية قوياً، فإنه ليس من اللازم أن يكون تأثير اليهودية على كنيسة مصر الناشئة قد سار في نفس هذا الاتجاه، أي في نفس هذا الاتجاه الغنوسي. لأنه يجب أن نعرف أن كنيسة الإسكندرية التي تأسست قريبة من أورشليم، وفي تفاعل مباشر مع مدينة دعاها المؤرخ الألماني ليتزمان Leitzmann "مركز الإنتاج الروحي الغزير في إسرائيل"، لا بد أنها قد تركت بصمة على تاريخ المسيحية لا يمكن أن تمحوها القرون التالية. ومن ثم، فلا يجب أن نأخذ بالقول بوجود تأثير يهودي غنوسي على كنيسة مصر.

بمعنى أنه إن كان هناك تأثير يهودي على كنيسة مصر في مستهل نشأتها، إلا أنه لم يكن تأثيراً يهودياً غنوسياً عليها. ومن ثم فليس صحيحاً ما يقوله بعض العلماء بأن المسيحية في مصر في بواكيرها الأولى قد نشأت وسط محيط من تأثيرات يهودية غنوسية<sup>(٦)</sup>.

أما الصحيح فهو أن كنيسة الإسكندرية ظلت حافظة لتقليد نادر، لكنيسة أرثوذكسية، تحيط بها شيع هرطوقية ذات صبغة يهودية غنوسية، ولكنها لم تتأثر بها، وهو ما أثبتته الوثائق البردية التي وُجدت في مصر.

### نظرية العالم باور Bauer ودحضها

لقد كان باور<sup>(٧)</sup> W. Bauer هو أول من بنى نظرية في سنة ١٩٣٤م مفادها "أن الكنيسة المصرية الناشئة كانت غنوسية، وأنه إن كان هناك مسيحيون في كنيسة مصر في ذلك الوقت ذوي عقيدة صحيحة، إلا أنهم

6- A.F.J. Klijn, *op. cit.*, p. 165.

٧- العالم بوير W. Bauer هو واضع أكبر قاموس يوناني إنجليزي، للعهد الجديد وكتابات الكنيسة الأولى.

كانوا أفراداً. وأن المسيحية الأرثوذكسية في مصر لم تجد تعليماً قوياً يسند لها في ذلك الوقت المبكر. وأن المسيحية الصحيحة لم تجد لها قدماً في مصر إلا في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي. ولذلك وجد مسيحيو مصر في الأجيال التالية مبرراً لإخفاء هرطقتهم الغنوسية في القرن الأول الميلادي، وذلك بتجاهل تاريخهم في هذا القرن الأول كُلية. ولقد سلك آخرون على منوال ما قاله باور W. Bauer مثل العالم جرانت R. M. Grant<sup>(٨)</sup>.

ولقد بني باور W. Bauer نظريته هذه على افتراضين، الافتراض الأول، هو أن بعض الكتابات الأبوكريفية المرتبطة تماماً بمصر، يتضح فيها المنهج الغنوسي وضوحاً تاماً. أما الافتراض الثاني وهو الأهم، فهو أن أكبر شخصيتين تاريخيتين ارتبط اسمهما بمصر قبل أواخر القرن الثاني الميلادي وهما فالنتينوس Valentinus وباسيليدس Basilides، كان كل منهما غنوسياً<sup>(٩)</sup>.

ولقد هدم العالم كولين روبرتس Colin H. Roberts - وهو أحد أشهر علماء البرديات في العصر الحديث - نظرية العالم باور W. Bauer في كتاب قيم له صدر سنة ١٩٧٩م، عن مطبعة جامعة أكسفورد بعنوان: "وثائق لدراسة الحياة الاجتماعية والدينية لبواكير المسيحية في مصر"

*Manuscript, Society and Belief in Early Christian Egypt.*

أما عن الافتراض الأول لبور W. Bauer، فقد دحضه روبرتس Colin H. Roberts، حين يذكر أن "إنجيل المصريين" - وهو أحد أشهر الكتابات الأبوكريفية التي ظهرت في كنيسة مصر الناشئة - يشير إلى الأناجيل القانونية الثلاثة الأولى Synoptic gospels، بل ويعتمد عليها،

8. R.M. Grant, *History of the Bible*, Cambridge, 1970.

9. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 49, 50.

وليس به أي أثر للغنوسية. وأن تداول هذا الإنجيل بين المصريين، يقتضي بالتالي معرفتهم المسبقة بالأناجيل الثلاثة الأولى القانونية متى ومرقس ولوقا.

وهو نفس ما نجده أيضاً في "إنجيل العبرانيين"، وهو الإنجيل ذو الأصل اليهودي المسيحي، الذي جرى تداوله في فلسطين، وكانت فيه شخصية يسوع التاريخية ذات أهمية قصوى. وهو أيضاً الإنجيل الذي عرفه اليهود المسيحيون الأوائل في مصر. ولم تكن به أيُّ شائبة غنوسية.

وعلى كلِّ حال، لم يظهر حتى الآن أيُّ أثر لبرديات من القرن الثاني أو الثالث للميلاد، تحوي إنجيل المصريين أو إنجيل العبرانيين<sup>(١٠)</sup>.

ويؤكد العالم كولين روبرتس Colin H. Roberts على أنه من ضمن الأربع عشرة بردية التي تعود إلى ما قبل سنة ٢٠٠ م - وهي كلُّ البرديات المكتشفة عن هذه الفترة - لا توجد سوى واحدة منها فقط، بما نصُّ غنوسي، وهو شذرة من إنجيل توما. وأمَّا بقية هذه البرديات، فتحوي أجزاءً من أسفار العهدين القديم والجديد، مع الكتابات الكنسية القانونية الأخرى في نفس هذه الفترة. ومن بين هذه البرديات الأربع عشرة، هناك ثلاثة نصوص منها على الأقل لسفر المزامير وحده، وهو أكثر أسفار العهد القديم استخداماً في كنيسة مصر، بل وربما أكثر أسفار العهدين القديم والجديد استخداماً فيها، وذلك على مدى القرون المسيحية المتتابعة. وهو السُّفر الذي لا يمثِّل أهمية عند الغنوسيين<sup>(١١)</sup>.

وهذه البرديات الأربع عشرة المكتشفة، وُجدت في مساحة جغرافية

10- *Ibid.*, p. 50.

11- *Ibid.*, p. 53.



واسعة. كما أنها نصوصٌ كُتبت للاستخدام الفعلي بين الجماعات المسيحية العادية التي انتشرت في أنحاء مصر في القرن الثاني الميلادي. فقد وُجدت هذه النصوص في أرسينوي (الفيوم) - هيراكليوبوليس (أهناسيا المدينة ببني سويف) - اكسرينخوس (البهنسا غرب المنيا) - أنتينوبوليس (أنصنا شرق المنيا). وهذا يعني أن برديات الكتاب المقدس، والكتابات الكنسية القانونية، كانت متداولة في كنيسة مصر في هذه البقعة المترامية الأطراف من الصعيد. أمّا عدم العثور على برديات من هذا النوع من الكتابات الأرثوذكسية في الدلتا والإسكندرية، فلا يرجع بأيّ حال إلى أنها لم تكن متداولة فعلاً، ولكن ربّما يرجع عدم العثور علماء حاليين على مثل هذه البرديات، إلى رطوبة الجو في الوجه البحري، ممّا أتلف هذه البرديات. وقد يُعثر في المستقبل على شيء منها.

فالبرهان القاطع والساطع في آن معاً، هو أنه لم يُكتشف حتى الآن سوى بردية واحدة تحمل نصوصاً غنوسية ترجع إلى القرنين الأول والثاني للميلاد في كنيسة مصر، بينما اكتشفت ثلاث عشرة بردية أخرى تشهد للعقيدة الصحيحة في هذه الكنيسة في هذا الزمن المبكر.

وتجدر الإشارة هنا، إلى أن معظم النصوص الغنوسية التي وُجدت في مصر، يرجع تاريخ نساختها إلى القرنين الرابع والخامس للميلاد، حيث كانت العقيدة الصحيحة هي السائدة في مصر، بل وفي أوج قوّتها. حتى أنه يمكننا القول، إن ازدهار هذه العقيدة الصحيحة القويّة واسعة الانتشار، ربما تكون قد أثارت رد فعل مضاد من الناحية الأخرى.

وكذلك أيضاً أثبتت الدراسات الحديثة أن ما يُعرف باسم "رسالة الرُّسل - Epistula Apostolorum" - وهي لمؤلف مجهول - هي من

تأليف مصري يعود إلى أوائل القرن الثاني الميلادي - كما سبق أن أشرتُ إلى ذلك - فيها مبادئ لجماعة مسيحية صحيحة العقيدة، تعتمد على مسيحية يهودية من فلسطين. وتعتمد كثيراً على الإنجيل الرابع - إنجيل يوحنا - ولكنها تجهل لاهوت القديس بولس الرسول<sup>(١٢)</sup>.

لذلك، يتعجب الإنسان حينما يقرأ لواحد من العلماء هذه العبارة التالية: "في القرن الثاني الميلادي - على قدر ما وصلت إليه معلوماتنا - فإن المسيحية في مصر كانت هرطوقية فقط"<sup>(١٣)</sup>.

وإن زعم المؤرخ الألماني ليتزمان Leitzmann الذي يقول: "لقد وجدت الغنوسية في القرن الثاني الميلادي ثربة خصبة لها في مصر، وتركت علامة عميقة في كنيسة الإسكندرية"<sup>(١٤)</sup>، هذا الزعم ينفيه أن مقال "ضد الهرطقات" للقديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م) الذي كتبه سنة ١٨٠م، قد جرى تدوينه على ورق من البردي في مدينة البهنسا Oxyrhynchus في مصر، قبل أن يجف الحبر الذي كتبه به المؤلف كتابه، إذ خرجت من البهنسا Oxyrhynchus نسخة بردية، يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الثاني الميلادي، فيها رد إيريناؤس على الهرطقات. وهذا يُثبت ويشهد ليقظة الكنيسة في مصر، ورد فعلها الأرثوذكسي السريع ضد الغنوسية فيها، حتى أنه بمجرد استشعارها بخطر الغنوسية، كانت كتابات إيريناؤس في الرد على الهرطقة بين يدي شعبا. فقد كان دفاع إيريناؤس ضد الهرطقات يوزع في مصر خروجاً من البهنسا<sup>(١٥)</sup> Oxyrhynchus قبل

12- *Ibid.*, p. 54.

13- R.M. Grant, *op. cit.*, p. 49, n.2.

Cf. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 53.

14- H. Lietzmann, *The Beginnings of the Christian Church*, p. 98.

١٥- البهنسا Oxyrhynchus هي موطن العلم والكتاب، ليس في مصر وحدها، بل

نهاية القرن الثاني الميلادي. وهنا يتضح مرة أخرى، الرباط القوي الذي كان يربط بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة روما.

أمّا عن الافتراض الثاني والمختص بظهور كل من باسيليدس Basilides وفالنتينوس Valentinus في مصر، فهو موضوع يحتاج إلى استقصاء وبحث. فإن باسيليدس Basilides قد علم في الإسكندرية في عهد الإمبراطور هديران (١١٧ - ١٣٨ م). أمّا فالنتينوس Valentinus الذي وُلد في أرسينوى - الفيوم - فقد علم في روما في عهد أنطونينوس بيوس Antoninus Pius بعد فترة نشطة في مصر. وكان قد تعلّم وتأدّب بالثقافة اليونانية في الإسكندرية<sup>(١٦)</sup>.

فحين كان فالنتينوس Valentinus يعلم، لم يكن مُعتبراً غنوسياً هرطوقياً، إذ لم يكن كذلك في الوقت الذي كان فيه يُعلم. لأن الحدود بين الغنوسية المسيحية والهرطوقية الهرتوقية لم تكن قد تحدّدت بشكل واضح بعد. فكان فالنتينوس Valentinus في نظر نفسه ونظر معاصريه أيضاً، أنه مسيحي صحيح العقيدة. وأنَّ "إنجيل الحق" الذي ربما يكون من تعليمه، أو من تعليم أحد تلاميذه، كان قريباً جداً من التقليد الصحيح.

أمّا في الجيل التالي لفالنتينوس، فقد اختلف الأمر، إذ أن أتباعه - بحسب ما يقول القديس إيريناؤس<sup>(١٧)</sup> (١٣٠-٢٠٠ م) - قد استعملوا الأربعة أناجيل القانونية، محتفظين بنصوصها، ولكنهم عوّجوا معانيها. كما أنه لم يكن اهتمامهم بمعاداة أسفار العهد القديم، هو بقدر اهتمامهم

وفي العالم الروماني آنخذ.

16. Basilides; see Clem. Alex., *Strom.* VII, 106,4; Epiph., *Haer.*, XXIV, 1. Valentinus; see Clem. Alex., *Strom.* VII, 17, 106; Epiph., *Haer.*, XXXI 2.

17- *Adv. Haers.*, III, 11:9.

بتفسيرهم المنحرف لها، وتفضيلهم لكتابتهم عليها.

وهناك برهان آخر يهدم نظرية باور W. Bauer ، وهو أنه لا يجب أن نقيّم أعمال شخصين فقط من بين شخصيات جيل بأكمله، أو قرن كامل من الزمان، قائلين 'إنّ غنوسيتهم تختلف عن تعليم الكنيسة الجامعة'. ونجعل هذا التقييم مشاعاً، ليغطي مساحة من تاريخ الكنيسة في منطقة ما من العالم، بدون أن نبحث ما أثارته هذه المبادئ من رد فعل لدى هذه الكنيسة.

إنّ مفتاح ما يمكن أن نسميه "مشكلة الغنوسية في مصر في القرن الثاني الميلادي"، نجده فيما كتبه المؤرخ يوسايبوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م)، عن أحداث تعود إلى القرن الثاني الميلادي وربما قبله أيضاً، وهي عن العلامة بنتينوس، فيقول:

"ونحو هذا الوقت، عُهد إلى بنتينوس - وهو شخصٌ بارزٌ جداً بسبب علمه - إدارة مدرسة المؤمنين في الإسكندرية، إذ كانت قد أنشئت بها منذ الأزمنة القديمة مدرسة للتعاليم المقدسة، ولا زالت حتى يومنا هذا، وكان يديرها - كما وصل إلى علمنا - رجالٌ في غاية المقدرة والغيرة نحو الإلهيات. وقيل أنه برز من بينهم في ذلك الوقت بنتينوس، لأنه تمّذب بفلسفة الرواقيين Stoicism .

ويقال إنه أظهر غيرة شديدة نحو الكلمة الإلهية، حتى أنه عين سُفراء لإنجيل المسيح للأمم التي في الشرق. ووصل حتى إلى الهند. لأنه كان لا يزال يوجد فعلاً الكثيرون من المبشرين بالكلمة، الذين سعوا باجتهاد أن يستخدموا غيرهم الإلهية، على مثال الرُّسل، لزيادة انتشار وتثبيت الكلمة الإلهية... وبعد أعمال مجيدة كثيرة، رأس بنتينوس أخيراً مدرسة

الإسكندرية، وفسر كنوز التعاليم الإلهية شفوياً وكتابة<sup>(١٨)</sup>.

ويهمنا هنا عبارة "مدرسة المؤمنين في الإسكندرية، إذ كانت قد أنشئت بها منذ الأزمنة القديمة مدرسة للتعاليم المقدسة، ولا زالت حتى يومنا هذا"، أي حتى زمن يوسابيوس قرب منتصف القرن الرابع الميلادي. وهي مدرسة لتعليم الأسفار الإلهية *Biblical Scholarship*.

فإن كان فالنتينوس Valentinus وباسيليدس Basilides قد علما في الإسكندرية، فإن المكان الواضح لتعليمهما لا بد أن يكون هذه المدرسة. ونحن نعلم أن تعليمهما ظل يقاوم في مدرسة الإسكندرية حتى إلى زمن العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م). وهذا يشرح لنا الصدمة التي سببها بتعليمهما في كنيسة مصر. ومن الواضح أنهما لم يهيئنا علي الكنيسة بتعليمهما، لأن بنتينوس كمدبر للمدرسة، كان لا بد له أن ينقي التعليم فيها من أي تأثير غنوسي يشوبه، خاصة وأن يوسابيوس القيصري (٢٦٤-٣٤٠م) يقدم لنا شخصية بنتينوس علي أنه كان متأثراً إلى حد ما بفلسفة الرؤاقيين (التاريخ الكنسي ١٠:٥)، ويعلق على ذلك العالم كولين روبرتس Colin H. Roberts قائلاً: "إن وجد تيار فلسفي على النقيض المباشر من الغنوسية، فهو الرؤاقي". وهذا يثبت أن مدرسة الإسكندرية كانت منذ أيام بنتينوس رافضة تماماً للغنوسية<sup>(١٩)</sup>.

وهكذا هُدمت نظرية باور W. Bauer التي ظلت منذ سنة ١٩٣٤م ولفترة طويلة، توجه الباحثين في طريق غير صحيح، عن نشأة كنيسة الإسكندرية، وتأثير الغنوسية عليها.

١٨- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١:١٠:٥، ٢، ٤).

19- Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 54.



الفصل الخامس

الملاحم الوثائقية لكنيسة الإسكندرية  
في القرن الثاني الميلادي

## تمهيد

إن كانت الوثائق البردية التي اكتشفت في مصر في بدايات القرن العشرين، تمكّنا من التّعرف على سمة المسيحية في كنيسة مصر في بواكير نشأتها، إلا أن نُدرة هذه الوثائق المبكرة، يدفعنا إلى البحث عن سبب هذه النُدرة. ولكن ما يُلفت النظر في هذه الوثائق المبكرة، هو أن كثيراً منها يُظهر حباً واضحاً لحياة يسوع، سواء من جهة كلماته، أو من جهة أفعاله.

## نُدرة الوثائق المبكرة في كنيسة الإسكندرية

هناك حوالي ١٥٠ نصاً أدبياً مسيحياً معروفاً لدينا في الفترة التي نتكلّم عنها، وهي الثلاثة قرون الأولى للمسيحية في مصر<sup>(١)</sup>. وحتى هذه النُدرة في المخطوطات، لا تتفق أحياناً في محتواها بين بعضها البعض. أمّا السبب في ذلك، فيكمن في طبيعة المادة الأدبية نفسها، وأيضاً في طبيعة العلاقة بين الكنيسة والدولة. فبينما كان لليهود وضعٌ سياسيٌّ منظمٌ ومعترفٌ به، مثل أغراض الضرائب التي تميّزهم عن اليونانيين والمصريين، فلم يكن هناك ما يميّز المسيحي على غيره. بل هناك أيضاً من الأسباب الوجيهة التي تدفعه ألا يجذب الانتباه إليه.

فإن كان لدينا بضعة آلاف من البرديات عن الأدب الكلاسيكي، لكن الغريب أن تكون هناك نُدرة في الرسائل التي تتحدّث عن الحياة

1. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 2.



الثقافية أو الفكرية. ويذكر العالم بيل H.I. Bell أن سبب ندرة الرسائل الخاصة، والتي يرد فيها شيء عن الدين، في هذه الفترة، هو أنه كان من غير المناسب أن يُذكر بهذه الرسائل نوع الاعتقاد الديني. ولقد وُجِدَت كلمة *Χριστιανός* أي "مسيحي" لأول مرة في مصر، في بردية مؤرّخة بسنة ٢٥٦م، وفيها أمرٌ من رئيس مجمع البهنسا *Oxyrhynchus* لعمدة قرية، مع مراقبي الأمن فيها، بإلقاء القبض على واحد يُدعى بيتوسارابيس *Petosarapis* بن حورس *Horus*، واصفاً إياه بأنه مسيحي. وهي إشارة توضّح ظهور ممارسات تختص بإيمان جديد، لم يكن معروفاً، حتى أصبح مع الوقت ديانة علنية معترف بها<sup>(٢)</sup>.

### ظهور الأدب الروائي القصير pamphleteering literature

هناك مجموعة برديات تعود إلى الثلاثة قرون الأولى، تتطابق فيما بينها من حيث نوع الأدب المسيحي الذي تحويه، وهو الأدب الروائي القصير، أي الأدب الذي يُكتب في نبذات صغيرة *pamphleteering literature* والذي يحوي أحياناً نوعاً من المبالغات، ولاسيما تلك البرديات المتأخّرة من هذه المجموعة. ومن بينها ما دعاه العلماء "أعمال شهداء الإسكندرية من أصل وثني *Acts of the Alexandrian (or pagan Martyrs)*". وهي بردية تحكي عن مقاومة اليونانيين الوطنيين من الإسكندريين لغطرسة الرومان. ولقد انتشر هذا النوع من الأدب الروائي انتشاراً واسعاً في هذه الفترة. وقد وُجِدَت عينات منه في أرسينوي *Arsinoite* (الفيوم)، واكسرينخوس *Oxyrhynchus* (البهنسا غرب المنيا)، وربما في بانوبوليس *Panopolis* (أخميم الحالية) أيضاً.

2- *Ibid.*, p. 3.

وهناك ثلاث سمات لهذا النوع من الأدب الروائي تستحق الانتباه، ولاسيما من حيث طبيعته السريّة، وندرته التي وضعتة منفرداً وحده. وأوّل سمة له، هي إظهاره لعمق العلاقات الوثيقة التي تربط بين الإسكندرانيّين وأقربائهم أو أصدقاؤهم الذين يقطنون على بُعد مئات الأميال منهم في مصر الوسطى ومصر العليا (الصعيد). أمّا السّمة الثّانية، فهي أنّ كثيراً من نصوصه مكتوبٌ بأسلوبٍ وسطي، يجمع بين الأسلوب الأدبي الرفيع، والأسلوب العامي. أمّا السّمة الثّالثة له، فهي أنه ليست هناك أي إشارة إلى هذا النوع من الأدب في أيّ رسالة من البردي أو في أي وثيقة عاديّة. لأنه حتى بدء نشر النّصوص الأولى منه، لم يكن لدينا أي إشارة عن وجوده.

ومن ثمّ، وبسبب عثورنا على مثل هذا الأدب الروائي القصير، فقد بطلت بالتّالي نظريّة بعض العلماء<sup>(٣)</sup> الذين كانوا يقولون بأنّ المسيحيّة في مصر قد انحصرت في الإسكندرية فقط حتى القرن الثّالث الميلادي، إذ لم يكن هناك مسيحيّون في القرى والنّجوع المصريّة قبل منتصف القرن الثّالث الميلادي، وذلك على حد قولهم. وقد بطل رأيهم بعد اكتشاف مخطوطات مسيحيّة تعود إلى القرن الثّاني الميلادي في مصر الوسطى ومصر العليا. وإنّ الرّغم بأنّ هذه النّصوص المبكّرة قد نُقلت إلى الأقاليم المصريّة في زمن متأخّر كثيراً، أو أنّها مؤرّخة تاريخاً خاطئاً، هو أمرٌ كان يحتاج منهم إلى الفحص<sup>(٤)</sup>.

وهناك من الدّلائل الكثيرة عن العلاقات الوثيقة التي كانت تربط بين

٣- أمثال هولست J. Van. Haelst ، وباردي G. Bardy و P. Yale و تيلفر

. W. Telfer

4. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 4.

اليونانيين في الإسكندرية وأقراهم اليونانيين من الطبقة المتوسطة The Greek middle Class في أقاليم ومُدُن مصر. وهي علاقات على كل المستويات الاقتصادية والثقافية والشخصية، بل وديمومة هذه العلاقات أيضاً. وإن ما سبق ذكره عن "أعمال شهداء الإسكندرية من أصل وثني" هو أحد هذه الأدلة. وهناك دليل آخر بين كثير منها، وهو العثور على سجل ضريبي في قرية من قرى الفيوم، تُدعى فيلادلفيا، وهو سجل يعود إلى القرن الأول الميلادي، حيث جرى به تسجيل لعدد ٣٢٥ فرداً كساكنين من خارج هذه القرية المذكورة، ومن بينهم حوالي ٦٤ شخصاً كانوا من سُكَّان الإسكندرية. وحيث أن السجل الضريبي الذي تم العثور عليه لم يكن كاملاً، فربما كان العدد الكلي أكبر من العدد المذكور<sup>(٥)</sup>.

وفضلاً عن ذلك، فهناك من المصادر ما يشير إلى أن اليهود الذين عاشوا في الإسكندرية، ظلوا على اتصال بأقراهم من نفس ديانتهم الذين سكنوا في أقاليم مصر المختلفة. فلماذا كان ينبغي على المسيحيين الذين تحوّلوا إلى المسيحية من الديانة اليهودية أن يسلكوا بأسلوب مغاير؟

ويشهد يوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م)، أنه في أثناء الاضطهاد الذي حصل في عهد الإمبراطور سبتيميوس ساويرس (١٩٣-٢١١م) سنة ٢٠١م، جاءوا إلى الإسكندرية بضحايا من كل أرجاء مصر، ومن بينها طيبة في الصعيد. ولم يكن معقولاً أن يكون كل هؤلاء قد تحوّلوا حديثاً إلى المسيحية<sup>(٦)</sup>.

5- Ibid., p. 4.

٦- كان من بين هؤلاء، ليونيدس أبو أوريجانوس، والذي قطعت رأسه بحد السيف، بينما كان ابنه لا يزال حديث السن. وهنا لا يفوتنا أن نبيّن باختصار، كيف

## أنواع الأدب المحفوظ في البرديات المسيحية في مصر

يمكن تقسيم الأدب المحفوظ في البرديات المسيحية، إلى أدب كتابي Biblical وأيُّ أدبٍ آخر، أي أدب غير كتابي Non Biblical . وذلك على الرغم من أنه في بعض الحالات، لم يكن التمييز واضحاً بين هذين النوعين من الأدب، في وقت تدوين هذه البرديات، مقارنة بوقتنا الحاضر.

وإن كان يمكننا تصنيف البرديات وتقسيمها إلى أنواع، إلا أن الصعوبة التي تواجهنا بإزائها، هي عدم سهولة معرفة زمان أو مكان كتابتها. فمعظمها لا يحمل اسم الناسخ الذي نسخها. أمَّا القليل النادر منها، فيحوي العنوان أو البيانات الإدارية Colophon التي تساعدنا على معرفة اسم الناسخ على الأقل. هذا من جهة اسم الناسخ، أمَّا مكان كتابتها، أي مكاتها الأصلي، فليس من الضروري أن يكون هو نفس مكان اكتشافها. إلا أن مكان اكتشافها، يفيدنا في معرفة المكان الذي استُخدمت فيه هذه البرديات.

وبعض هذه البرديات الوثائقية، قد كُتبت على ظهر دَرَجٍ استُخدم من قبل لأغراض توثيقية عامة من أيِّ نوع. وهو ما يفيدنا في معرفة موقع الإقليم الذي كُتبت فيه، وأيضاً معرفة التاريخ.

وعلى سبيل المثال، فهناك شذرة بادن Baden fragment تحوي نصاً مبكراً جداً عن سفر الخروج وسفر التثنية، اكتُشفت في كارارا Qarara في هيراكليوبوليس Heracleopolice مع دَرَجٍ بنفس خط الناسخ لهذه الشذرة،

كان ميل هذا الابن للكلمة الإلهية عظيماً جداً بسبب تعليم أبيه له، ذلك لأن شهرته كانت قد فاقت كل حد عند الكثيرين.

انظر: يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١:٦)، ص ١٨٦

ملفوف حولها.

وفي وقت متأخر نوعاً، نجد بردية تحوي الآيات الأولى من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل رومية، وهي نساخة غير جيّدة، ربما كانت واجباً مدرسياً. وقد وُجدت هذه البردية مربوطة مع عقد مؤرخ بتاريخ سنة ٣١٦م<sup>(٧)</sup>.

### أماكن اكتشاف البرديات في مصر

إذا أخذنا في اعتبارنا الحقيقة التي تقول بأن البرديات قد وُجدت فقط في المناطق البعيدة عن الرطوبة والمطر في أنحاء مصر، وبالتالي بعيدة عن الدلتا الرطبة المناخ، تظل المناطق التي انتشرت فيها هذه النصوص المكتشفة، ممتدة على مساحات شاسعة في مصر. فالأماكن التي وُجدت فيها هذه البرديات بعد تنقيب العلماء عنها هي:

أرسينوي Arsinoite (الفيوم)، كارارا Qarara في هيراكليوبوليس  
Heracleopolice (إهناسيا بالفيوم)، أكسيرينخوس Oxyrhynchus (البهنسا  
غرب المنيا)، أنتينوبوليس Antinopolis (أنصنا شرق المنيا)، هيرموبوليس  
Hermopolis (الأشمونين)، كوتوس Coptos (قفط)، تيبس Thebes (طيبة).

فخمسة من هذه الأماكن وهي: أرسينوي، وكارارا، واكسيرينخوس، وأنتينوبوليس، وقفط، نصوصها المكتشفة سهلة، يمكن إرجاع تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي<sup>(٨)</sup>.

7- Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 5.

8- *Ibid.*, p. 6.

## خصائص نصوص البرديات المكتشفة في مصر

معظم النصوص المكتشفة، هي نصوص من داخل مصر، ولا يوجد مبرر لافتراض أنها جاءت من خارجها، باستثناء نوعين منها فقط؛ أولهما هو تلك النصوص التي كتبت بغير اللغتين اليونانية والقبطية. مع ضرورة الإشارة إلى وجود نص ليتورجي لاتيني يعود إلى هذه الفترة أي إلى أواخر القرن الثالث الميلادي أو أوائل الرابع. وثانيهما هو تلك النصوص المكتوبة على الرقوق. ذلك لأن ورق البردي متوافر ورخيص الثمن في مصر، ومن ثم فالنصوص المصرية المبكرة مكتوبة عليه، باستثناء بعض نصوص قليلة مكتوبة على الرقوق، تعود إلى ما قبل القرن الرابع الميلادي.

وعلى سبيل المثال، هناك مخطوط من الرق، يعود إلى القرن الثالث الميلادي، مدون عليه سفر التكوين. وقد عُثر عليه في أكسيرينخوس Oxyrhynchus (البهنسا غرب المنيا). ومن المحتمل أنه مخطوط يهودي وليس مسيحي. وأيضاً مخطوط من الرق لإنجيلي متى ولوقا، يعود إلى النصف الأول من القرن الرابع، عُثر عليه في هيرموبوليس Hermopolis (الأشمونين الحالية).

## البرديات المحفوظة في جرار من الفخار، تحوي نصوصاً عامة

إن معظم النصوص البردية الدينية التي تم اكتشافها، قد عُثر عليها في داخل جرار مدفونة. وهو الأمر الذي يشرح لنا لماذا حفظت هذه النصوص شبه كاملة - ولكن للأسف ليس بها إلا نص واحد يعود إلى العصر المبكر جداً - بعكس العدد الضخم من المخطوطات العلمانية غير الدينية، التي وصلت إلينا على هيئة شذرات فقط. ويقول دكتور روبرتس Colin H. Roberts: "على حد معرفتي، فقد اكتُشف مخطوط واحد

كلاسيكي محفوظ في جرة، يحوي أوراق سجل عائلي، يعود إلى القرن السادس الميلادي<sup>(٩)</sup>.

ومن بين مجموعات النصوص الدينية المدونة على البردي والتي اكتُشفت في مصر، في هيئة شبه كاملة، مجموعة برديات شيستر بي تي Chester Beatty ، ومجموعة برديات بودمر Bodmer ، ومخطوط فريزر Freer في واشنطن، ومخطوط راعي هرماس The Shepherd of Hermas في ميتشجان Michigan<sup>(١٠)</sup>.

وإن عادة حفظ المخطوطات في جرار هي عادة يهودية أصلاً<sup>(١١)</sup>، انتقلت إلى بعض الأوساط المسيحية، وذلك لتفادي أي عيب أو تهرؤ يصيبها، لأن أي شيء يحتوي على اسم الله، لا يجب أن يتلف أو يُباد. كما أن هذا النظام يحمي النصوص المقدسة من تدميرها بواسطة السلطات في أوقات الاضطهاد، وهو ما تسجله غالباً أعمال الشهداء<sup>(١٢)</sup>.

ومن أشهر هذه الحالات، مخطوطات البحر الميت Dead Sea Scrolls بالإضافة إلى ما وُجد أيضاً في صحراء اليهودية. أمّا بخصوص المخطوطات المسيحية، فالمثال الحديث أمامنا - وإن كان خارجاً عن الفترة التي نتكلم عنها - هو مخطوطات نجع حمادي بصعيد مصر، وطريقة حفظها منقولة

9- *Ibid.*, p. 6, 7.

10- *Ibid.*, p. 7.

١١- ورد في مخطوط "صعود موسى Assumption of Moses" تعليمات تقول: "لكي تحفظ الكتب التي أعطيتها لك، فلتضعها في إناء فخاري".

ومن العادات اليهودية أيضاً دفن النصوص المهترئة والتي لم تعد قابلة للاستعمال، في جرار، ليس بهدف المحافظة عليها، بل بهدف عدم تعرض اسم الله المكتوب عليها للمهانة.

12- Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 7, 8.

## عن الطريقة اليهودية.

وذكر العالم كارل شميدت C. Schmidt في سنة ١٩٣٤م، أن برديات شيلستر بيتي Chester Beatty قد وُجِدَت في جَرَّة، (بمثل ما وُجِدَت لفائف وادي قمران منذ بضع سنوات مضت) في خرائب كنيسة أو دير قرب أطفيح<sup>(١٣)</sup> (أفروتوبوليس Aphroditopolis). ولقد استُئِدِل من مكان دفنها، ومن حقيقة أن البردي كان متهرئاً عند اكتشافه، أن الممارسة اليهودية قد أثبتت في ذلك.

ومن بين المخطوطات التي كانت مدفونة بمثل هذه الطريقة، والتي تعود إلى القرن الرابع الميلادي، مخطوط سفر المزامير المحفوظ الآن في المكتبة البريطانية. ومخطوط آخر قبطني للإنجيل الرابع - إنجيل القديس يوحنا<sup>(١٤)</sup>.

وإذا قبلنا الافتراض الذي يقول بأن المسيحيين قد تبَنوا النظام اليهودي في حفظ المخطوطات غير المستعملة، فإن هذا يشرح لنا سبب احتواء مجموعات المخطوطات السابق ذكرها في مكتبات شيلستر بيتي Chester Beatty وبودمر Bodmer على تواريخ مختلفة. كما أن هناك أكثر من نسخة واحدة لنفس المخطوط. وهو ما يدل على أنها قد حُفِظت بهذه الطريقة على فترات مختلفة. وإن المخطوطات التي وُجِدَت في مثل هذه الحالات، تكون في الغالب قد حُفِظت بواسطة الجماعة. ومن أجل ذلك، فهي تمثل بالنسبة لنا دليلاً على تاريخ الكنيسة، بطريقة لا تستطيعها المخطوطات المفردة أن تفعله.

١٣- وهي قريبة من الفيوم.



وهناك حالة تاريخية فريدة، تعرّفنا عليها بعد اكتشاف المخطوط المجلّد الذي يحوي كتابات فيلو (١٣ق.م-٥٠م.ب.م) Codex of Philo والذي كُتب في أواخر القرن الثالث الميلادي، وقد عُثِر عليه في جَرّة مدفونة في جدار بيت في مدينة كوتبوس Coptos (قفط)، أي ليس بقرب موضع مقدّس كما جرت العادة في مثل هذه الحالات. وقد عُثِر على المخطوط سليماً مع غلافه. ويُظنُّ أنَّ صاحبه قد خبأه على أمل إخراجه من مخبئه بعد أن يعبر الخطر، سواءً حينما حوصرت مدينة قفط ونُهبت بأوامر من الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م) سنة ٢٩٢م، أو في أواخر حُكم هذا الإمبراطور، أثناء آخر وأعنف الاضطهادات التي جازتها الكنيسة.

وهذا المخطوط هو مخطوط مسيحي وليس يهودياً، وفي بطانة غلافه المصنوع من الجلد، وُجِدَت شذرتان صغيرتان، واحدة لإنجيل القديس متى، والأخرى أكبر منها، وهي لإنجيل القديس لوقا. وتعود كلاهما إلى نهاية القرن الثاني الميلادي. علاوة على أنَّ ناشر مخطوط فيلو Codex of Philo يعتقد أنَّ مخطوطات مدينة قفط مع المخطوطات التي تعود إلى العصور الوسطى medieval manuscripts قد نُسخَت عن النسخ الأصلية التي كانت محفوظة في مكتبة العلامة أوريجانوس في قيصرية<sup>(١٥)</sup>. ومن ثمَّ، فلدينا هنا دليلٌ على انتشار النصوص الآبائية في كنائس الأقاليم في مصر في هذا الوقت المبكر من تاريخ كنيسة مصر<sup>(١٦)</sup>.

### البرديات التي تحوي غالباً نصوصاً خاصة

والغالبية العظمى من البرديات، لم يتم العثور عليها في جرار، بل تمَّ إنقاذها من كومات ضخمة من المخلفات Scrap-heaps أو من بيوت

15. *Philonis Opera* I, ed. L.Cohn - P. Wendland (Berlin, 1896), I, p. xlii.

16. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 7.

متهدمة في مدن وقرى يونانية رومانية. والكثير منها كان ملكاً خاصاً لبعض المسيحيين. ومن بين هذه البرديات، نصوصٌ مكتوبة على ظهر لفيفة Roll أو ورقة مهملة، توضّح أنها نسخة خاصة، حيث أن أسلوب الكتابة وطريقتها تشير إلى الوقت الذي كتبت فيه هذه النصوص.

وكمثال لذلك، نأخذ نصاً من المزامير كتب على ظهر قائمة مدفوعات بنك تمت في سنة ١٤٣م أو سنة ١٤٤م. ومن غير المعتاد أن يكون هناك فارق زمني كبير بين ما هو مكتوب على وجه الليفة أو الورقة، وما هو مكتوب على ظهرها. ومع ذلك، فإن هذا النص من المزامير لا يبدو أنه قد نُسخ قبل أوائل القرن الثالث الميلادي. وجدير بالذكر أن الورقة الدشت Scrap paper تكون مناسبة تماماً لتدوين عظة، كما نجد في نص محفوظ في لندن قد كتب على ظهر مخطوطة تعود إلى سنة ٢٣٧م<sup>(١٧)</sup>، أو كما يتضح لنا من تدوين ملاحظات سريعة لواعظ، مكتوبة على بردية في فلورنسا<sup>(١٨)</sup>.

وعلى نفس هذا النسق، يمكننا أن نضع واحدة من أشهر البرديات التي عُثِر عليها في مدينة اكسيرينخوس (Oxyrhynchus) (البهنسا غرب المنيا)، وهي المعروفة باسم "أقوال يسوع Sayings of Jesus". وهي جزء من إنجيل توما<sup>(١٩)</sup>. وهي مكتوبة على ظهر ورقة معاينة لأحد الأراضي verso of a land survey بينما أن نصاً غنوسياً آخر من القرن الثالث الميلادي، قد كتب أيضاً على ظهر نفس المخطوطة.

17- P. Lit. Lond. 228.

18- P.S.I. vii. 758

19- P. Oxy. iv. 654.

وهناك مثال آخر، وهو أن أحد المسيحيين قد استخدم هوامش أشهر رسالة في منتصف القرن الثالث الميلادي - وهي رسالة مسيحي من روما كتبها إلى الجماعة المسيحية في أرسينوي Arsinoe (الفيوم) - وكتب في هوامشها الآيات الأولى من رسالة العبرانيين. وعلى ظهر الرسالة كتب الآيات الافتتاحية لسفر التكوين، وكلاهما من الترجمة السبعينية، ومن الترجمة اليهودية الحرفية، المعروفة باسم ترجمة أكويلا Aquila (٢٠).

ومثل هذه النصوص لا يلزم بالضرورة أن تكون لسبب ما أو مناسبة معينة، لأن الناس كانوا يفضلون استخدام أرخص المواد وأقربها لليد. فعلى ظهر سجل أرض في البهنسا Oxyrhynchus نجد onomasticon نص يوناني عبري، وفيه شرح باليونانية لأسماء عبرية موجودة في كتاب العهد الجديد، وهو يؤرخ بالقرن الثالث الميلادي.

ويرى العالم تورنر E.G. Turner أن هذا العمل ربما يكون جزءاً من عمل ضائع للعلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م). وإن كان الأمر كذلك، فهو إثبات على الرباط الوثيق واللحظي بين العالم المتحضّر في الإسكندرية، وبين كافة أقاليم مصر الأخرى.

وليست كل النصوص التي كتبت على مواد مرتجلة هي نصوص خاصة. فبعض الكنائس قد استعانت بلصق أوراق من البردي مع بعضها البعض، وطبّها معاً، وهي أوراق مكتوب على وجه واحد من وجهيها، لتشكل بذلك مخطوطاً أوراقه خالية من ناحية واحدة للكتابة عليها. وقد استخدم مثل هذا المخطوط بهذا الشكل الذي ذكرناه حوالي سنة ٣٠٠م لكتابة نص للاستعمال العام، وهو نسخة من سفر التثنية، بإضافة

مساعدات للقراءة كالتبّرات accents وعلامات التَّنفس، وعلامات التَّرقيم، وإشارات خاصة تشير إلى النَّصِّ المصحَّح بدقة<sup>(٢١)</sup>.

وهناك حالات أخرى محيرة، حيث يحمل ظهر اللِّيفة نصاً علمانياً أو مسيحياً، ثمَّ يُعاد استعماله في عمل أدبي آخر. وأغرب حالة لذلك الأمر هي ليفة من أكسيرينخوس Oxyrhynchus (البهنسا غرب النيا) تحمل على وجهها نصاً لاتينياً مختصراً بخط جميل لسفر اللاويين، يعود إلى النَّصف الأوَّل من القرن الثالث، وعلى ظهرها نص رسالة العبرانيين. والمخطوطات التي وُجدت مع هذه اللِّيفة ربما تعود إلى أواخر القرن الثالث الميلادي<sup>(٢٢)</sup>. وقبل أن ينسخ النَّاسخ رسالة العبرانيين انتبه صاحب اللِّيفة، فرقع البرديَّة بأجزاء من مخطوطات برديَّة تعود إلى القرن الثالث الميلادي. ويبدو أنه كان مهتماً ومشغولاً بأن يحتفظ بكلا النَّصَّين. وفي الحقيقة، فوجود مسيحي ماهر وكفاء في كلا اللُّغتين اللاتينيَّة واليونانيَّة من مصر الوُسطى، هو أمرٌ نادر. وهذه اللِّيفة تختلف اختلافاً كبيراً في شكلها عن أيِّ مخطوط كتابي آخر، أي مخطوط يختص بالأسفار الكتابيَّة المقدَّسة. حيث نلاحظ أنَّ رسالة العبرانيين في هذا المخطوط المذكور مرَّقة. وإنه من العدل أن نقرَّ أن النَّاسخ كان ينسخ النَّص من مخطوط مجلَّد Codex آخر<sup>(٢٣)</sup>.

### التَّحوُّل من الكتابة على ورق البردي إلى الكتابة على الرُّقوق

ومع نهاية الفترة التي نتكلَّم عنها، أي نهاية القرن الثالث الميلادي،

21- P. Ryl. i. I. ; Cf. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 10.

22- P. Oxy. iv. 657. ; Cf. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 10.

23- Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 10.

طراً تُغيّر على الجماعة المسيحية من حيث تدوين نصوصها، حيث استبدلوا تدريجياً ورق البردي بمخطوطات على شكل كتاب صغير من الرقوق pocket codices حيث بدأت صناعة الكتاب، وإذ بنا أمام ثروة من هذه النوعية من المخطوطات. وكانت هذه الكتب من الرقوق parchment booklets كتباً لطيفة، تُكتب بخط جميل، أما مقاسها، فيتراوح ما بين ١٥ × ١١ سم و ٧ × ٥ سم. وعدد السطور في الصفحة الواحدة لا يتعدى عشرة سطور. وبعضها كانت حروفها الأولى تُكتب باللون الأحمر. وهذه الكتب متناهية الصغر في حجمها، لم تكن تصلح للاستخدام العام. فهي في معظمها تُكتب تُستخدم في العبادة الخاصة والصلوات، وهي مفيدة في هذا المضمار. وهي تذكرنا بحديث القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م)، عن تلك السيدات اللاتي كن يعلّقن مثل هذه الكتيبات الصغيرة حول رقابهن، وكانت تحوي نصوصاً من الأناجيل المقدسة.

وواحد من هذه الكتيبات، يحوي ثلاث آيات فقط من المزمور الأول، وقد كُتبت بحروف كبيرة جداً، وربما كانت من أجل طفل صغير ليسهل عليه قراءتها. وتضم هذه الكتيبات الصغيرة قصصاً تثقيفية وتهديبية من الأسفار المقدسة وغيرها، مثل قصة طوبيت<sup>(٢٤)</sup>، وأعمال يوحنا<sup>(٢٥)</sup>، وأعمال بطرس<sup>(٢٦)</sup>، وقصة بولس وتكلا، وهي من أعمال بولس Acta of Pauli<sup>(٢٧)</sup>،

٢٤- وهو مكتوب على الرقوق ووجد في البهنسا Oxyrhynchus ويعود إلى أواخر القرن الثالث أو أوائل الرابع. (P. Oxy. xiii. 1594).

٢٥- مكتوب على ورق البردي، ووجد في البهنسا Oxyrhynchus ويعود إلى القرن الرابع الميلادي. (P. Oxy. vi. 850).

٢٦- مكتوب على الرقوق، ووجد في البهنسا Oxyrhynchus ويعود إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادي. (P. Oxy. vi. 849).

٢٧- مكتوبة على الرقوق، ووجدت في أنتينوبوليس Antinopolis (أنصنا شرق

وفصل من راعي هرماس The Shepherd of Hermas<sup>(٢٨)</sup>. أمّا سفر الرؤيا<sup>(٢٩)</sup> والسفر الرابع لعزرا<sup>(٣٠)</sup> فرمما يعود سبب وضعهما في هذه النوعية من الكتب إلى انتشار الكتابات الرؤيوية انتشاراً واسعاً بين المصريين<sup>(٣١)</sup>.

وهناك مخطوط آخر، يعود إلى النصف الأول من القرن الرابع الميلادي، يحوي ٥٢ صفحة، وبه مجموعة نصوص باليونانية والقبطية، وهو يحوي فقرات من سفر دانيال، وإنجيل القديس متى.

وهذه الكتيبات الصغيرة من الرقوق، وهي في أصلها اختراع مسيحي، لم تكن مكلفة، مقارنة بلفائف ورق البردي. ومن ثم، فقد انتشرت انتشاراً واسعاً. حيث نجد أنه مقابل عشرة مخطوطات من البردي، فهناك أربعة وخمسون مخطوطاً من الرقوق.

هذه المجموعة من الكتيبات الصغيرة، يعود معظمها إلى القرن الرابع الميلادي أكثر من كونها تعود إلى القرن الثالث الميلادي، لأن معظم

المنيا)، وجلد هذا المخطوط رقيق وشفاف إلى درجة غير عادية. أمّا خطّه الجميل والمنسق فيذكرنا بالمخطوطات الكبيرة للأسفار المقدسة. وإن بعض هذه المخطوطات المكتوبة على الرقوق قد دخلت إلى مصر، يحملها بعض المسافرين أو السائحين، في وقت كانت فيه مصر مفتوحة على العالم الخارجي، وخصوصاً العالم المسيحي، وهو ما لم يكن موجوداً في القرنين السابقين. (P. Ant. i. 13)

٢٨- مكتوب على الرقوق، ووُجد في البهنسا Oxyrhynchus ويعود إلى القرن الرابع الميلادي. (P. Oxy. xvii. 1783).

٢٩- مكتوب على الرقوق، ووُجد في البهنسا Oxyrhynchus ويعود إلى القرن الرابع الميلادي. (P. Oxy. viii. 1080).

٣٠- مكتوب على الرقوق، ووُجد في البهنسا Oxyrhynchus ويعود إلى القرن الرابع الميلادي. (P. Oxy. vii. 1010).

المخطوطات المسيحية المبكرة لم تُنسخ أو تُنتج كنوع من أنواع تجارة الكتاب. كما أن معظمها لم يكن ملكاً لأفراد، ولكنها كُتبت لاستعمالها في اجتماعات جماعة سرية<sup>(٣٢)</sup>.

### أقدم مجموعة برديات مسيحية مصرية معروفة حتى الآن

إذا اخترنا أقدم مجموعة برديات مسيحية مصرية على الإطلاق من جهة خصائصها من حيث نوع الخط والكتابة، في مقابل نصوص أخرى سواء كانت أدبية أو وثائقية، سنخرج بنتائج ذات أهمية. ونحن نعني بأقدم النصوص البردية، تلك النصوص التي تحوي خطوطاً يحكم عليها علماء الخطوط القديمة بأنها تعود إلى القرن الثاني الميلادي، برغم أن القائمة التالية تحتوي على مخطوط لأقوال الرب Logia من البهنسا Oxyrhynchus، وشذرة للقديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م) يعودان إلى سنة ٢٠٠م، أو أوائل القرن الثالث الميلادي. كما أن القائمة التالية لا يندرج فيها المخطوط المحفوظ في مكتبة بودمر Bodmer<sup>(٣٣)</sup> الذي يحوي إنجيل يوحنا، ولا مخطوطات مكتبة شيلستر بيتي Chester Beatty الذي يحوي أسفار حزقيال ودانيال وأستير، واللذان وضعهما بعض العلماء المعبرين، ضمن نصوص القرن الثاني الميلادي.

ولقد تم تقسيم النصوص في القائمة التالية إلى نصوص كتابية، وأخرى غير كتابية، برغم أن التمييز بين هذين النوعين من النصوص يكون غريباً ومدهشاً لقارئ القرن الثاني الميلادي. وجدرياً بالذكر أن كل

32- Ibid., p. 11, 12.

٣٣- مخطوطات مكتبة بودمر Bodmer تقع كلها في الفترة الزمنية المحصورة بين ما قبل سنة ١٥٠م إلى بواكير القرن الثالث الميلادي.

النصوص الكتابية، ونصّين فقط من النصوص غير الكتابية (رقم ١١، ١٣)، هي كلّها مخطوطات مجلّدة Codices . وكلُّ النصوص - باستثناء أرقام (٨، ١٠، ١٣) التي تعود إلى نهاية القرن الثاني الميلادي - لا تتميز بجمال النسخة<sup>(٣٤)</sup>.

ولقد اعتمد العالم روبرتس Colin H. Roberts في إيرادِه لأماكن هذه النصوص البردية في مكنتات العالم المختلفة، على الاختصارات المتعارف عليها بين علماء البرديات. وهي الاختصارات التي ذكر روبرتس بأنّها ترد مشروحة بالكامل في كتاب العالم تورنر E.G. Turner<sup>(٣٥)</sup>.

### النصوص الكتابية

(١) إنجيل يوحنا<sup>(٣٦)</sup>.

34- Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 13, 14.

35- E.G. Turner, *Greek Papyri, an Introduction*, Oxford, 1968.

كما استعان روبرتس Colin H. Roberts أيضاً بكتالوج البرديات الأدبية اليهودية والمسيحية للعالم الفرنسي الجنسية هالست J. Van. Haelst .

Abbé van Haelst, *Catalogue des papyrus littéraires juifs et chrétiens*, Paris, 1976.

وذلك بأن وضع أمام كلِّ بردية ذكرها في كتابه، رقمها مسبوقةً بحرف (H) كما وردت في الكتالوج المذكور.

ولقد أغفلت هذه الأرقام الخاصة بهذا الكتالوج الفرنسي للعالم هالست J. Van. Haelst وذلك لعدم توفر هذا الكتالوج لقارئ العربية، مكتفياً بإيراد أماكن أهم المخطوطات التي ورد ذكرها في هذا الكتاب الذي بين يديك، في مكنتات ومتاحف العالم، كما وردت عند العالم روبرتس Colin H. Roberts نقلاً منه عن كتاب العالم تورنر E.G. Turner السابق الإشارة إليه.

36- P. Ryl. iii, 457.

اكتشفت هذه الوثيقة في مصر - في أوائل القرن العشرين أي سنة ١٩٢٠م - وهي تُعدُّ من أشهر الوثائق، وهي شذرة من إنجيل القديس يوحنا، يرجع زمن نسختها إلى



- (٢) سفرا الخروج والتثنية<sup>(٣٧)</sup>.
- (٣) سفر التكوين<sup>(٣٨)</sup>.
- (٤) سفرا العدد والتثنية<sup>(٣٩)</sup>.
- (٥) سفر المزامير<sup>(٤٠)</sup>.
- (٦) سفر المزامير<sup>(٤١)</sup>.
- (٧) سفر المزامير<sup>(٤٢)</sup>.

حوالي سنة ١٢٥م. أي بعد تدوين هذا الإنجيل بما لا يتعدى رُبع قرن من الزمان. كما اكتشفت بردية أخرى هامة، في الثمانينات من القرن العشرين. ولذلك لم يذكرها روبرتس، لأنه كتب كتابه قبل هذا الاكتشاف. وبهذه البردية أيضاً شذرة من إنجيل يوحنا، وُجدت في أكسرينخوس Oxyrhynchus (البهنسا غرب المنيا)، ورقمها هو (P. Oxy. 3523) وتاريخ نساختها حوالي سنة ١٥٠م. وهنا يتضح قوة مركز الكنيسة المسيحية في الإسكندرية، حيث تهتم كنيسة أفسس - حيث كتب القديس يوحنا إنجيله - بإرسال هذا الإنجيل الرابع إلى كنيسة مصر، أو بالحري اهتمام كنيسة مصر بنشر هذا الإنجيل بين مؤمنيه في هذا الوقت المبكر. بالإضافة إلى نشر قصص من سيرة حياة القديس يوحنا الإنجيلي، كالتى استشهد بها العلامة كليمنديس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) في مقال له بعنوان: "من هو الغني الذي سيخلص؟"

CPG 1379 — PG 9, 603-652 ; BEP 8, 351-374

وقد نُشرت ترجمة إنجليزية لهذا المقال في مجموعة "آباء ما قبل نيقية".

ANF Vol. II, 591-604.

انظر للمؤلف: فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية، الكتابات اليونانية، ص ٥٢

37- P. Baden 4, 56.

38- P. Yale i, I.

وقد نشره العالم ويلز C.B. Welles ويرجع تاريخه ما بين سنة ٨٠ أو ١٠٠م، أمّا

العالم روبرتس Colin H. Roberts فيرجعه إلى أواخر القرن الثاني الميلادي.

39- P. Chester Beatty vi.

وهو مخطوط يعود إلى القرن الثاني أو الثالث الميلادي.

40- P. Ant. i, 7.

41- P. Lips. 170.

- (٨) شذرات من إنجيل القديس متى وإنجيل القديس لوقا<sup>(٤٣)</sup>.  
 (٩) الرسالة إلى تيطس<sup>(٤٤)</sup>.  
 (١٠) إنجيل القديس متى<sup>(٤٥)</sup>.

### النصوص غير الكتابية

- (١١) إنجيل إيجيرتون Egerton<sup>(٤٦)</sup>.  
 (١٢) شذرة من راعي هرماس The Shepherd of Hermas<sup>(٤٧)</sup>.  
 (١٣) مجموعة من أقوال الرب Logia وهي جزء من إنجيل توما<sup>(٤٨)</sup>.  
 (١٤) ضد الهرطقات Adversus Haereses للقديس إيريناؤس<sup>(٤٩)</sup>.

### حول نوع الخط وأسلوب الكتابة في المخطوطات القديمة

يرى العلماء الذين نشروا هذه البرديات القديمة، أن النسخ لم

42. Bold. Ms. Gr. Bibl. g. 5 (P).

43. P. Barc. Inv. 1 + P. Magdalen College, Oxford Gr. 18+P. Paris, Bibl. Nat. Suppl. Gr. 1120

وهي شذرات تعود - بحسب رأي العالم روبرتس Colin H. Roberts - إلى مخطوط واحد من أواخر القرن الثالث الميلادي.

44. P. Ryl. i, 5.

45. P. Oxy. xxxiv, 2683.

46. P. Lond. Christ. I.

47. P. Mich. 130.

وهذه الشذرة مكتوبة على ظهر لفيفة roll تحمل نصاً وثائقياً يعود إلى الربع الثالث من القرن الثاني الميلادي.

48. P. Oxy. i, 1.

وهي تعود إلى القرن الثاني الميلادي.

49. P. Oxy. iii, 405.

وهي تعود إلى أواخر القرن الثاني الميلادي أو النصف الأول من القرن الثالث.

يستخدموا القواعد الرسمية لخط اليد في نسخة نصوصها no calligraphic hand وذلك باستثناء الثلاثة التي وصفناها بأنها ذات خط نسخة جميل، أي أرقام (٨، ١٠، ١٣). أو بتعبير آخر؛ أنهم نسخوها بالحروف الكبيرة الدائرة<sup>(٥٠)</sup> informal uncial. أو بتعبير ثالث؛ أن خط يد هذه المخطوطات، هو من النوع العادي السهل The plain style. أما العالم روبرتس Colin H. Roberts فيرى أن كل هذه البرديات - وبدرجات متفاوتة - هي ذات خطوط عادية مقبولة، وإن كانت بعيدة عن كونها خطوطاً حاذقة، فهي عمل لرجال لم يتدربوا على أساليب تحسين الخط Calligraphy ومن ثم فلم يكونوا معادين على نسخة الكتب. ومع ذلك فقد طمحووا إلى أعلى درجة من النظام والوضوح، وأنجزوا ما طمحووا إليه. وإن مثل هذه الخطوط، توصف بأنها وثائقية<sup>(٥١)</sup> محسنة reformed documentary.

وإن إحدى المميزات التي تفيدها عالم الخطوط القديمة، حين يفحص برديات منسوخة. يمثل هذه الأيدي غير الحاذقة، هي ذلك الرباط الوثيق الذي يربط بين خطها، وبين خط الوثائق الزامنة لها<sup>(٥٢)</sup>. ومن ثم، فمهمة

٥٠- تنقسم المخطوطات اليونانية من جهة خط نسختها إلى uncials أي مكتوبة بالحروف الكبيرة المنفصلة، وهي الأقدم، وإلى minuscules أي مكتوبة بالحروف الصغيرة المشبكة، وهي الأحدث.

٥١- يُقسم العلماء المخطوطات من حيث محتواها، إلى نصوص ووثائقية documentary مثل عقود البيع والشراء، والخطابات الخاصة، وكافة التعاملات اليومية، وإلى أدبية literary وهي النصوص العامة المكتوبة، ليقراها الجميع، مثل الكتاب المقدس، وكتابات الآباء، وكافة المؤلفين. وكون روبرتس يصف هنا خط هذه المخطوطات المبكرة بأنه "وثائقي محسن"، يعني أنه خط قريب من المستعمل في التعاملات اليومية، ولكنه مكتوب بعناية أكثر منه.

٥٢- وذلك لأن وثائق نصوص التعاملات اليومية تحمل عادة تاريخ كتابتها، وبذلك تكون بمثابة نقاط ثابتة، تساعد العلماء في تحديد تاريخ خط معين.

تحديد تاريخ النسخة مع هذه النوعية من الأيادي، هي أقل صعوبة عن تلك المنسوخة بأياد تعلمت بإتقان أسلوب الخط وتحسينه purely calligraphic hands وخطوط هذه البرديات المبكرة تتراوح بين الخط المتقن، مثل مخطوطات مكتبة بادين Baden لسفري الخروج والتثنية، وبين الخط القريب من الوثائقي، والذي يتميز بوجود تشبيك بين بعض الحروف، مثل خط إنجيل إيجيرتون Egerton (٥٣).

إننا نستطيع أن نحكم من خلال تلك الأيادي التي نسخت المخطوطات المسيحية المبكرة، أنها كانت مخطوطات أو كتباً للاستخدام الدارج، وليس - كما في اللغائف اليهودية التي كانت تحوي كلمات التأموس - أشياء للعبادة العامة، فهذا كان ممكناً فقط إذا كان هناك اعتراف علني بعبادة تنال حماية الدولة، وهو ما لم يكن متاحاً للمسيحية في ذلك الوقت المبكر من تاريخها.

وهناك ممارسة أخرى اضطلع بها نساخ المخطوطات المسيحية، وهي أن الكلمة الأولى من النص - أو اسم المرسل إليه في حالة الخطابات - يكون الحرف الأول من الكلمة الأولى، أو الاسم، حرفاً كبيراً، وهو نفس ما يحدث في بداية أي جملة أو بداية أي فصل. وإن آثار مثل هذه الممارسة، يمكن إرجاعها إلى القرن الثاني قبل الميلاد في النصوص الوثائقية، ولكن لا نجد لها أبداً في البرديات التي تحوي نصوصاً أدبية، وتعود إلى العصر البطلمي والروماني.

كما أتجه النساخ إلى كتابة الحرف الأول من بداية كل صفحة حرفاً كبيراً، حتى إن كان لم يأت في بداية الجملة. وهو ما نجده في مخطوطات

شبيستر بيتي Chester Beatty لسفري العدد والتثنية<sup>(٥٤)</sup>. وفي مخطوط الكتاب المقدس الإسكندري الشهير Codex Alexandrinus ، نجد أن الحرف الأول من أول كل سطر كامل من كل فصل جديد أو فقرة جديدة، يكون كبيراً. وفي مخطوط لسفر المزامير وجد في مدينة أرسينوي Arsinoe (الفيوم) ومحفوظ الآن في مكتبة برلين، ويعود إلى القرن الرابع الميلادي، نجد أن الحرف الأول من كل آية أكبر من الحروف المستخدمة في المخطوط بمقدار الضعف. وفي مخطوط لإنجيل غير قانوني من مدينة البهنسا Oxyrhynchus مكتوب على الرقوق، ويعود إلى أواخر القرن الرابع أو أوائل الخامس، نجد أن الحرف الأول فيه مزين بشكل ورق الشجر، أما الحرف الأول من كل جملة، فهو كبير ومكتوب باللون الأحمر.

وهناك ممارسة أخرى مقتبسة من الخط الوثائقي. وهي أن الحرف الأول من بداية كل فصل جديد، لا يكون كبيراً فحسب، بل وخارجاً في الهامش أيضاً، وهو ما نجده في مخطوط سفر حزقيال المحفوظ في مكتبة شبيستر بيتي Chester Beatty والذي يعود إلى أوائل القرن الثالث الميلادي. وأيضاً في بردية إنجيل لوقا (رقم ٨ في البيان السابق ذكره). وأما في النصوص الأدبية غير الدينية، فإن هذه الممارسة نجدها محصورة فقط في العصر الروماني، في القوائم وكُتب التفاسير. حيث بداية كل آية يتم تفسيرها، تكون خارجة في الهامش.

ولقد لفت العالم تورنر E.G. Turner انتباهنا إلى ممارسة أخرى تتميز بها المخطوطات المسيحية عن غيرها، وهي تخصص بكتابة الأعداد في شكل أرقام وليس في كلمات، وهو ما شاع استخدامه في نسخ الأسفار المقدسة

المسيحية. ففي أربعة من البرديات المبكرة التي ذكرناها، وهي نصوص صغيرة أو شذرات، ترد فيها الأعداد، مكتوبة كلها بشكل أرقام، وليس ككلمات مكتوبة بكامل حروفها<sup>(٥٥)</sup>.

والخلاصة التي نخلص إليها، هي أنه بفحص أقدم المخطوطات المسيحية، نجد أن أسلوب كتابتها يعتمد على نموذج معروف لكتابة المخطوطات - مع قليل من الاستثناءات - وهذا النموذج ليس هو المخطوطات الكلاسيكية اليونانية، ولا هو المخطوطات اليونانية اليهودية، بل هو نموذج لمخطوطات ذات أصول مسيحية بحتة تسبق أواخر القرن الثاني الميلادي، حيث بزغ نور مدرسة الإسكندرية لتعليم الموعوظين، وامتد تأثيرها التنويري ليغطي أرجاء مصر كلها، بل وخارجها أيضاً<sup>(٥٦)</sup>.

### حول التُّسَاخ الذين نسخوا أقدم المخطوطات

لا يصعب علينا تصور الرجال الذين تعرّفنا عليهم من البرديات الوثائقية في كلٍّ من أرسينوي Arsinoe (الفيوم)، وأكسرينخوس Oxyrhynchus (البهنسا غرب المنيا)، وهم التجّار والفلاحون ورؤساء الإدارات الصغيرة، الذين برعوا في اللّغة اليونانية، سواء في معرفتها أو كتابتها، إلا أن اهتمامهم الأدبية كانت قليلة. بل وحتى سلالة اليهود منهم، لم يكونوا يعرفون العبرية، لأن معرفة العبرية كانت أمراً نادراً بين يهود مصر خلال الفترة من القرن الأوّل الميلادي وحتى منتصف الحُكم الروماني<sup>(٥٧)</sup>.

55- Cf. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 18.

56- *Ibid.*, p. 20.

٥٧- إن معرفة فيلو (١٣ق.م-٥٠.م) الفيلسوف اليهودي للعبرية هو أمرٌ لا زال

فإلى جانب أننا لا نجد اسماً عبرانياً لله منسوخاً في النصوص المسيحية، إلا أن النسخ أيضاً كانوا يرتبون في قراءة ونساحة الأسماء العبرية. ولدينا شاهد على هذا الأمر من بردية شيلستر بيتي Chester Beatty التي تحوي سفر التثنية، وهو الأمر الذي لا نجده بسهولة عند الغنوسيين المثقفين، الذين كتبوا ما يماثل هذه البرديات المبكرة.

وإن كثيراً من هذه النصوص المبكرة - بعكس النصوص الوثائقية المزامنة لها - تحمل عوامل مساعدة لقراءتها، مثل علامات نبرة الصوت accents وعلامات التنفس breathings وعلامات الترقيم punctuation لتوضيح كيفية نطق الكلمات الغريبة. وأفضل مثال على ذلك، هي بردية بادين Baden التي تحوي سفري الخروج والتثنية.

وناسخ مخطوط راعي هرماس The Shepherd of Hermas المحفوظ في مكتبة ميتشجان Michigan والذي يعود إلى القرن الثالث الميلادي، لم يكن مفرداً في استخدامه لهذه العوامل المساعدة في برديته فحسب، بل وأيضاً كان يضيف حواشي وهوامش وتصحيحات على النص الذي ينسخه، ويبدو أنه كان ينسخ من نسختين آخرين كانا أمامه.

ويمكننا تكوين انطباع عن المجتمعات التي كانت تملك بعضاً من المخطوطات، مثل بردية إنجيل إيجيرتون Egerton وبردية إنجيل لوقا التي وُجدت في كوبتوس Coptos (قفط)، وبردية سفري العدد والتثنية المحفوظة الآن في مجموعة شيلستر بيتي Chester Beatty، وهو أن هذه المجتمعات لم

---

موضع جدال. ولم تنتعش العبرية في مصر إلا بعد الحرب المنكوبة التي جرت رحاها في سنة ١٣٢م، حين أجه اليهود من بعدها إلى إعطاء ظهورهم للثقافة اليونانية.

تكن على حال من الثراء، إلا أنها في ذات الوقت لم تكن فقيرة<sup>(٥٨)</sup>.

ويقول العالم زونتس G. Zuntz في سنة ١٩٤٦م: "لقد امتلكت أسقفية كنيسة الإسكندرية مخطوطات منذ أواخر القرن الثاني الميلادي، والتي صارت هي المعيار الإسكندري لمخطوطات الأسفار المقدسة". وهذا أمر لا يدعوننا إلى الاندهاش إذا عرفنا أن المخطوطات الأدبية التي كتبت في الإسكندرية قد انتشرت في كل أقاليم مصر. وأفضل مثال لذلك، هو أن نسخة من مقال "ضد الهرطقات" للقديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م)، كانت موجودة في البهنسا Oxyrhynchus في سنة ١٨٠م، أي بعد كتابة المقال بوقت وجيز للغاية.

وإن العلاقة بين المسيحية في الإسكندرية والمسيحية في باقي أقاليم مصر، قد اتضحت بالأكثر في القرن التالي مباشرة، أي في القرن الثالث الميلادي. فلدينا مخطوط مجهول المكان، يحوي بعض عظات العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م)، وزمن هذا المخطوط متزامن مع زمن الكاتب، أو بعده بقليل جداً.

ومن هذا المسح للخصائص الخارجية للوثائق البردية، يمكننا تكوين صورة لأصل وتطور كنيسة مصر. وجدير بالذكر هنا أن النصوص البردية المبكرة، هي في غالبيتها نصوص من الأسفار المقدسة القانونية. وهذا دليل على أنها قد انتشرت انتشاراً واسعاً في كل من مصر الوسطى ومصر العليا. وإن كثيراً منها قد جاء من مدينة البهنسا Oxyrhynchus - وهذا لا يعني أن كنيسة البهنسا كانت أقوى من أي كنيسة أخرى من كنائس مصر - مما يشير إلى أن الجماعات المحلية كانت تولى الأسفار

58. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 21, 22.



المقدّسة اهتماماً منتظماً ومستمراً. وإذا اعتبرنا أنّ هذه الوثائق هي صورة تعكس لنا سمات هذه المجتمعات، فإننا نجد أنّ أناس هذه المجتمعات، هم أناسٌ من الطبقة المتوسطة أو ربما أقل من المتوسطة، إلا أنّ الظروف كانت أكثر جوده في مدينة الإسكندرية عن ظروف تلك الأقاليم الأخرى في أرجاء مصر في أواخر القرن الثالث الميلادي<sup>(٥٩)</sup>.

وإذا أضفنا إلى ذلك، ملاحظات كل من العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) والعلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) عن "إنجيل العبرانيين"<sup>(٦٠)</sup> و"إنجيل المصريين"<sup>(٦١)</sup>، و"إنجيل مرقس السري"، نحصل على صورة جيّدة لمسيحية في مصر، تتمركز حول حياة يسوع. وهذا يُظهر لنا أنّ عدداً كبيراً من القصص والأقوال المختصّة بيسوع، قد عُرفت في مصر، سواء القانوني منها أو الأبوكريفي<sup>(٦٢)</sup>.

59- *Ibid.*, p. 24, 25.

٦٠- "إنجيل العبرانيين"، هو إنجيلٌ تظهر فيه سمة اليهودية المسيحية. وكتب لليهود المسيحيين في الإسكندرية. وسيرد الحديث عنه بعد قليل.

٦١- "إنجيل المصريين"، هو نتاج نشاط إرسالية مبكرة لبعض اليهود المسيحيين كرزوا بالمسيح بين جيرانهم من الأميين. وقد كتب للمصريين الذي سكنوا منطقة "راكوتي" بالإسكندرية. وسيرد الحديث عنه بعد قليل.

ويرى العالم كوستر Koaster أنّ إنجيل توما هو المصدر الذي اعتمد عليه كل من "إنجيل العبرانيين" و"إنجيل المصريين". وهي نقطة لا يوافق عليها بيرجر بيرسون B.A. Pearson إذ يجد صعوبة في قبولها، معتبراً أنّ هذه الأناجيل الثلاثة تقتسم فيما بينها التقاليد المسيحية اليهودية في مصر في بواكيرها الأولى.

Cf. Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 150, n. 99.

62- Cf. Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 150.

## رسالة برنابا أقدم كتابات مسيحية مصرية تصل إلينا كاملة

في غضون النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، تم تأليف "رسالة برنابا" بواسطة مسيحي مصري من أصل يهودي من الإسكندرية. وهي الرسالة التي تعكس لنا أحداث الانفصال النهائي بين الكنيسة والمجمع اليهودي<sup>(٦٣)</sup>. وهذه الرسالة تتكوّن من ٢١ فصلاً، ولا يرد بها أي إشارات ليتورجية تختص بكنيسة الإسكندرية.

وقد أجمع معظم العلماء، على أن الموطن الأصلي لهذه الرسالة، هو الإسكندرية. فهي أوّل كتابات تصدر عن المسيحية في مصر<sup>(٦٤)</sup>. ولا يستبعد العلماء أن يكون مؤلف هذه الرسالة هو واحد من معلّمي كنيسة الإسكندرية، نظراً للاحترام الشديد الذي حظيت به هذه الرسالة في التقليد الإسكندري. ويمكننا أن نُرجع زمن كتابة هذه الرسالة إلى سنة ١٣٠م استناداً إلى الفقرتين (١٦:٣، ٤) منها، حيث تقول: "يقول الرب أيضاً: 'الذين ينقضون الهيكل هم أنفسهم يبنونه'<sup>(٦٥)</sup>، هذا ما حصل؛ أعداؤهم دمروا الهيكل بينما كان اليهود يحاربون،

63- Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 145, 150.

64- A.F.J. Klijn, *op. cit.*, p. 166.

يرى العالم ستريتر Streeter في كتابه "الكنيسة الأولى" (ص ٢٣٨-٢٥٥) أن رسالة برنابا، والرسالة الثانية لكليمندس، تمثلان كتابات مسيحية مصرية. ويعتبرها دانييلو Daniélou أنها نتاج مصري مسيحي. ويقرّر العالم برنارد L.W. Barnard في كتابه "تاريخ رسالة برنابا، وثيقة مسيحية مبكرة في مصر"، مصرية الرسالة. في حين يتردد البعض في ذلك مثل العالم بوير Bauer. بينما يقول روبرتس Roberts "ليس هناك من برهان يؤكد أصلها المسيحي المصري".

وعن رسالة برنابا، انظر صفحات (٠٤١، ١١٤، ١٤٤، ١٤٥) من هذا الكتاب الذي بين يديك.

وأعداؤهم بينونه الآن“. وهو ما حصل بالفعل سنة ١٣٠م، إذ أعاد الرومان بناء هيكل أورشليم في هذه السنة باسم جديد هو ”جوبيتر كابتولينا“ Jupiter Capitolin .

ولأن رسالة برنابا هذه قد حازت إجماعاً واسعاً أنها إسكندرية الأصل، فقد حاولت كثير من التقاليد المسيحية - أو الأساطير أحياناً - ملء الفجوة التاريخية للمسيحية في مصر في بواكيرها الأولى، فنسبت إلى برنابا كرازته في الإسكندرية. وإحدى هذه الأساطير هو ما نقرأه في العظة الأولى المنسوبة لكليمنس الروماني، وفيها يخبرنا كليمنس المزعوم عن رحلته من روما إلى اليهودية لبحث عن ابن الله، والذي كان قد سمع عنه بعض الأخبار. وإذا تعطلت سفينته، جاء إلى الإسكندرية حيث تقابل مع عبراني من اليهودية اسمه برنابا. أما برنابا فقد علم كليمنس الإيمان المسيحي، ثم رحلا معاً إلى اليهودية وجاءا إلى قيصرية، فأدخله برنابا إلى الرسول بطرس<sup>(٦٦)</sup>. وفي هذه القصة نجد أن برنابا هو المسيحي الوحيد الذي يُذكر بالاسم أنه من الإسكندرية.

وهناك وثيقة أخرى منسوبة لكليمنس، تطرقت إلى نفس الموضوع الذي نتحدث عنه، تُدعى ”الاعترافات“ Recognitions ، إلا أنها جعلت مقابلة كليمنس مع برنابا في روما وليس في الإسكندرية<sup>(٦٧)</sup>.

فإن كان نشاط برنابا في مصر قد اختلقه مؤلف رسالة كليمنس، أو كان يعتمد على تقليد مستقل، فهذا أمر يصعب البت فيه. ولكن الواضح أنه لا وجود لمثل هذا الأمر لا في تاريخ الكنيسة ليوسابيوس، ولا

في أي وثيقة أخرى مؤرخة قبل القرن الرابع.

وبالإضافة إلى مصرية "رسالة برنابا" فهناك أيضاً مصرية كاتب "الرسالة الثانية لكليمنس" (٦٨).

### حول الكتابات الأبوكريفية المبكرة التي عُرفت في مصر

لكي تتضح لنا رؤية أوضح نوعاً للمسيحية في مصر في بواكيرها الأولى، فعلينا الرجوع إلى كتابات كتبت في مصر في بواكير المسيحية فيها، وجرى عليها دراسات. ومن بين هذه الكتابات:

- رسالة الرُّسُل Epistula Apostolorum
- وحي سبله Sibylline Oracles
- شهادة الحق Testimony of Truth
- رؤيا بطرس Apocalypse of Peter

فأول اثنتان من هذه الكتابات معروفتان منذ زمن بعيد. أما الاثنتان الأخريان فقد تم اكتشافهما في نجع حمادي.

ولقد درس العالم هورنشو Hornschuh "رسالة الرُّسُل Epistula Apostolorum" دراسة وافية، ونشر دراسته في بحث بعنوان: "مصر في النصف الأول من القرن الثاني" وافترض أن أصلها مصري، وهو الافتراض الذي لاقى قبولاً من كثير من العلماء الآخرين.

٦٨- لم تجد هذه الرسالة مدافعين كثيرين عن أصلها المصري. وبرغم ذلك فهناك شبه إجماع على أن مصرية الرسائلتين، هو أمر لا يمكن إنكاره.  
ومن بين هذه الكتابات المصرية أيضاً: "كرازة بطرس"، و"صعود إشعيا".

أمّا كتاب ”وحي سبّله“، فهو مؤلّف يهودي مسيحي مشترك. فالنسخة اليهوديّة لهذا المؤلّف قد أُعيد صياغتها مرّةً أُخرى، ونُشرت بواسطة أحد المسيحيّين. وكلٌّ من النّاشر اليهودي والنّاشر المسيحي كانا موجودين في مصر. أمّا نحن، فإننا نتعامل مع الإضافات المسيحيّة التي حُشرت على النّص اليهودي الأصلي.

ولقد اعتُبرت ”شهادة الحق“، ذات أصل مصري أيضاً. أمّا ”رؤيا بطرس“، فقد ثار حولها نزاع، إذ ينسبها كثيرون إلى أصل سوري أو فلسطيني، وهو ما لم يستقر عليه الإجماع بعد. وإن كانت ”رؤيا بطرس“ غير مصريّة الموطن، فإنها لا تؤثّر على دراستنا واستنتاجاتنا، لأنّ مساهمتها في هذا الشّأن مساهمة بسيطة.

هذه الكتابات الأربع السّابق ذكرها، يمكن أن نسَمّيها كتابات رؤيويّة Apocalyptic وكلّ واحدة منها كُتبت لتعطي معلومة لم تكن معروفة لنا من قبل. ”فرسالة الرُّسل“ هي إلهام أو وحي يسوع لرُّسُله. أمّا ”وحي سبّله“ فهو كشف رؤيوي لسبّله النّبِيّة. وأمّا ”شهادة الحق“ فهي مقالة وعظيّة لأولئك الذين يرغبون أن يسمعوا، ليس بأذان الجسد فحسب، بل أيضاً بأذان العقل. وأمّا ”رؤيا بطرس“، فهي إعلان يسوع لبطرس أثناء معاناته في آلامه وموته.

وثلاثة من هذه الكتابات تنحى في أسلوبها إلى الأسلوب الجدلي. وهي وإن كانت تُظهر أو تُعلن بعض الأفكار العاديّة، إلّا أنّها هامة بالنّسبة لنا، لأنّها تنهج المنهج اللاهوتي الذي يرى المسيح أنّه اللُّوغوس Logos Christology. ففي هذه الكتابات الأربع، يظهر يسوع كمعلن لأسرار ليست معروفة، وهذه المعرفة السّرّائيّة، تهب حياة للذين يقبلون

## يسوع معلماً.

والمناهج اللاهوتي الذي يرى في المسيح أساساً أنه اللوغوس، يكشف عن الخلفية اليهودية لهذه الكتابات. فيسوع يأخذ مكان "الحكمة" عند اليهود وكتاباتهم، كوسيط بين الله والناس. ويظل اللوغوس هو نفسه في أي شكل يختاره ليظهر به للناس، وكان التجسد هو ذلك الشكل الذي ارتآه اللوغوس ليحعل نفسه مرئياً لعيون الناس، والتي لا يمكنها أن ترى الأمور السماوية. وهكذا جاء اللوغوس إلى الأرض ليأخذ جسد إنسان، ولكي يعمل أعمال الله بواسطة هذا الجسد، كالمشي على الماء مثلاً، ولكن يبقى جوهر اللوغوس نفسه غير مُعلن أو ظاهر بواسطة هذا الجسد.

وتتفق كل الكتابات الأربع السابق ذكرها، على حادثة موت يسوع، ونزوله إلى الجحيم. وعلى أن يسوع بعد موته كان قادراً أن يكمل رسالته. وإن كل ما أوردته هذه الكتابات الأربع السابق ذكرها، يرتكز على أفكار يهودية عن الحكمة.

ويتضح أيضاً من دراسة هذه الكتابات الأربع، أنها لم تُكتب في جماعة لها قادة رسميين. فعلى سبيل المثال ترفض "رؤيا بطرس" الأساقفة والشمامسة، حيث تدعوهم "قنوات جافة" Dry Canals.

وهذه الكتابات تُظهر لنا جانباً من الاتجاه الفكري الذي نشأ مع بداية المسيحية في مصر، وهي الاتجاهات الفكرية التي أخذت جذورها من مدارس الحكمة اليهودية. ونحن نعتقد أن هذا النوع من المسيحية اليهودية الهلينية، لم يكن محصوراً فقط في مصر، بل انتشر في أماكن أخرى، وخصوصاً سورية.

وهذه الكتابات الأربع السّابق ذكرها، لا يتّضح منها أنّها تعرف شيئاً عن أفكار القديس بولس الرّسول اللاهوتيّة، فتعاليمه غير معروفة لديها.

ومن بين هذه الكتابات المصريّة أيضاً: "كرازة بطرس"، و"صعود إشعيا". وعلى ذلك فإنّ مصر تُعتبر مثلاً دقيقاً لوجود تعاليم أرثوذكسيّة وغير أرثوذكسيّة، تعاليم مسيحيّة يهوديّة، وأخرى مسيحيّة هلينيّة<sup>(٦٩)</sup>.

### إنجيل العبرانيّين، وإنجيل المصريّين

"إنجيل العبرانيّين" هو إنجيلٌ لم يرفضه كلُّ من العلامة كليمنديس الإسكندري، والعلامة أوريجانوس بشكلٍ مؤكّد وقاطع كإنجيل هرطوقي. ولأنّهما لم ينسبا هذا الإنجيل إلى شيعة الأيونيين، وهي شيعة مسيحيّة يهوديّة كانت معروفة آنذ، فإنّ هذا ما يثبت لنا أنّ إنجيل العبرانيّين كان لا يزال معتبراً أنّه إنجيل مقبول، إذ لم يظهر فيه أيُّ ميل غنوسي. فالسّمة الواضحة في "إنجيل العبرانيّين" هي سمة اليهوديّة المسيحيّة *The Jewish Christian Character* (٧٠).

وهذه السّمة التي ظهرت لنا في "إنجيل العبرانيّين" هي نفس السّمة التي تلقينا بعض الظلال على الإنجيل الثّاني "إنجيل المصريّين"<sup>(٧١)</sup>. وإنّ أسلوبيهما الذي يغلب عليه الطابع النّسكي، هو أسلوبٌ غير معروف عند اليهود الإسكندريّين. ومن ثمّ، فإنّ "إنجيل العبرانيّين" قد تمّ تأليفه لليهود

69- *Ibid.*, p. 169-175.

٧٠- عن إنجيل العبرانيّين، انظر صفحات (١٠٠، ١٢٤، ١٦٠، ١٩٣) من هذا الكتاب الذي بين يديك.

٧١- عن إنجيل المصريّين، انظر صفحات (١٠٠، ١٥٩، ١٦٠، ١٩٣) من هذا الكتاب الذي بين يديك.

المسيحيين في الإسكندرية، أما "إنجيل المصريين" فقد كُتب للمصريين الذي سكنوا منطقة "راكوتي" بالإسكندرية<sup>(٧٢)</sup>.

---

٧٢- ربما يكون "إنجيل المصريين" هو نتاج نشاط إرسالية مبكرة لبعض اليهود المسيحيين كرزوا بالمسيح بين جيرانهم من الأميين.

Cf. Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 150.

ولكن سبق أن ذكرت أنه أمرٌ يصعب تنفيذه بسبب العداء الطبيعي الذي كان معروفاً بين اليهود وجيرانهم من الأميين.



الفصل السّادس

الملامح اللّيتورجية لكنيسة الإسكندرية  
في القرن الثّاني الميلادي

## تمهيد

إنَّ صمتاً وسكوتاً يكتنفان التاريخ الليتورجي لكنيسة الإسكندرية في القرن الثاني الميلادي، ولاسيما النصف الأوَّل منه. وهو القرن الذي جلس فيه ثمانية أساقفة على كرسي الإسكندرية، بدءاً من برعموس Primus الذي تولى الأسقفية سنة ١٠٩م، وحتى ديمتريوس الأوَّل وهو الثاني عشر من أساقفة الإسكندرية، والذي تولى الأسقفية سنة ١٩١م، وظلَّ على الكرسي قرابة ٤٢ سنة، حيث توفي سنة ٢٣١م. وفي زمانه دخلت الكنيسة القبطية مرحلة جديدة من تاريخها.

فبدءاً من النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي بدأت الملامح الليتورجية لكنيسة الإسكندرية تتضح شيئاً فشيئاً. وهو ما يؤكده العالم الليتورجي هانز ليتزمان<sup>(١)</sup> H. Lietzmann الذي يتحدث عن ليتورجية كنيسة الإسكندرية فيقول: ”إنَّ الطابع القديم لليتورجية أورشليم الأولى على قدر ما نعلم، لا وجود له وجوداً ممتداً وذا قيمة إلا في مصر. وهذا الطابع كان هو السائد في مصر وذا القيمة الرسمية، وذلك بالنسبة للمفاهيم الإفخارستية وطبيعة تكوينها التي وصلت إلينا من أعمال

١- هانز ليتزمان Hans Lietzmann (١٨٧٥-١٩٤٢م) عالم ألماني، وأستاذ التاريخ الكنسي بجامعة برلين. تبحَّر في دراساته المبكرة في كتابات الآباء اليونان. ثم تخصصَّ في دراسة كافة ليتورجيات العالم دراسة دقيقة جداً، مكرساً لها كل حياته. ويُعتبر كلامه في هذا الشأن، حجة لا تقبل التُّقَد.

كليمنس وأوريجانوس“<sup>(٢)</sup>.

ويعود ريتشاردسن R.D. Richardson معتمداً على أبحاث كل من ليتزمان H. Lietzmann وستكوت<sup>(٣)</sup> Brooke Foss Westcott وهورت<sup>(٤)</sup> F.J.A. Hort ليثبت أن النصوص الإفخارستية والليتورجية بقيت على درجة من النقاء والأصالة في مصر، حتى نهاية القرن الثاني، مقارنةً بغيرها من البلاد<sup>(٥)</sup>.

### مشكلة تحديد يوم عيد الفصح

في منتصف هذا القرن الثاني الميلادي، أثيرت مشكلة تحديد يوم عيد الفصح، وهل يكون في اليوم الرابع عشر القمري؟ حيث تزعم هذا الرأي أساقفة آسيا. أو يكون في يوم الأحد باعتباره يوم القيامة؟ وهو ما كانت

---

2- Lietzmann, H., *Mass and Lord's Supper, A Study in the History of the Liturgy*, tr. By H.G. Reeve, with Introduction and Supplementary Essay by R.D. Richardson, Leiden 1953-1974.

مقتبس من: الأب متى المسكين، الإفخارستيا عشاء الرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م، ص ٤٢٨  
 ٣- الأسقف وستكوت Brooke Foss Westcott (١٨٢٥-١٩٠١م)، هو أسقف دُرهام Durham منذ سنة ١٨٩٠م. درس في مدرسة الملك إدوارد السادس في برمنجهام. وصار صديقاً للعالم المشهور لايتفوت Lightfoot. وفي سنة ١٨٧٠م اختير أستاذاً للاهوت في كلية الثالوث بجامعة كامبردج Cambridge. وله كثير من الكتابات اللاهوتية. من بينها ثلاثة كتب في شرح إنجيل يوحنا. وكتاب في شرح رسائل القديس يوحنا. وآخر في شرح الرسالة إلى العبرانيين ... الخ.

Cf. ODCC, 2<sup>nd</sup> edition, p. 1470.

٤- اسمه بالكامل هو Fenton John Anthony Hort (١٨٢٨-١٨٩٢م). وهو أستاذ مادة العهد الجديد، في كلية الثالوث بجامعة كامبردج.

Cf. ODCC, 2<sup>nd</sup> edition, p. 667.

٥- الأب متى المسكين، مرجع سابق، ص ٤٣١

تمارسه فعلاً باقي الكنائس الأخرى.

ولقد أثبتت أوّل مناقشة في هذا الأمر، بين بوليكاربوس أسقف أزمير وأنيسيتوس أسقف روما سنة ١٥٥م تقريباً. وفي سنة ١٧٠م تنازع على هذا الأمر ميليتو أسقف ساردس وأبوليناريوس أسقف هيرابوليس، ثمّ امتد النزاع ليشمل الكنيسة الجامعة.

ولم تكن هذه المشكلة هيّنة، وهو ما يذكره يوسابيوس القيصري، حيث يقول بأنّها قد أقلقّت كنائس المسكونة كلّها، ونشب بسببها خلاف بين أساقفة الكنائس، تطوّر إلى حدّ أنّ فيكتور أسقف كنيسة روما، حاول أن يقطع كلّ إيارشيات آسيا من وحدة الكنيسة العامة والكنائس التي وافقتها، وكانت هذه أوّل سابقة من نوعها في تاريخ الكنيسة.

ولقد كان للقدّيس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م) أسقف ليون بفرنسا، الفضل في تهدئة الخواطر إلى حين. وهو ذات الأمر الذي ناقشه مجمع نيقية المسكوني الأوّل بعد ذلك بأكثر من قرن من الزّمان<sup>(٦)</sup>. ولقد عقد أساقفة فلسطين وصور والخمس مدن الغربيّة مع آخرين، مجتمعاً في فلسطين، وأصدروا أمراً كنسياً، يحدّد أنّ سرّ قيامة الرّب، يجب ألاّ يُحتفل به في أيّ يوم آخر، سوى في يوم الرّب. وأنه يلزم أن يُختتم الصّوم الفصحى في هذا اليوم. ويقول يوسابيوس القيصري (٢٥:٥): إنهم "ذكروا أموراً كثيرة عن التّقليد الخاص بالفصح الذي وصل إليهم بالتّعاقب من الرّسل، وأضافوا الكلمات الآتية في ختام ما كتبه: اجتهدوا أن تُرسلوا نُسخاً من رسالتنا إلى كلّ كنيسة، لكي لا نعطي فرصة لمن يخدعون نفوسهم بسهولة، ونعرّفكم بأنهم في الإسكندرية يحفظونه في نفس اليوم مثلنا،

٦- عرضتُ بإسهاب لهذا الأمر في كتاب آخر، يتحدّث عن عيد القيامة المجيد.

لأنَّ الرِّسائل قد حُمِلت مِنَّا إِلَيْهِمْ وَمِنْهُمْ إِلَيْنَا، تُفِيد أَنَّا نَحْفَظُ الْيَوْمَ  
الْمَقْدَسَ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ“.

وهي إشارة في غاية الأهمية، تُلقى ضوءاً مبهراً على مركز كنيسة الإسكندرية في القرن الثاني الميلادي. ذلك لأنَّ مجمع فلسطين، عندما أراد أن يحسم الأمر، ويدلّل على صدق رأيه واستقامته، استعان بتقليد كنيسة الإسكندرية، ليعتبره نبراساً يجب الإقتداء به، لاسيما أن هذا المجمع قد أرسل إلى الإسكندرية رسائل يستوضح بها الأمر، وقد تلقى رداً من كنيسة الإسكندرية يفيد زمان وطريقة الاحتفال بالفصح. وهي إشارة ليتورجية غالية، ليس من جهة وقت التَّعْيِيد بالفصح فحسب، بل وأيضاً طريقة الاحتفال به، والتي كانت واحدة في الإسكندرية وفلسطين والخمس مدن الغربية في ذلك الوقت، كما تشير الرِّسالة.

## الملامح الليتورجية لكنيسة الإسكندرية في كتابات العلامة كليمنس الإسكندري

عرفنا من يوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م) المؤرِّخ الكنسي المشهور، أنَّ العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) ألف كتاباً في ”القوانين الكنسية“ وأهداه إلى الإسكندر أسقف أورشليم<sup>(٧)</sup>. ولكن مع الأسف لم يصلنا منه سوى شذرات فقط. وعنوانه الكامل هو: ”قانون كنسي ضد المتهودين“.

وهذا أمرٌ يهْمُنَّا بالدرجة الأولى. إذ نعرف منه أنَّ الكنيسة كانت تحكمها تقاليد منذ هذا الوقت المبكر من تاريخها. لأنَّ تعبير ”القانون

٧- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٦: ١٣: ٣).

الكنسي“ عند آباء الكنيسة يعني ”الدستور أو التقليد أو التعليم الكنسي“. وهو نفس ما سنجدُه أيضاً عند العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م).

وتتضح لنا شخصيَّة العلامة كليمنس الإسكندري العظيمة والبارة من قوله الآتي:

[نحن لا نربط قط بشيء يجعلنا نتعدى قوانين الكنيسة]

(المفترقات ١٥٧).

ويُعتبر القديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م)، ومعه العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) هما أوَّل من أشار إلى أهميَّة قانون الكنيسة.

وفيما يلي مقتطفات من أقوال العلامة كليمنس، تحمل لنا ملامح الحياة الليتورجية لكنيسة الإسكندرية في هذه الفترة المبكرة من تاريخها<sup>(٨)</sup>.

يتضح لنا من كلام العلامة كليمنس الإسكندري، أن ممارسة الصلاة في سواعي محدَّدة من اليوم، قد ظهر في الكنيسة مبكراً جداً. وهي أوَّل إشارة ترد إلينا من كنيسة الإسكندرية عن تحديد سواعي للصلاة على مدى اليوم. ولكن يتضح من كلامه، أن صلوات السواعي الصغرى - أي سواعي الثالثة والسادسة والتاسعة - لم تبدأ من كنيسة الإسكندرية<sup>(٩)</sup>. فيقول في ذلك:

[إن كان البعض يحدِّد ساعات للصلاة كالثالثة والسادسة

والتاسعة، إلا أن الإنسان الحكيم يُصلي على الدوام مدى

٨- اعتمدتُ في هذه الجزئية على ما أورده الأب متى المسكين من النصوص الآبائية في كتابه، الإفخارستيا عشاء الرب، مرجع سابق، ص ٤٣٤-٤٤٨، مع التصرف في الشرح.

٩- لشرح تفصيلي لهذه الجزئية، يمكن الرجوع إلى كتاب ”الأجبية أي صلوات السواعي“ للمؤلف.

الحياة. لكي باجتهاده الدائم في الصلاة، يكون في شركة دائمة مع الله ... يرفع رأسه، ويسط يديه نحو السماء، واقفاً على أصابع رجله، ليشارك في ختام الصلاة. وكأنه يتلَهَّف أن ينطلق بروحه إلى العالم الآخر غير المدرك ...] (المتفرقات ٧:٧).

ويتحدَّث العلامة كليمندس الإسكندري عن أمر أراه جوهرياً، ربما فقدناه في أيامنا هذه، وهو كيفية الاستعداد للذهاب إلى الكنيسة. وما يلزم الانتباه إليه في أثناء الطريق إليها. وكيفية الترائي أمام الرب فيها. ويخلص في قوله الآتي ذكره، إلى نظرة المسيحي إلى الكنيسة كمعيار حقيقي يقيس به المسيحي سلوكه. فيقول:

[النساء والرجال، عليهم أن يذهبوا إلى الكنيسة بهدوء ونظام وسكون، وفيهم محبة صادقة. أطهاراً بالجسد، وأطهاراً بالقلب. لكي يكونوا لائقين للصلاة أمام الله.

وعلى النساء بوجه خصوصي، أن يلتفتن إلى ذلك بالأكثر. ولتكن المرأة كلها مغطاة، لأن ملبسها أمر خطير، ويحميها من نظرات الناس. والتي تضع التواضع أمامها لا تسقط أبداً ... وهكذا كل من كرّس نفسه للمسيح، عليه أن يسلك خارج الكنيسة بنفس السلوك الذي كان عليه داخلها] (المرابي ١٢:٣).

[قيل لنا، إنه يتحتم علينا ألا نتقدّم إلى الذبيحة أو الصلوات، إلا ونحن مغتسلون، وفي نضارة وبهاء] (المتفرقات ٤:٢٢).

وهناك أوّل إشارة واضحة عن استخدام كلمة بخور في الصلوات الليتورجية. إلا أن النص التالي للعلامة كليمندس الإسكندري لا يفيد بأنه

قد تم استخدام البخور فعلاً كمادة في الصلوات الطقسية حتى ذلك الوقت. أي يظهر لأول مرة في كنيسة الإسكندرية استخدام كلمة البخور في طقوس الصلوات فيها، بدون البخور ذاته كمادة. فيقول:

[إن كُنَّا نقول (في الكنيسة) إنَّ الرَّبَّ كرئيس كهنة أعظم، يُقدِّم إلى الله بخوراً ذا رائحة زكية، فلا تتصور أن ذلك يعني ذبيحة وبخوراً زكي الرائحة. ولكن ينبغي أن نفهم أنها تعني أنَّ الرَّبَّ يصنع ذبيحة المحبة المقبولة، كرائحة روحية عطرية، على المذبح] (المرى ٢:٨).

وفي موضع آخر يقتبس من سفر حكمة يشوع بن سيراخ، ويقول: «اسمعوا لي وانموا، كوردة مغروسة على مجاري المياه، تفوح رائحتها الزكية كالبخور. وباركوا الرَّبَّ على جميع أعماله» (يشوع بن سيراخ ١٣:٣٩، ١٤).

ويتكلم العلامة كليمنس الإسكندري عن استقرار الدرجات الكهنوتية الثلاث في كنيسة الإسكندرية، منذ هذا الوقت المبكر من تاريخها، وهي درجات الأسقفية والقسيسية والشماسية.

كما يتحدث أيضاً عن صلاة الشكر، وعن وجود قراءات من فصول كتابيه في الكنيسة. وعن القداس الإلهي. وهي تُعدُّ كلها أوَّل إشارات ترد إلينا عن هذه الملامح الليتورجية في كنيسة الإسكندرية. فيقول:

[وبحسب رأيي، أنَّ الدرجات في الكنيسة التي للأساقفة والقسوس والشمامسة، هي اقتداءً بالأجناد السماوية، وبالتدبير الذي يقول عنه الكتاب، إنه ينتظر أولئك الذين يتبعون خطوات الرُّسل الذين عاشوا في كمال البر بحسب الإنجيل. فإنهم سيخدمون أولاً شمامسة، وحينئذ يُحسبون أهلاً



أن يكونوا قسوساً بتغيرهم من مجد إلى مجد، حتى يبلغوا إلى إنسان كامل.

وإنَّ الضَّمير الصَّالح يحتفظ دائماً بتقديس الله، والبر تجاه النَّاس، حافظاً النَّفس طاهرة، بأفكار لائقة وكلمات نقيَّة وأعمال فاضلة. وهكذا ينال الإنسان قوَّة من الله، فتجتهد النَّفس لتكون حسب مشيئة الله، حيث لا يكون لديها شيءٌ نجس إلاَّ الجهالة والعمل ضد الحق. معطية الشُّكر لله في كلِّ حال<sup>(١٠)</sup>، بالاستماع للبر، والقراءة الإلهيَّة، وبالدراسة الصَّادقة، وبالصَّعيدة المقدَّسة. وبصلاة البرِّكة، بالتَّسبيح والترتيل والبركة والحمد. مثل هذه النَّفس لا يمكن في أيِّ وقت أن تنفصل عن الله<sup>(١١)</sup> (المتفرقات ٦: ١٤).

ويقول أيضاً:

[إنَّ الكنيسة القديمة الكاثوليكيَّة (أي الجامعة)، هي وحدها

١٠- أظنُّ أن قوله عن إعطاء الشُّكر لله في كلِّ حال، هو إشارة إلى صلاة الشُّكر التي نُصليها حتى اليوم، والتي تبدأ بقولنا: "فلنشكر صانع الخيرات الرَّحوم الله...". لأن هذه الصَّلاة هي صلاة سحيقة في القدم، ونصُّها اليوناني القديم يدعم هذا الأمر. كما أن العلامة كليمنس الإسكندري في موضع آخر من كلامه يقول عن صلاة المسيحي: [صلاته تكون شُكراً على ما فات، وشُكراً على الحاضر، وشُكراً على الآتي] (المتفرقات ٧: ١٢). وهو يقابل ما نقوله في صلاة الشُّكر، "نشكرك على كلِّ حال، ومن أجل كلِّ حال، وفي كلِّ حال".

١١- يرى الأب متى المسكين أن هذه الفقرة تعطينا صورة دقيقة سرِّيَّة mystical لليتورجيا داخل الكنيسة، فهو يذكر: (١) صلاة الشُّكر. (٢) نداء الكاهن (الشَّماس حالياً) بالاستماع للإنجيل المقدَّس. (٣) قراءة الكُتب الإلهيَّة. (٤) خدمة الوعظ. (٥) تقديم الصَّعيدة المقدَّسة على المذبح. (٦) صلاة البرِّكة التي تشمل معها التَّسبيح لله، والترتيل له، ومباركته، وحمده. (٧) وأخيراً الشُّركة مع المسيح التي تجعله لا ينفصل عن الله.

التي جمعت في وحدة الإيمان الواحد، هؤلاء الذين تَمَّت رسامتهم، كما سبق الله فعينهم. عالماً ومن قبل إنشاء العالم، أنهم سيكونون أبراراً في جوهر وفكر واستعلان واحد، كحصيلة العهدين، بل حصيلة العهد الواحد في الأزمان المتعاقبة بإرادة الله، وبالربِّ الواحد [المتفرقات ١٧:٧].

[«أما أنتم فجنسٌ مختار، وكهنوت ملوكي». أما كوننا جنساً مختاراً بواسطة الله، فهذا واضح. أما قوله "ملوكي" فلأننا سنملك مع المسيح فيما له. وأما كوننا كهنة، فبسبب الصعيدة (الذبيحة) التي نقيمها بالصلوات بحسب التعليمات<sup>(١٢)</sup>، والتي بها نريح نفوساً، نقدّمها إلى الله] (شذرة ١)<sup>(١٣)</sup>.

[ملكي صادق ملك ساليمن، كاهن الله العلي، الذي قدّم خُبزاً وخبزاً مقدساً طعاماً، مثلاً للإفخارستيا] [المتفرقات ٤:٢٥].

[إن إشعياء النبي تطهر لسانه بجمرة النَّار، حتى يستطيع أن ينطق بالرؤيا. وكذلك نحن، يلزم أن نتطهر لا من جهة

١٢- وهي عبارة في غاية الأهمية، توضّح لنا الخسارة العلمية الفادحة، التي أصابتنا، بسبب ضياع كتاب "القوانين الكنسية" للعلامة كليمنديس الإسكندري. وهو الكتاب الذي يحوي كلَّ تعليمات وتقليد كنيسة الإسكندرية في هذا الوقت المبكر من تاريخها. وما يدعم أن كتاب القوانين الكنسية المذكور، كان يحوي تعليمات وتقليد الكنيسة آنذ، هو ما يقوله العلامة كليمنديس الإسكندري: [هؤلاء الهراطقة الذين هجروا الكنيسة الأولى، يستخدمون الخبز والماء في الصعيدة وليس حسب قانون الكنيسة  $\mu\eta$  κατά τὸν κανόνα τῆς ἐκκλησίας لأنهم يقيمون الإفخارستيا بماء فقط] [المتفرقات ١:١٩].

13- ANF II, p. 572.

اللِّسان فقط، بل والآذان أيضاً، إذا أردنا أن نكون شركاء في معرفة الحق] (المتفرقات ١:١٤).

ومن كتاباته أيضاً ترد إلينا أوَّل إشارة عن طريقة ممارسة القُبلة المقدَّسة في القدَّاس الإلهي. وأيضاً عن الوقت الذي بدأت تتحوَّل فيه هذه القُبلة من التَّقبيل بالفم للفم، إلى المصافحة باليد فقط. فيقول:

[يوجد آخرون لا عمل لهم إلا أن يجعلوا الكنيسة يتردَّد في أصداؤها صوت القُبلة، وهم ليس فيهم الحُبَّة ذاتها. لذلك صار استخدام القُبلة شيئاً مخجلاً (في الكنيسة) مع أنها ينبغي أن تُفهم على مستوى سرِّي. فالرَّسول يدعو القُبلة "مقدَّسة" (المربي ٣:١٢).

وعن نظام الصَّلَاة في الكنيسة في أيامه، وانسجام التَّسبيح فيها، لكي يرتاح الحق - الذي هو الله - في الكنيسة. فيتقبَّل صلواتنا بسرور. يقول:

[حينما يتَّحد الكثيرون ويصيرون واحداً، حيث أصنافهم وأصواتهم المتعدِّدة يخرج منها بالانسجام الإلهي سيمفونية واحدة، يقودها قائد الخورس والمُعَلِّم، فتبلغ الكلمة غايتها، ويرتاح الحق فيها. فينطق أولاد الله بالحق: يا أبا الآب. ويتقبَّلها الله بسرور ونعمة، كباكورات أثمار يتقبَّلها منهم] (دعوة إلى اليونانيين ٩).

[المذبح الذي معنا ههنا على الأرض، يتكوَّن من جماعة الذين يتكرَّسون للصلوات، ويعطون أصواتهم بانسجام، كما من فم واحد] (المتفرقات ٧:٦).

ويتكلم عن الهدف من اجتماع المؤمنين معاً في الكنيسة. ومزج الخمر بالماء في القداس، والغاية من تناول من الأسرار المقدسة، فيقول:

[نحن نشرب دم المسيح، لكي نكون شركاء في عدم الموت الذي للرّب. وكما أنّ الرّوح هو الفعّال بالنّسبة للكلمة، كذلك الدّم بالنّسبة للجسد (يوحنا ٦: ٦٣) ... وكما يُمزج الخمر بالماء، كذلك يكون الرّوح في الإنسان. ومزيجُ الخمر والماء يغذّي الإيمان. وأمّا الرّوح فإنه يقود إلى عدم الموت. والاثنان، الشّراب والكلمة (أي دم ابن الله الكلمة) هما الإفخارستيا، تلك النّعمة الفائقة الجيدة، تلك التي كلّ المتناولين منها بإيمان، يتقدّسون بالجسد والرّوح] (المرّي ٢: ٢).

[حينما يتقدّس الخبز بقوة اسم الله، فهو ليس كما كان، ولكنّه يتغيّر بالقوّة إلى قوّة روحانيّة]<sup>(١٤)</sup>.

[لقد بارك المسيح الخمر قائلاً: خذوا اشربوا هذا دمي. هذه إشارة أيضاً إلى الكلمة اللّوغوس الذي انسكب للكثيرين لمغفرة الخطايا، ثمّ مقدّساً للبهجة] (المرّي ٢: ٢).

[إنّ دم كرمة داود، معناه السّري، دمّ المسيح] (مقال له

14- Excerpta ex Theodoto 4.82.1

هنا يتضح لنا أنّ الاستدعاء في القداس الإلهي، هو استدعاء الاسم، أي اسم الله. والذي انحصر في أقتوم الابن كما عند البابا أناسيوس الرسولي، وصديقه القديس سرايون أسقف تمويس. ثم تركّز الاستدعاء على أقتوم الرّوح القدس بدءاً من القرن الرابع الميلادي.

بعنوان: من هو الغني الذي سيخلص؟ (٢٩).

ويخاطب العلامة كليمنس النفس البشرية بلسان المسيح، فيقول:  
[أنا الذي أغذيك، أعطي نفسي طعاماً لك. والذي يذوقني لا  
يذوق الموت بعد. وأعطي نفسي لك شراباً كل يوم، كدواء  
لعدم الموت] (مقال له بعنوان: من هو الغني الذي سيخلص؟ ٢٣).

ويتحدث أيضاً عن طقس التناول من الأسرار المقدسة، فيقول:  
[قد تتحتم في قسمة وتوزيع الإفخارستيا، أن كل واحد من  
الشعب، يأخذ نصيبه لنفسه حسب العادة (ὡς ἕθος  
المتفرقات ١:١).

ويصلنا من العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) أقدم إشارة  
عن التسييح بالمزمور المائة والخمسين في كنيسة الإسكندرية. وأيضاً التقليد  
القديم المستقر في الكنيسة بعدم استخدام الآلات الموسيقية أثناء الصلاة.  
فيقول في ذلك:

[سبحوه بصوت البوق. لأنه بصوت البوق سوف يدعو  
الراقدين إلى القيامة. سبحوه بالزمار. أي اللسان الذي هو  
مزمارة الرب. سبحوه بالقيثارة. وهي الفم حينما يحركه الروح  
القدس كالوتر. سبحوه بطبول ورقص. يشير إلى الكنيسة التي  
تأمل القيامة من بين الأموات، من خلال وقع الضرب على  
الجلد (الميت). سبحوه بالأوتار والأرغن. فالأرغن هو الجسد،  
وأعصابه هي الأوتار، التي حينما تتقبل الانتعاش بانسجام  
الروح القدس، يوقع عليها الأصوات البشرية. سبحوه بصنوج  
حسنة الصوت. فهو يشير إلى الشفتين في الفم، حينما يوقع

عليهما النعمات. كل نسمة فلتسبِّح اسم الرب. هنا يدعو البشرية كلها إلى أن تُسبِّح، لأنه يعتني بكل مخلوق يتنفس. والإنسان هو حقاً آلة السَّلام] (المرثي ٤:٢).

[ولكن لأن الأجناس، كل جنس، يستخدم آلة من هذه الآلات لإعلان الحرب، ولا توجد إلا آلة واحدة للسَّلام، وهي الكلمة التي بها تُكرم الله ونمجِّده، فلذلك لا نستخدم إلا الكلمة وحدها. فنحن لا نستخدم البوق أو المزمار أو الطبل أو الصُّفارة التي يستخدمها المختصُّون في الحروب، ... وفي حفلاتهم] (المرثي ٤:٢).

[أليست القيثارة ذات العشرة أوتار، هي إشارة لكلمة يسوع؟] (المرثي ٤:٢) (١٥).

[وكما أنه لائق أن نبارك الخالق قبل أن نتناول الطَّعام، كذلك وعند الشُّرب، مناسب أن نشكره ونسبِّحه، لأننا نتناول من خليقته. والمزمور هو الوساطة الرزنية، والحسنة التَّعم، لتقديم البركة (الله). لذلك يسميه الرَّسول "أغاني روحية"] (المرثي ٤:٢).

ويُعَدُّ العلامة كليمنديس الإسكندري هو أوَّل من أشار إلى ممارسة صوم الأربعاء والجمعة في كنيسة الإسكندرية. كما يتحدَّث عن حفظ يوم الرب، لأنه يوم القيامة. فيقول في ذلك:

[الإنسان الروحي) يُدرك سرَّ صيام اليومين: الأربعاء

١٥- اسم يسوع في اليونانية يتدئ بحرف اليوتا، وهو الحرف العاشر في الأبجدية اليونانية.

والجمعة ... ويحفظُ يوم الرَّبِّ، ممجّداً قيامة الرَّبِّ في قلبه ...  
 طاهراً دائماً باستعداد الصّلاة. يُصلّي مع جوقة الملائكة، لأنّه  
 قد صار في رُتبهم، ودائماً محفوظٌ بعنايتهم ... وعندما يُصلّي  
 بمفرده لا يكون وحده، وإنما تكون صفوف القديسين واقفين  
 معه ... صلّاته تكون شكراً على ما فات، وشكراً على الحاضر،  
 وشكراً على الآتي ... مقدّماً الشُّكر لله دائماً أبداً على مثال ما  
 قاله إشعياء بخصوص تسبيح الحيوانات [المتفرقات ١٢:٧].

ويشير العلامة كليمنس الإسكندري إلى وقت إقامة الأسرار  
 الكنسيّة، بأنه يكون في الليل، ويعلّل ذلك بقوله:

[إنَّ الأسرار تُقام في أغلب الأوقات ليلاً، إشارة إلى مناسبة  
 انطلاق النَّفس من الجسد التي تحدّث ليلاً] (المتفرقات ٤: ٢٢).

وتصلنا من العلامة كليمنس الإسكندري أقدم إشارة عن ضرورة  
 الصّلاة شرقاً<sup>(١٦)</sup>، معللاً ذلك بقوله:

١٦- في ذلك يقول البابا أثناسيوس الرّسولي (٣٢٨-٣٧٣م):  
 [إذا سألت المسيحي، لماذا يُصلّي ناحية الشّرق؟ فيكون الجواب بالنّسبة له كالآتي: لأننا  
 ننظر ناحية الفردوس، متوسّلين إلى الله أن يرُدّنا إلى وطننا الأوّل الذي خرجنا منه.  
 أمّا إذا كان السّائل رجلاً وثنياً، فيكون الجواب بالنّسبة له كالآتي: لأنّ الله هو  
 النّور الحقيقي. لذلك فحينما نتّجه ناحية مصدر النّور المخلوق، نعبّد خالق هذا النّور.  
 أمّا إذا كان السّائل رجلاً يهودياً، فيكون الجواب بالنّسبة له كالآتي: لأنّ السّروح  
 القُدس قال بواسطة داود (مزمو ١٣٢: ٧): «اسجدوا ناحية موطئ قدميه». أي  
 ناحية ميلاد الرَّبِّ، المكان الذي عاش فيه وصلّب وقُبر وقام ثانية وصعد إلى  
 السّموات ناحية المشارق (مزمو ٦٨: ٣٤ سبعمينيّة)].

PG XXVIII, 620.

مُقتبس من: الأب متى المسكين، مرجع سابق، ص ٤٨٩

[يصلون في اتجاه الشرق، لأنَّ الشَّرْق هو رمزُ ميلادنا، لأنَّ  
منه يخرج النُّور مُشرقاً من الظُّلْمَة. وكذلك يوم المعرفة الحقيقيَّة  
يُشرق مثل الشَّمْس على المدفونين في الجهالة] (المنفردات ٧:٧).

### إشارات ليتورجية في سيرة الأنبا ديمتريوس الكرَّام (١٨٩-٢٣١م)

ترد إلينا إشارات ليتورجية في أواخر هذا القرن، من سيرة الأنبا  
ديمتريوس الكرَّام (١٨٩-٢٣١م) فنقرأ في سيرته ما يلي:

”وكان الشَّعبُ يحبُّ هذا البطرك، ويقولون إنه الثَّاني عشر من  
مرقس البشير، وكلُّهم غير متزوِّجين إلَّا هذا، وكانوا يحسرون عليه.  
وكان له موهبة من الله، وذلك أنه كان إذا أكمل القُدَّاس، ومن قبل أن  
يُقرب أحداً من الشَّعب، ينظر السيِّد المسيح يدفع القُربان بيده. فإذا تقدَّم  
إنسان لا يستحق أن يتناول السَّرائر، أظهر له السيِّد المسيح ذنبه، فلا  
يُقربه، فيعرِّفه سبب فعله ويعترف بخطيئته ويؤنِّبه عليها ...

وكان بعض النَّاس يقولون هذا رَجُلٌ متزوِّج، فكيف يوبِّخنا، وقد  
وصم هذا الكرسي، لأنه ما كان يجلس عليه إلى اليوم إلَّا بتول. وكان  
بعض النَّاس يقول ما هذا شيء ينقصه، لأنَّ التزوِّج طاهر نقي قُدَّام الله.  
فأراد الله أن يُظهر فضائله ... فلما كان بالغداة يوم عيد العنصرة، قدَّس  
البطرك، وأمر رئيس الشَّمامسة أن يُعلم الكهنة والشَّعب أن لا يخرجوا  
من البيعة، بل يجتمعوا عند الكرسي ... فلما جلسوا، أمر أن يجمع الإخوة  
حطباً كثيراً، ففعلوا ذلك وهم متعجبون قائلين: ماذا يصنع البطرك؟ فقال  
لهم: قوموا نُصلِّي، فصلوا وجلسوا، فقال لهم: أنا أطلب من محبَّتكم أن تحضر  
زوجتي تأخذ بركتكم، فعجبوا وقالوا في قلوبهم إيش هذا الفعل؟ ...



فجاءت المرأة القديسة ووقفت في وسط الإخوة، وقام زوجها البطرك بحيث يشاهده جميعهم، ووقف على جمر النار وهي تتقد، وفرش بلاريتها، وأخذ بيده جمرًا من النار، وجعلها فيها، فشخص جميعهم من كثرة الجمر التي في البلارية ولم تحترق. ثم قال لزوجته: افرشي بليتك الصوف الذي عليك، ففرشته. وأقلب الأب البطرك تلك الجمرة فيه، وهي قائمة، ورفع في النار بخوراً، وأمرها أن تبخر جميعهم ففعلت كذلك. هذا كله، ولم يحترق البلين ...

قال لهم البطرك: ... لي منذ تزوجتها ثمان وأربعون سنة، ونحن ننام على سرير واحد، وفراش واحد، وغطاء واحد علينا جميعنا، والرّب الذي يعلم ويدين الأحياء والأموات، هو العارف بخفايا القلوب، وهو يعلم أنني ما علمت قط أنها امرأة، ولا علمت هي أيضاً أنني رجُل، بل بعضنا ينظر وجه بعض فقط، ومرقّد واحد يجمعنا، ومضجع هذا العالم ما عرفناه قط بالجملة. وإذا نمنا جميعاً، ننظرُ شخصاً كالنسر، يأتي طائراً، يحطّ على مرقدنا فيما بيني وبينها، فيجعل جناحه الأيمن عليّ، وجناحه الأيسر عليها، إلى الصّباح يروّح، ونحن ننظره حتى يغيب ... الخ“.

فمن هذه السيرة المقدسة، نتعرّف على بعض ملامح ليتورجية في كنيسة الإسكندرية، وهي:

- المبدأ العام هو أنّ الأسقف في الكنيسة يلزم أن يكون بتولاً.
- التوبة والاعتراف يسبقان التناول من الأسرار المقدسة.
- عيد العنصرة من أقدم الأعياد التي عرفتها الكنيسة.
- رتبة رئيس الشمامسة، رتبة واضحة المعالم في كنيسة الإسكندرية.
- وجود مادة البخور في الكنيسة. ممّا يرجّح معه بدء استخدام البخور كمادة، في الصلوات الليتورجية، مع نهاية القرن الثاني الميلادي.

## العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م)

وقبل أن ينصرم هذا القرن، وفي سنة ١٨٥م، وُلد العلامة الشهير أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م)، أكبر عالم كنسي عرفته الكنيسة المسيحية شرقاً وغرباً عبر كل تاريخها وحتى اليوم. فقد وُلدت معه عبقرية المعرفة، وتكريم الوصية، وعمق التأمل، وشدة التّشوّف، والسُّلوك المستقيم، وحُب الاستشهاد، ليحتل بكتاباته الغزيرة مركز الصّدارة في القرن الثالث الميلادي. وقد قال عنه كوasten Quasten: "هو أكبر المفكرين المسيحيين أصالة في العالم منذ نشأة الكنيسة وحتى الآن". ولنا عودة للحديث عنه كأبرز شخصيّة في القرن الثالث الميلادي، وعلاقته بمدرسة الإسكندرية.

### في الختام

إنّ صمت التّاريخ عن جلائل الأمور في هذه الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة القبطية، ولاسيما القرن الأوّل للميلاد، والنّصف الأوّل من القرن الثّاني، يُشيع فينا رهبة ونزوحاً إلى التّأمّل الخاشع. كيف استطاعت تلك الكنيسة الغضة النّاشئة، أن تصمّد أمام أعظم مدرسة فلسفية وثنية؟ بل وأمام فلسفات مسيحية عاتية، كالغنوسية وغيرها؟ بل وأمام معابد وهيكل وثنية، رعت دين أجداد، امتدت جذوره إلى خمسة آلاف سنة خلت؟ إنها كنيسة الإسكندرية، ومدرستها اللاهوتية، التي لم تقو عليها إمبراطوريات عاتية، فارسية كانت أم يونانية أم رومانية. لأنها تمسّكت بصليب المسيح ملاذاً لها، فأظهر المصلوب بضعف الصّليب، ما هو أعظم من القوّة. ولأنها لم تخلط بين الرّعاية الكهنوتية، والدّراسة الأكاديمية اللاهوتية، المتطوّرة دوماً، والسّاعية وراء الحق، الذي هو المسيح له المجد.

الباب الثالث

القرن الثالث الميلادي



الفصل الأوّل

أبرز شخصيّات القرن الثالث الميلادي  
وحدّث عن مدرسة الإسكندريّة

## العلامة أوريجانوس

مع دخول القرن الثالث الميلادي على كنيسة مصر، بزغ نور عملاق من عمالقة الكنيسة الجامعة، وأكبر عقليّة أنجبتها المسيحيّة على الإطلاق، وهو العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م).

فقد وُلد أوريجانوس سنة ١٨٥م. وأصله أبوه ليونيدس في دراسة الأسفار المقدّسة وحفظها عن ظهر قلب، وفي العلوم اليونانيّة أيضاً. وذلك قبل أن ينال أبوه إكليل الشّهادة سنة ٢٠٢م. فإلى هذا الأب الفاضل يعود نبوغ أوريجانوس وتفوّقه.

وإنّ ما يلفت نظرنا في هذه السيرة، هو ما دوّنه يوسابيوس القيصري (٢٦٤-٣٤٠م) عن العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م)، فيقول: "إنه بعد أن صودرت ممتلكات أبيه لحساب الخزانة الحكوميّة، دبّرت العناية الإلهيّة أن تعتنى به امرأة غنية جداً، كانت قد تبنت شخصاً هرطوقياً اسمه بولس من مواليد أنطاكية". ثمّ يقول يوسابيوس: "ورغم أن أوريجانوس كانت تُلزمه الضّرورة أن يختلط به، فإنه من ذلك الوقت فصاعداً، قدّم دلائل قويّة على رسوخ قدمه في الإيمان. لأنه بسبب مقدرة بولس - وهذا هو اسم الرّجل - في المناقشة، كان تأتيه جموعٌ كثيرة، ليس من الهراطقة فقط، بل أيضاً من شعبنا. ورغم ذلك، فلم يُعوّ أوريجانوس قط للاشتراك معه في الصلّاة، لأنه تمسك بقوانين الكنيسة، رغم أنه كان ولدًا وأبغض

— على حد تعبيره — تعاليم المهرطقة“<sup>(١)</sup>.

أما باقي سيرة حياته، فتجدها في ثنايا السطور التالية من هذا الفصل.

### مدرسة الإسكندرية الوثنية

حازت الإسكندرية شهرة واسعة منذ القديم، كمركز للعلم<sup>(٢)</sup>. فمتحف الإسكندرية الذي شُيد في العصر البطلمي (٣٢٣-٣٣٠ ق.م)<sup>(٣)</sup>، صار مركزاً أكاديمياً عملاقاً للبحث، ونادياً فكرياً للصفوة. وحتى بعض الأباطرة الرومان مثل الإمبراطور كلوديوس Claudius والإمبراطور أديان Hadrian كانوا يفتنون إليه لإلقاء المحاضرات، ويشاركون في المناظرات التي تُقام فيه. وبالقرب من المتحف، وفي نفس الزمن تقريباً، تم تشييد مكتبة الإسكندرية الكبرى، لتخدم رواد المتحف. وبالمقارنة مع المكتبات الأخرى في هذه العصور القديمة، كانت مكتبة الإسكندرية مذهلة في اتساعها، وأعداد المراجع المحفوظة بها، إذ ذكر بعض الكتاب القدامى أنها كانت تحوي ما بين أربع مائة ألف وسبع مائة ألف من لفائف البردي. وإن كانت الإحصائيات الحديثة ترى أن هذا الرقم مبالغاً فيه، وأن المكتبة لم تكن تحوي سوى عشرات الآلاف من البرديات فحسب، إلا أن ذلك لا يقلل من حقيقة أن مكتبة الإسكندرية القديمة كانت بكل المقاييس

١- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١٤:٢:٦).

2- Alan K. Bowman, *Egypt After the Pharaohs: (332 B.C. - 642 A.D.)*, Berkeley: University of California Press, 1986, p. 223-233.

٣- كان لبطليموس الأول، الفضل في إنشائه. ولبت يتخرج منه العلماء المجتهدون مدة تسعة أجيال أي من سنة ٣٢٣ ق.م إلى سنة ٦٤٠ ب.م. وكانت تُدرس فيه — فضلاً عن الفلسفة — الطب والكيمياء والطبيعة والحساب والهندسة والفلك والجغرافيا والموسيقى والتاريخ واللغة... الخ. ومن مآثر هذه المدرسة الوثنية، ترجمة التوراة من العبرية إلى اليونانية، وهي الترجمة المعروفة بالسبعينية.

أعجوبة زمانها<sup>(٤)</sup>). ونظراً لاتساع حجم المكتبة، فقد تم إقامة فرع آخر لها في مكان آخر بالمدينة، في السرايوم Serapeum ، وفيه المعبد الذي كرس للإله سرايس Serapis وهو من أشهر آلهة المصريين. واليوم فإن زوار بقايا السرايوم يمكنهم رؤية الطاقات الكثيرة الموجودة في الحائط القديم الموجود حتى اليوم، والتي ربما كانت تُستخدم لوضع الكتب بها<sup>(٥)</sup>.

لقد تمتعت الإسكندرية، وإلى زمن طويل، بشهرتها العالمية كمركز يند إليه العلماء لطلب الآداب والعلوم. واشتهر من بين هؤلاء العلماء كالماكوس Callimachus وأبولونيوس Apollonius الذي من رودس Rhodes في مجال الشعر. وإقليدس Euclid وأرشميدس Archimedes وغيرهما<sup>(٦)</sup> في مجالات الحساب والطبيعة والميكانيكا والجغرافيا والطب. ومع نهاية العصر البطلمي انحصر العلم في المتحف في العلوم الفلسفية، وورثت مدرسة الإسكندرية الوثنية، الفلسفة، عن أئتنا وحلت محلها. وخلال الفترة من القرن الأول الميلادي وحتى الثاني الميلادي، أصبحت الفلسفة الأفلاطونية منتشرة وشائعة في كلا الدوائر الفكرية والشعبية على حد سواء. وهذه الروح الفلسفية صار لها تأثير عميق على اللاهوتيين المسيحيين الذين عاشوا وعملوا في الإسكندرية.

4. Roger S. Bagnall, *Alexandria: Library of Dreams, Proceeding of the American Philosophical Society* 146.4 (2002), p. 348-362, 351-356.

Cited by, Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 188, n. 2

٥- عن دراسات حديثة لمكتبة الإسكندرية الكبرى، وأهميتها في عصورها القديمة،

انظر المرجع التالي:

Roy Macjeod, ed., *The Library of Alexandria* (Cairo: The American University in Cairo Press, 2002).

٦- مثل Eratosthenes و Herophilus .



## مدرسة الموعوظين في الإسكندرية

ومن ثم فقد كان على المسيحيين الذين يعيشون في الإسكندرية، والذين نشأوا في ظل مكتبة الإسكندرية، والعلوم الفلسفية، كان عليهم، وبسرعة، أن يطوروا معاهد التعليم الخاصة بهم. وفي الحقيقة، فإنه في العصور القديمة، قد اشتهرت بالفعل كنيسة الإسكندرية من خلال معهدها اللاهوتي، والذي اشتهر باسم "مدرسة الموعوظين - Catechetical school"، وأيضاً بسبب الثقافة الرفيعة لمعلميها الذين برعوا في شرح أسفار الكتاب المقدس، وفي العلوم الفلسفية أيضاً<sup>(٧)</sup>.

وهكذا صارت مدرسة الإسكندرية المسيحية، أول مدرسة لاهوتية في العالم المسيحي قاطبة، تُدرّس فيها العلوم الدينية، إلى جانب العلوم الدنيوية أيضاً، كالطب والهندسة والموسيقى والفنون والرياضيات والفلسفة، لكي تنافس مدرسة الإسكندرية الوثنية، التي ورثت الفلسفة عن أثينا وحلت محلها.

أمّا عن الجذور الأولى لنشأة مدرسة الموعوظين في الإسكندرية، فإنه من الصعب استيضاحها بشكل قاطع. ولكن يوسابيوس القيصري (٢٦٤-٣٤٠م) حين كان يورد قائمة بأسماء أساقفة كنيسة الإسكندرية، حاول أن يورد أسماء المديرين الأوائل لهذه المدرسة، فأورد ثلاثة منهم، وهم: بنتينوس<sup>(٨)</sup> Pantaeus وكليمنس<sup>(٩)</sup> Clement وأوريجانوس Origen كمؤسسين أوائل لهذا المعهد الأكاديمي.

7- Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 23.

٨- انظر الحديث عنه في (ص ١٠٦) من هذا الكتاب.

٩- انظر الحديث عنه في (ص ١٠٨) من هذا الكتاب.

وبرغم أن يوسايبوس يذكر بنتينوس كأول مدير لمدرسة الموعوظين في الإسكندرية، إلا أنه يتضح من كلامه أن المدرسة كانت قائمة بالفعل قبل أن يصبح بنتينوس مديراً لها. وفي ذلك يقول يوسايبوس: "ونحو هذا الوقت، عُهد إلى بنتينوس - وهو شخصٌ بارزٌ جداً بسبب علمه - إدارة مدرسة المؤمنين في الإسكندرية، إذ كانت قد أنشئت بها منذ الأزمنة القديمة مدرسة للتعاليم المقدسة، ولا زالت حتى يومنا هذا، وكان يديرها - كما وصل إلى علمنا - رجالٌ في غاية المقدره والغيرة نحو الإلهيات. وقيل إنه برز من بينهم في ذلك الوقت بنتينوس، لأنه تهذب بفلسفة الرواقيين Stoicism ... الخ<sup>(١)</sup>.

أمّا عن بنتينوس نفسه، فلا نعرف عنه سوى القليل. وقد وصفه يوسايبوس بأنه فيلسوف لاهوتي، تهذب بالفلسفة الرواقية. أمّا تراثه، كمدير لمدرسة الموعوظين، فكان يحوي مجموعة كتابات، ولكنها فقدت كلها. ومن بين تلاميذ بنتينوس، ظهر العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠- ٢١٥م)، والذي يذكر أنه مدين في كتاباته، لمعلمه بنتينوس، والذي أصبح - طبقاً ليوسايبوس - مديراً لمدرسة الموعوظين بعد موت بنتينوس<sup>(١١)</sup>. وأخيراً، وفي سنة ٢٠٢م، فإن أوريجانوس الذي يذكر عنه يوسايبوس أنه واحداً من تلاميذ كليمنس، أصبح المدير الثالث لمدرسة الإسكندرية، حينما غادر كليمنس الإسكندرية أثناء اضطهاد سبتيميوس ساويرس<sup>(١٢)</sup>.

وفي الحقيقة فإن العلاقة التاريخية التي تربط بين بنتينوس وكليمنس وأوريجانوس ليست بالبساطة التي يصفها يوسايبوس. فالملفت للنظر هو أن

١٠- يوسايبوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١:١٠٠:٥)، ص ٢٥٦، ٢٥٧.

11- Clement, *Stromata* I, 1, 31-38; Eusebius, *HE* 5.11; 6.6.

١٢- يوسايبوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٦:٦)، (٣:٦).

أوريجانوس نفسه، لم يذكر كليمنس بالاسم ولا مرة واحدة في أي من كتاباته الموجود لدينا. في حين أنه يذكر بنتينوس، في إحدى رسائله التي وصلتنا عن طريق يوسابيوس القيصري، كما سبق القول<sup>(١٣)</sup>.

ولقد جرت محاولات متعدّدة لكشف غموض هذا الأمر، أي صمت أوريجانوس عن ذكر كليمنس في كتاباته. وقيل في ذلك، إنه ربما بسبب عدم موافقة أوريجانوس على استخدام كليمنس لاصطلاح "الغنوسي" في كتاباته<sup>(١٤)</sup>. أو ربما بسبب عدم رغبة أوريجانوس في الانحياز لإكليمنس بخصوص ما يقوله في غير صالح ديمتريوس أسقف الإسكندرية<sup>(١٥)</sup>. أو ربما لوجهات النظر المتباينة بينهما بخصوص موضوع الاستشهاد، إذ أن هرّوب كليمنس من اضطهاد سبتيميوس ساويرس، لم يجد قبولاً لدى أوريجانوس

١٣- يقول أوريجانوس عن نفسه حينما أراد أن يدرس العلوم اليونانية، ولاسيما الفلسفة: "عندما كرس نفسي للدرس، وذاعت في الخارج شهرتي عن كفايتي، وعندما أتى إلى هرّاطقة وأشخاص شغوفون بالعلوم اليونانية، لاسيما بالفلسفة، بدا لي أنه من الضروري أن أفحص تعاليم هرّاطقة. وأقف على ما يقوله الفلاسفة عن الحق. وفي هذا اقتفينا آثار بنتينوس الذي أفاد الكثيرين قبل عصرنا، بسبب استعداده الكامل في هذه الأمور. وأيضاً هيراكلاس أحد قسوس الإسكندرية الآن. لقد وجدته مع معلم الفلسفة الذي لبث معه خمس سنوات قبل أن بدأت استمع إلى أية محاضرات عن تلك المواضيع".

يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١٤:١٢:١٩:٦).  
أما عن "هيراكلاس"، فهو من أقدّر تلاميذ أوريجانوس. وكان قد أشركه معه في التعلّم لما تزايد عليه هذا العبء. وقد ازدادت شهرته العلمية جداً، حتى أن يوليوس أفريكانوس ذهب إلى الإسكندرية ليراه. وفي سنة ٢٣١م، لما غادر أوريجانوس الإسكندرية، أوكل إليه إدارة مدرستها. وبعد سنة واحدة خلف ديمتريوس في أسقفية الإسكندرية، وخلفه ديونيسيوس في إدارة المدرسة.

14- Cf. Henri Crouzel, *Origen*, trans. A.S. Worrell, Edinburgh: T & T. Clark, 1989, 7.

15- Pierre Nautin, *Origène: Sa vie et son œuvre*, Paris: Beauchesne, 1977.

المعروف برغبته في الاستشهاد، وتثبته للمحبوسين أثناء فترة الاضطهاد، بل ومرافقتهم في مراحل حياتهم الأخيرة، حتى يكملوا شهادتهم<sup>(١٦)</sup>.

وعلى أيِّ الحالات، فإنَّ صمت كتابات أوريجانوس عن سلفه كليمنس، قد أثار بعض التساؤلات عن رواية يوسابيوس، وما إذا كانت قد أوردت التسلسل الفعلي لمديري مدرسة الموغوظين بالإسكندرية<sup>(١٧)</sup>.

وعندما بلغ أوريجانوس من العمر ثماني عشرة سنة، أوكل إليه أسقف الإسكندرية ديمتريوس الكرام إدارة مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، بعد أن اضطرَّ مديرها العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) للهرب إلى فلسطين، من جراء اضطهاد سبتيميوس ساويرس (١٩٣ - ٢١١م).

عاش أوريجانوس حياة التُّسك، ساهراً الليالي الطويلة في دراسة الأسفار الإلهية. واستمر يُعلِّم الإلهيات في الإسكندرية ليلاً ونهاراً، لكلِّ من يأتي إليه، مكرِّساً كلَّ أوقات فراغه بلا انقطاع للدراسات الدنيوية، ولتعليم تلاميذه<sup>(١٨)</sup>. بل إنَّ عدداً غير قليل من أبرز الفلاسفة، تلقوا التعليم على يديه، لا في الأمور الدنيوية فحسب، بل وأيضاً في الفلسفة العالمية<sup>(١٩)</sup>. إذ

١٦- كان أوَّل تلاميذ أوريجانوس الذين استشهدوا هو بلوتارخوس، الذي رافقه أوريجانوس حتى النهاية. وأيضاً سيرينوس الشهيد الثاني بين تلاميذ أوريجانوس. والثالث هو هيراكليدس، والرابع هيرو. ومن بين النساء، هيريس وبوتامينا... الخ انظر: يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١:٤:٦-٣)، (١:٥:٦).

Cf. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 23.

17- Roelof van den Broek, *The Christian School of Alexandria in the Second and Third Centuries, in Centers of Learning: Learning and Location in Pre-Modern Europe and the Near East*, ed. J.W. Drijvers and A.A. MacDonald, Leiden, 1995, p. 39-47.

١٨- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٦:٨:٦).

١٩- نفس المرجع، (٦:١٨:٢).

كان أوريجانوس نفسه يؤمن أنه من الضروري أن ينبغ هو في العلوم العالمية والفلسفية، لأنها ضرورات تعينه كثيراً على دراسة الأسفار الإلهية وفهمها، وهو الهدف الذي كرّس حياته لأجله.

وكم كان يتفق سلوكه مع تعليمه. ومن أجل تقواه، دفع كثيرين من الوثنيين إلى قبول المسيحية، واقتدى تلاميذه وتلميذاته بغيرته. وكان منهم من نال كرامة الاستشهاد. وهكذا قدّم أوريجانوس معلّمين أقياء للكنيسة، وقدّيسين أبراراً للسماء.

وفي حوالي سنة ٢٢١م أو بعدها بقليل، أرسلت "ماميا" أم الإمبراطور الروماني الإسكندر - وكانت وقتها في أنطاكية - أرسلت إلى أوريجانوس لاستدعائه، فذهب أوريجانوس إلى أنطاكية. "وبعد أن لبث معها بعض الوقت، بين لها فيه أشياء كثيرة لمجد الرب، ورفعته التعاليم الروحية، أسرع في العودة إلى عمله العادي" (٢٠).

لقد أثير موضوع على نحو مقنع تماماً، هو أنه قبل أوريجانوس، لم يكن هناك في كنيسة الإسكندرية تعليم لاهوتي أكاديمي أو منهجي. بل كانت المدرسة هي مجرد "مدرسة فكرية - School of thought"، ولكن بعد أن قام ديمتريوس أسقف الإسكندرية بتعيين العلامة أوريجانوس مسئولاً عن "تعليم الإيمان - elementary instruction"، صار هذا التعليم ذات صفة كنسية رسمية (٢١). ولكن قبل ذلك، كان التعليم في الكنيسة يجتذب مجموعات صغيرة من المسيحيين الراغبين في دراسة العلوم الفلسفية. وفي هذا السياق، فإن إشارة يوسابيوس إلى بنتينوس وكليمنس

٢٠ - نفس المرجع، (٤:٢١:٦).

٢١ - نفس المرجع، (٨:٣:٦).

ربما يعكس رؤيته العامة عن شكل التقاليد القديمة للتعليم الكنسي، كتعليم لم يأخذ شكلاً منظماً رسمياً، وهو ما صار معروفاً في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي.

وعلى أيّ الحالات، وبغض النظر عن وقت تأسيس مدرسة الموغوظين، سواء كان ذلك في وقت أوريجانوس أو في مرحلة سابقة له. فإنه من الواضح أنّ قيام ديمتريوس بتعيين أوريجانوس مديراً للمدرسة، كانت بداية حاسمة ومهمة لاضطلاع أساقفة الإسكندرية بتنظيم وضبط خدمة التعليم الكنسي. ويذكر يوسابيوس أنّه قبل أوريجانوس "لم يوجد في الإسكندرية من يُعلم الإيمان. لأنّ الجميع كانوا قد تشبّثوا بسبب الاضطهاد" (٢٢).

ويبدو أنّ أوريجانوس كان قد أدرك هذا الاحتياج حتى قبل تعيينه معلماً للإيمان في مدرسة الإسكندرية. حيث يجربنا يوسابيوس أنّ أوريجانوس كان قد استدعي بواسطة بعض الوثنيين الذين سمعوا عن "كلمة الله"، وقد بدأ أوريجانوس في تعليمهم الإيمان، ولكنّها كانت مبادرة شخصية منه. وعلى ذلك فإنّ تعيين ديمتريوس أسقف الإسكندرية لأوريجانوس - سواء كان ذلك تأسيساً لمدرسة رسمية، أو إعادة هيكلة لمدرسة قائمة - يكتسب دلالة ومعنى جديداً. ومما لا شك فيه، أنّ إقدام ديمتريوس على هذه المبادرة كان بسبب احتياج الكنيسة إلى معلّمين لتعليم المقبلين إلى الإيمان، ولكنّها كانت محاولة أيضاً لوضع مدرسة الإسكندرية لتعليم الموغوظين تحت الإشراف المباشر للأسقف (٢٣).

٢٢ - نفس المرجع، (١:٣:٦).

٢٣ - نحو هذا الوقت، بينما كان أوريجانوس يقوم بتعليم الإيمان في الإسكندرية، أتى عملاً يدل على عقل لم ينضج بعد، وتفكير صياني، ولكنّه في نفس الوقت يعطي أعظم

وإن بسط الأنبا ديمتريوس لسُلطانه الأسقفى على خدمة التعليم الكنسي، صار سبباً للتوتر الذي نشأ بينه وبين العلامة أوريجانوس<sup>(٢٤)</sup>.

وقبل أن يصبح أوريجانوس مديراً لمدرسة الإسكندرية، تدرّب على أن يكون معلماً للأدب اليوناني، فجلس عند أقدام أمونيوس ساكاس Ammonius Saccas أحد أشهر معلمي الفلسفة اليونانية في الإسكندرية، في ذلك الوقت<sup>(٢٥)</sup>. وبعد أن صار مديراً لمدرسة الإسكندرية خلال الفترة من سنة ٢٠٢ إلى سنة ٢٣٤م، استثمر أوريجانوس كلّ معارفه اللغوية والفلسفية استثماراً صحيحاً، فألّف كماً ضخماً من الكتابات، كان من أبرزها تحقيق نصوص العهد القديم بمقارنة المخطوطات، وهو العمل المدعو "هكسابلا" Hexapla . وشروحات كتابية، على المزامير (١-٢٥)، والمراثي، والتكوين، وإنجيل يوحنا. وكتابه الشهير المعروف باسم "المبادئ" *On First Principles* ، والذي يحوي تأملاته، ودراسته المنهجية اللاهوتية<sup>(٢٦)</sup>. ولقد وجد أوريجانوس أن مجاله الخصب هو اضطلاع

برهان على الإيمان والعفة وضبط النفس. إذ أخصى أوريجانوس نفسه، منفذاً حرفياً الكلمات: «يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات». وذلك لكي يقطع كل فرصة يتخذها غير المؤمنين لإساءة الظن به، لأنه كان يلتقي بالرجال والنساء عند تدريس الإلهيات، بالرغم من حداثة سنه. ولما علم ديمتريوس أسقف الإسكندرية بهذا، أعجب جداً بالجرأة التي تجلّت في طبيعة تصرفه. وإذ أدرك غيرته وصدق إيمانه، قدّم إليه النصائح في الحال، وشجّع، وزاد في حثه، للاستمرار في تعليم الإيمان.

انظر: يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٦:١٠٨-٣).

24- Cf. J. Trigg, Origen: *The Bible and Philosophy in the Third-Century Church*, Atlanta, 1983, p. 12-14.

٢٥- يقول عنه يوسابيوس: "أبرز فيلسوف في عصرنا" (٦:١٩:٦). ويقول يوسابيوس عن أوريجانوس: "استفاد كثيراً من معلمه (أمونيوس) في معرفة العلوم. أمّا من ناحية اختيار طريق الحياة المستقيم، فقد سلك طريقاً عكس طريقه" (٦:١٩:٦).

٢٦- إنه بمعونة ومساندة أحد رهبان الدير الأحباء، والذي فضل ألا يُذكر اسمه،

مهمة "تعليم الإيمان" في مدرسة الإسكندرية.

بعد حوالي عشر أو اثني عشرة سنة من التدريس، مضى في زيارة إلى روما، في حبرية زفيرينوس لرغبته في أن يرى كنيسة روما القديمة جداً. وهناك استمع إلى عظة عن المخلص لهيبوليتس، الذي كان وقتها كاهناً في روما. ومنذ ذلك الوقت، نشأت بينهما صداقة. وكانت هذه الصداقة بين أوريجانوس المصري وهيبوليتس الروماني هي السبب المباشر - وربما الوحيد - وراء انتشار كتاب "التقليد الرسولي" لهيبوليتس في كنيسة مصر، عندما عاد به أوريجانوس إلى مصر، ليجد الكتاب قبولاً ورواجاً عظيمين، ولاسيما أن الكتاب قد دخل إلى الإسكندرية بواسطة أوريجانوس المكرّم بين شعب الكنيسة، كمعلم للتقوى والإيمان القويم.

وليس ذلك فحسب، بل إننا نصل إلى أبعد من ذلك، لأن دار الكتب التي أسسها الإسكندر أسقف أورشليم في هذه المدينة، كانت تحوي بشهادة يوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م) بعض الكتابات لهيبوليتس<sup>(٢٧)</sup>. ولست أجد صلة أو حلقة وصل بين مؤلفات هيبوليتس

---

ولكن ذكره محفوظ في السماء، حصرتُ حصراً دقيقاً - ولأول مرة في الشرق المسيحي كله - كل شاردة أو واردة من مؤلفات هذا العلامة العظيم التي وصلت إلينا، وذلك في كتاب بعنوان: "فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية - الكتابات اليونانية"، حيث احتلت عناوين مؤلفات العلامة أوريجانوس، وأهم المراجع التي أوردت نصوصها، حوالي ٨٠ صفحة من الكتاب المذكور.

وهي قليلة، تبقى لنا من كثير ضاع. فقد بلغت مؤلفاته الألفين بحسب رأي القديس جيروم (٣٤٢-٤٢٠م) (Haer 64 : 63). أو الستة آلاف كما يقول القديس إيفانوس (٣١٥-٤٠٣م) أسقف قبرص (Adv. Ruf. 2 : 22). وإن ما تبقى لنا قد وصل معظمه إلينا في ترجمة لاتينية للأصل اليوناني.

٢٧ - يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٢:٢٠:٦).



الرُّوماني ووجودها في أورشليم، سوى أوريجانوس صديق هيبوليتس،  
وصديق الإسكندر أسقف أورشليم في ذات الوقت.

إنَّ زيارة أوريجانوس لروما، كانت بدافع رغبة ملحّة أن يشاهد  
بنفسه كنيسة قديمة تأسّست بواسطة الرُّسل. وما هي هذه المعانيّة أو  
المشاهدة، سوى حضور صلوات الكنيسة اللّيتورجيّة. لأنّه من داخل  
اللّيتورجيا تُعرف الكنيسة. ويظنُّ أنه قضى بعض الوقت في أئينا عاصمة  
اليونان، لأنَّ يوسابيوس القيصري (٢٦٤-٣٤٠م) في تاريخه الكنسي يقول:  
”وإذ كان وقتئذ في أئينا، أكمل تفسيره لسفر حزقيال، وبدأ تفسيره لسفر  
نشيد الأنشاد، وصل فيه إلى الكتاب الخامس...“ (٢٨).

وإنَّ تنقُّل أوريجانوس بين روما والإسكندرية وأئينا وأورشليم وبلاد  
العرب وأنطاكية، وبقائه في كلِّ من هذه الأقطار فترة من الوقت، هو أمرٌ  
في غاية الأهميّة، لأنَّ شهرة الرُّجل وتقواه وعلمه، كانت ذا تأثير لا شك  
فيه، على كلِّ كنيسة من هذه الكنائس في هذه الفترة المبكّرة من تاريخ  
الكنيسة. ولاسيّما وهو يحمل في قلبه وضميره مسؤوليّة قيادة التعلّم في  
كنيسة الإسكندرية، وذلك قبل أن تنقسم الكنيسة إلى شرقيّة وغربيّة،  
لتتسع الهوة اللّيتورجيّة بين الشّرق والغرب شيئاً فشيئاً.

وهكذا عاد أوريجانوس مسرعاً إلى الإسكندرية بعد زيارة قصيرة  
لروما، متابعاً لعمله بغيره شديدة، إذ كان ديمتريوس أسقف الإسكندرية  
يحثّه، بل ويرجوه أن يعمل بجد من أجل منفعة الإخوة (٢٩).

٢٨- نفس المرجع، (٢:٣٢:٦).

٢٩- نفس المرجع، (١١:١٤:٦).

في هذا الوقت، استُدعي أوريجانوس ثلاث مرّات إلى بلاد العرب<sup>(٣٠)</sup> ليساعد في حل بعض المشكلات العقائدية. وكانت المرّة الثانية بسبب انحراف بيريلوس أسقف بوسترا Bostra ببلاد العرب وكان رجلاً عالماً، له عدّة مؤلّفات، حُفظت في دار الكُتب التي أنشأها الإسكندر أسقف أورشليم في أليّا<sup>(٣١)</sup>. فذهب إليه أوريجانوس، وردّه إلى العقيدة الصحيحة، وأعادته إلى آرائه السابقة السليمة<sup>(٣٢)</sup>.

ولقد اكتُشفت بردية تعود إلى القرن السادس الميلادي في جبل طُره<sup>(٣٣)</sup> قرب حلوان، أثناء الحرب العالمية الثانية، بينما كان الجيش الإنجليزي يُعدُّ إحدى مغارات جبل المقطم، لتكون مخزناً للأسلحة والذخيرة. تحكي المخطوطة عن اجتماع تم بين أوريجانوس ومجموعة أساقفة من بلاد العرب سنة ٢٤٥م، وهم الأساقفة المجاورين لهيراكليدس، ليستوضحوا منه عن بعض النّقاط والتّعبيرات الغامضة التي كان يُعلّم بها هيراكليدس بخصوص العلاقة بين الآب والابن. ويشير يوسابيوس القيصري إلى ذلك الموضوع بقوله<sup>(٣٤)</sup>: ”ونحو هذا الوقت<sup>(٣٥)</sup> قام آخرون

٣٠- بلاد العرب هذه هي الصحراء الواقعة بين سوريا ونهر دجله والفرات، والتي سماها بولس الرسول ”العربية“.

٣١- أليّا هو اسم مدينة بناها أدریان مكان مدينة أورشليم.

٣٢- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٦:٢٠٠؛ ١:٣٣، ٢).

٣٣- في هذا الجبل عينه، اكتُشفت عظة لأوريجانوس على سفر الملوك الأوّل.

Cf. ODCC, 2<sup>nd</sup> edition, p. 1009.

٣٤- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٣٧:٦).

٣٥- أي في زمن القيصر فيليب العربي (٢٤٤-٢٤٩م). وسُمّي كذلك، لأنه من مواليد حوران في صحراء العربية بين دمشق والعراق. ويقول عنه يوسابيوس (٦:٣٤) إنه كان مسيحياً. وقد كتب أوريجانوس رسائل إلى هذا الإمبراطور، وإلى زوجته أوتاسيليا ساويرا Otacilia Severa. ولقد اعتبر القديس جيروم في كتابه ”مشاهير الرّجال - De Vir. Illus. Illus“ أن هذا الإمبراطور هو أوّل إمبراطور مسيحي، لكنّه

في بلاد العرب، منادين بتعليم غريب عن الحق، إذ قالوا: 'إنَّ النَّفْسَ البشرية في الوقت الحاضر، تموت وتبيد مع الجسد، ولكنهما يتجددان معاً في وقت القيامة'. وفي هذا الوقت أيضاً اجتمع مجمع كبير دُعي إليه أوريجانوس أيضاً، فتكلّم في الموضوع بكلِّ قوّة، حتى تغيّرت آراء الذين سبق أن سقطوا". وعاد يواصل تعليمه في مدرسة الموعوظين في الإسكندرية.

ولقد كانت محاولة الأنبا ديمتريوس توجيه الطاقة الفكرية لأوريجانوس، في مسار محدّد بذاته، دون جدوى. بل كانت سبباً أساسياً في بداية التّباعد الذي ظلّ يتزايد بينهما يوماً فيوماً.

فبعد عودة أوريجانوس من روما، وجد أنّه ليس لديه وقت لزيادة التّعقّق في دراسة اللاهوتيات، ولبحث الأسفار المقدّسة وتفسيرها. لأنّ تعليم الذين كانوا يأتون إليه، لم يعطه وقتاً حتى للتّنفس، إذ كانوا يأتون إليه الواحد بعد الآخر، من الصّباح إلى المساء، ليتعلّموا منه.

فقرّر تطوير نظام مدرسة الموعوظين، إذ قام بتقسيم المدرسة إلى قسمين؛ القسم الأوّل، جعله لتعليم الإيمان للمبتدئين، والقسم الآخر لتعليم المتقدّمين، أي الذين بلغوا درجة فكرية متقدّمة. ومن ثمّ اختار هيراكلاس Heraclas - أحد تلاميذه - الذي كان عالماً بالإلهيات، ومقتدرّاً جداً في العلم في نواحي أخرى، ومقتدرّاً أيضاً في الفلسفة، وأشركه معه في مهمّة التّعليم، إذ أوكل إليه التّعليم الأوّل للمبتدئين. واحتفظ لنفسه بمهمّة تعليم المتقدّمين<sup>(٣٦)</sup>.

كان قد اعتنق المسيحية سراً.  
٣٦- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١٥:٦).

وإن لغة يوسابيوس في شرحه لهذا الأمر، لا تعطينا أيَّ إشارات يتضح لنا منها، أن الأنا ديمتريوس كان وراء إعادة هيكلة مدرسة الإسكندرية، أو حتى مشتركاً مع أوريجانوس في ذلك الأمر. وربما كان ذلك مدعاة للتوتر الذي نشأ بين الاثنين<sup>(٣٧)</sup>.

وعلى أيِّ الحالات، فإن إعادة هيكلة مدرسة الإسكندرية بواسطة أوريجانوس، معطياً لتعليمه وتلاميذه فرصة العمل المتقدم، ربما قد نظر إليه ديمتريوس أسقُف الإسكندرية على أنه نكوص عن الهدف الأساسي لمدرسة الإسكندرية، كونها مدرسة لتعليم الإيمان للذين يرغبون في الانضمام إلى الإيمان المسيحي.

ولقد أدى التوتر الذي نشأ بين الاثنين، إلى مغادرة أوريجانوس للإسكندرية<sup>(٣٨)</sup>. ويقول يوسابيوس في ذلك، إنَّ أوريجانوس غادر الإسكندرية سراً حينما "نشبت حرب شعواء في المدينة<sup>(٣٩)</sup>". إذ لمَّا رأى أن البقاء في مصر خطر على حياته، ذهب إلى فلسطين، وأقام في قيصرية. وبينما هو هناك، طلب منه أساقفة الكنيسة في تلك المملكة أن يعظ

37- Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 25.

38- Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 25.

٣٩- يذكر القمُص مرقس داود في حاشية على ذلك فيقول:

"زار كاراكلا الإسكندرية في السنة السادسة من حكمه (٢١٦م)، وانتَهز الفرصة للانتقام من سكان المدينة بسبب قتل أخيه. فقتل الكثيرين، شبانا وشيوخاً، أئمة وأبرياء، واشتد سخطه على العلماء بصفة خاصة. وهذا ما دعا أوريجانوس للهرب من المدينة والاتجاء إلى فلسطين".

انظر: يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص ٣١١، حاشية ٢٢  
وهذا الرأي هو ما ساد بين العلماء قديماً، ولكن الدراسات الحديثة أوضحت غير ذلك، وهو ما تجده في المتن. ولقد سبق أن ذكرت أن أوريجانوس كان لا يهاب الاستشهاد، بل شدّد تلاميذه، حتى أكملوا سعيهم، ونالوا الإكليل.

ويفسّر الكتاب علناً، رغم أنه لم يكن قد رُسم قسماً بعد“ (٤٠).

وإلى وقت طويل، ظنَّ العلماء أنَّ عبارة ”نشبت حربٌ شعواء في المدينة“، المقصود بها هو تلك المذبحة التي حدثت للمدنيين في الإسكندرية بواسطة الإمبراطور كاراكالا Caracalla سنة ٢١٥م. إلاَّ أنَّه ليست لدينا أية دلائل تشير إلى أنَّ كاراكالا كان يستهدف المسيحيين، أو أن هروب أوريجانوس من الإسكندرية كان بسبب انتقام كاراكالا. وحديثاً فإنَّ العالم الفرنسي بيير نوتان Pierre Nautin قد برهن على أنَّ يوسابيوس في إشارته إلى هذه الحرب المحليَّة، كان يقصد في الحقيقة ذلك ”الصِّراع الكنسي“ الذي نشب بين ديمتريوس وأوريجانوس، وهو الصِّراع الذي أدى في النِّهاية إلى ترك أوريجانوس لموقعه في الإسكندرية (٤١).

وكما ذكر من قبل، يبدو أنَّ الأنا ديمتريوس وعلى مدى زمن رئاسته لكنيسة الإسكندرية، ظلَّ يؤكِّد على سُلطة الأسقف على التَّعليم الأكاديمي institutional authority في الكنيسة، ويعيد تنظيم الكنيسة. وهذا يتضح لنا من رد فعله تجاه مغادرة أوريجانوس للإسكندرية. فقد كتب أسقف الإسكندرية خطاباً إلى أساقفة أورشليم وقيصرية منتقداً

٤٠ - يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١٦:١٩:٦).

41- P. Nautin, *Origène*, p. 366-368 ; J. Trigen: *The Bible and Philosophy in the Third-Century Church*, 1983, p. 130.

ويوضح نوتان Nautin أنَّ لغة يوسابيوس الواردة في (١٩:٦)، قد اعتمدت على شرح العلامة أوريجانوس لإنجيل يوحنا، حيث يشرح هذا اللاهوتي الإسكندري صراعه مع ديمتريوس، مستخدماً تعبير ”عاصفة الإسكندرية - Storm at Alexandria“. مختلفاً بهروبه إلى قيصرية - في تعبيرات كتابية - كأنه خلاص من مصر.

*Origen*, 6.1-2 (ed. C. Blanc, SC 157 (1970), p. 128-136) ; N. Heisey, *Origen the Egyptian*, p. 171 ; J. Trigg, *Origen* (1998), p. 16.

Cf. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 191, n. 23.

تصرفهما، حين سمحا لأوريجانوس، وهو الرَّجُلُ العلماني، أن يعظ في حضور الأساقفة، ذاكراً في رسالته: ”إنه لم يُسمع عن أمر كهذا من قبل. ولا حدث إلى الآن، أن يعظ العلمانيون في حضرة الأساقفة. ولست أدري كيف يُقرَّر أمرٌ غير صحيح“ (٤٢).

فردَّ عليه الأسقفان الفلسطيَّان، وهما الإسكندر أسقفُ أورشليم<sup>(٤٣)</sup>، وثيؤكتستوس أسقفُ قيصرية، مدافعين عن نفسيهما، معدِّين أمثلة من أماكن أخرى سُمح فيها للعلمانيَّين أن يعظوا في حضور الأساقفة، فقالا: ”حينما وُجد أشخاص قادرون على تعليم الإخوة، حتَّهم الأساقفة المقدَّسون على أن يعظوا الشعب. وهذا ما حدث في لارانداء، عندما طلب ذلك نبون من يولبس. وفي إيقونيَّة عندما أمر كلِّس بولينوس. وفي سينادا عندما طلب ذلك أتيكوس من ثيودورس، إخوتنا المباركون. والأرجح أنَّ هذا حدث في أماكن أخرى لا نعلمها“. فكتب ديمتريوس رسالة يسترضي بها أوريجانوس، مرسلًا إليه في فلسطين بعض شمامسة الكنيسة، ليحثه على العودة إلى الإسكندرية. فعاد

٤٢- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١٩:١٧).

٤٣- أشار الإسكندر أسقفُ أورشليم في رسالة له إلى العلامة أوريجانوس بأنَّ العلامة كليمنس الإسكندري وبنيتوس، هما من أخلص أصدقائه. انظر: يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١٤:٨).

وإنَّ هذه الرابطة التي صارت بين كنيسة أورشليم وكنيسة الإسكندرية، رغم أحداثها المؤلمة، لا يمكن إغفالها، أو العبور عليها عبوراً بسيطاً. وليس كنيسة أورشليم فقط، بل كنيسة كبادوكيا أيضاً. لأنَّ الإسكندر أسقفُ أورشليم، كان قبل ذلك أسقفاً لكبادوكيا، فيما كانت علاقته بالعلامة بنيتوس والعلامة كليمنس الإسكندري قويَّة متينة، قبل أن يصبح أسقفاً لأورشليم بإعلان إلهي. إذا فتأثير كنيسة الإسكندرية على كنائس كبادوكيا وأورشليم أو العكس، ولاسيما في هذه الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة، حينما كانت الحياة الليتورجية تبلور، هو تأثير لا يمكن إغفاله، أو الاستهانة به.

أورييجانوس إلى الإسكندرية واستأنف خدماته كالمعتاد<sup>(٤٤)</sup>.

وعن هذه الفترة يقول يوسابيوس: "في ذلك الوقت، بدأ أورييجانوس تفاسيره عن الأسفار الإلهية، بعد أن حثه على هذا أمبروسوس<sup>(٤٥)</sup>، الذي استخدم محرّضات لا تُحصى، غير مقتصر على حثه بالكلام، بل مقدّمًا إليه أيضاً وسائل كثيرة جداً. وكان يُملي على أكثر من سبعة سكرتيرين كانوا يتبادلون الكتابة في أوقات محدّدة. واستخدم عدداً كبيراً من النُسخ، عدا البنات اللاتي أجدن الكتابة. وكان أمبروسوس ينفق على جميع هؤلاء بسخاء، مظهراً غيراً على الكلمة الإلهية، لا يعبر عنها، وهو بهذا دفعه لإعداد تفاسيره"<sup>(٤٦)</sup>.

ولكن الود لم يدم طويلاً بين أسقف الإسكندرية وأورييجانوس. ففي سنة ٢٣٠م قرّر أورييجانوس ترك الإسكندرية للمرّة الأخيرة، ليعود إلى الكنيسة في قيصرية. وجاءت فرصة إرسال أورييجانوس إلى اليونان، لضرورة ملحّة، تتعلق ببعض شؤون كنسيّة. فذهب عن طريق فلسطين. وهناك رسمه أساقفة تلك المملكة قساً في قيصرية<sup>(٤٧)</sup>. كما أنشأ مدرسته الخاصة بها.

أمّا رد فعل الأنبا ديمتريوس إزاء رحيل أورييجانوس عن الإسكندرية، ورسامته قساً في قيصرية، فإنه يلقي ضوءاً أكثر وضوحاً على التّفوذ المتزايد الذي صار للسلطة الأسقفية في كنيسة مصر في بواكيرها الأولى. إذ

٤٤ - يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٦: ١٩، ١٨، ١٩).

٤٥ - كان غنياً، ومن عائلة طيبة. والأرجح أنّه كان يشغل مركزاً ممتازاً. ولما قبل الإيمان الحق على يدي أورييجانوس، صار صديقاً له.

٤٦ - يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٦: ٢٣، ١، ٢).

٤٧ - نفس المرجع، (٦: ٢٣، ٤).

اعتبر الأنبا ديمتريوس أن رسامة أورييجانوس قساً بواسطة أساقفة آخرين، هو اقتحام لسُلطته كأُسقف، فكتب عدّة رسائل إلى الأساقفة في إيارشيات أُخرى في كلِّ العالم، محتجاً على عدم شرعية رسامة أورييجانوس.

وفي ذلك يقول يوسابيوس عن الأنبا ديمتريوس أُسقف الإسكندرية، الذي كان من قبل معجباً بتصرف أورييجانوس، حين أخصى نفسه: ”هكذا كان تصرفه وقتئذ. ولكنه (ديمتريوس) بعد ذلك مباشرة، إذ رأى أن أورييجانوس كان ناجحاً ويزداد شهرة بين كلِّ النَّاس، غلب عليه الضَّعف البشري، وكتب إلى الأساقفة في كلِّ العالم، واصفاً تصرف أورييجانوس بأنه في منتهى الطَّيَاشَة<sup>(٤٨)</sup>. ولكن أُسقف قيصرية وأورشليم – اللذين كانا أشهر وأبرز أساقفة فلسطين – اعتبرا أورييجانوس خليقاً بأعظم درجات الإكرام، فرسماه قساً“<sup>(٤٩)</sup>.

ويقول يوسابيوس عن أورييجانوس: ”ازدادت شهرته جداً، وأصبح اسمه معروفاً في كلِّ مكان، ونال صيتاً عظيماً بسبب الفضيلة والحكمة“<sup>(٥٠)</sup>. وأمَّا ديمتريوس، فإذا لم يكن لديه ما يقوله ضده سوى ذلك العمل الصَّبياني، أهمه بمرارة، وتجاسر على أن يُشرك معه في هذه

٤٨ – لقد أشار أورييجانوس نفسه إلى الخطابات التي كتبها ديمتريوس ضده، وذلك في شرحه لإنجيل يوحنا (6.2.9; ed., C. Blanc, SC 157, 1970, p. 132)، واصفاً ديمتريوس كعدو، قائلاً: ”شأن حرباً شعواء ضديّ، بواسطة كتاباته الأخيرة“.

Cf. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 191, n. 26.

٤٩ – يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٤:٨:٦).  
٥٠ – قال عنه القديس جيروم (٣٤٢-٤٢٠م) قبل أن يصير واحداً من أشدِّ مناوئيه: ”كان بلا جدال، المعلم الأوَّل لجميع الكنائس بعد الرُّسُل“. وقال عنه بمفيلوس البيروني: ”كان معلماً للكنيسة بعد رُسُل الرُّب“.



اللاهات، أولئك الذين نصبوه قساً<sup>(٥١)</sup>.

وإن دلالة هذه الرسائل التي أرسلها الأنبا ديمتريوس إلى أساقفة الإيبارشيات، إلى جانب رسالته التي أرسلها من قبل إلى أسقفى أورشليم وقيصرية، تشير إلى محاولات مبكرة، وموثقة في نفس الوقت، لأسقف الإسكندرية لدعم الترابط بين الإدارة الكنسية في الإيبارشيات المختلفة، واجتذاب الدعم المسكوني لسُلطانة الأسقفى المحلي<sup>(٥٢)</sup>.

ولقد وجدت رسائل الأنبا ديمتريوس دعماً ملحوظاً، فقد قام سنودس كنيسة روما بتثبيت الحرم الذي أوقعه الأنبا ديمتريوس على العلامة أوريجانوس، وأيضاً هو نفس ما فعلته بعض المراكز الكنسية الأخرى، باستثناء إيبارشيات فلسطين، وأرابيا Arabia (أي بلاد العرب)<sup>(٥٣)</sup> وفينيقية Phoenicia وأحائية Achaia والتي عارضت هذا الحرم. وقد ثبت هيراكلاس Heraclas أسقف الإسكندرية وخليفة ديمتريوس هذا الحرم، برغم أنه كان أحد تلاميذ أوريجانوس في مدرسة الموعوظين في الإسكندرية.

وهناك نتيجة أخرى هامة كانت وراء رحيل أوريجانوس عن الإسكندرية، وهي تغيير نظام وإدارة مدرسة الموعوظين في الإسكندرية. فحينما استقر أوريجانوس في فلسطين، نقل معه نظام الدراسات المتقدمة، والذي كان قد أسسه ورأسه في مدرسة الموعوظين بالإسكندرية، بالإضافة إلى مكتبته الخاصة الضخمة التي أخذها معه<sup>(٥٤)</sup>. وفي قيصرية

٥١- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٦:٥٨).

52- Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 26.

٥٣- انظر (حاشية رقم ٣٠، ص ٢٣٤) من هذا الكتاب.

54- Cf. Bardy, Gustave, *Pour l'histoire de l'Ecole d'Alexandrie*, In *Vivre et Penser*, Seconde série, 1942, p. 80-109, esp. 100 and 109.

استأنف تدريسه، جاذباً تلاميذ على مستوى جديد، ومشيداً مكتبة عظيمة تحوي أبحاثاً لاهوتية. وهي المكتبة التي استخدمها يوسابيوس القيصري واستفاد منها، بعد مرور خمسة وسبعين سنة، حين كتب كتابه في تاريخ الكنيسة.

أمّا في الإسكندرية، فقد ظلّ قسم "التعليم الأولي للإيمان - elementary instruction" قائماً كما كان من قبل، فحسب، تحت قيادة هيراكلاس التلميذ السابق لأوريجانوس. ومع رحيل أوريجانوس من الإسكندرية، يبدو أنه لم تجر أية محاولات لتأسيس معهد للتعليم اللاهوتي المتقدّم higher theological education في مدرسة الإسكندرية. وفي ذلك يقول يوسابيوس: "وفي الإسكندرية، لما أقيم هيراكلاس أسقفاً بعد ديمتريوس، خلفه في إدارة المدرسة التعليمية<sup>(٥٥)</sup> ديونيسيوس<sup>(٥٦)</sup>، الذي كان أيضاً من بين تلاميذ العلامة أوريجانوس".

وفي سنة ٢٤٨م، قبض على أوريجانوس وعُذّب. ولقد أرسل البابا ديونيسيوس الكبير (٢٤٨-٢٦٥م) إليه برسالة يُشدّده فيها ويشجّعه. وفي

Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 191, n. 28.

٥٥- أي "مدرسة تعليم الإيمان - elementary instruction". ولغة يوسابيوس هنا، تعني هذه المدرسة فقط. وليس أيضاً القسم المتقدّم الذي كان قد أنشأه أوريجانوس.

Cf. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 191, n. 29.

٥٦- خلف هيراكلاس في إدارة مدرسة إسكندرية اللاهوتية حوالي سنة ٢٣١م، ثمّ خلفه في أسقفية الإسكندرية حوالي سنة ٢٤٦م. والمرجح أنه استمر في إدارة المدرسة بعد ارتقائه للأسقفية. وقد ترك عدّة مؤلفات. وأظهر مقدرة فائقة في حل كثير من المشاكل التي قابلته، بحكمة وريانة وتعقل. وسُجن في اضطهاد ديسيوس. كما نُفي في اضطهاد فاليريان. ولكنه عاد إلى الإسكندرية في اضطهاد جالينوس. وكتب كثيراً من الرسائل. وقد هوجم كثيراً، وكان أنثاسيوس الرسولي يُمّن دافعوا عنه.

انظر: يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص ٣٢٨، حاشية ١

سنة ٢٥٣م، أُفرج عنه من سجنه، ولكن لم يعيش هذا المجاهد - كما وصفه البابا أناسيوس الرسولي<sup>(٥٧)</sup> (٣٢٨-٣٧٣م) - بعد ذلك سوى سنة واحدة، حيث تنيح في مدينة صور سنة ٢٥٤م، وله من العمر تسع وستون سنة.

وهكذا، بابتعاد أورييجانوس عن السّاحة، وبنياحة الأنبا ديمتريوس في سنة ٢٣١م، عقب رحيل أورييجانوس عن الإسكندرية بفترة وجيزة، أصبحت مدرسة الموعوظين في الإسكندرية، خاضعة بالأكثر لسُلطة أسقف الإسكندرية، لأن هيراكلاس الذي كان قبلاً مديراً لمدرسة الإسكندرية، صار هو أسقف الإسكندرية. فاعتلاء البابا هيراكلاس (٢٣١-٢٤٧م) لكرسي كنيسة الإسكندرية، وضع أساساً جديداً لاختيار المرشّح لأُسقفية الإسكندرية<sup>(٥٨)</sup>. لأن خلفاء البابا هيراكلاس، وهم الباباوات ديونيسيوس (٢٤٧-٢٦٤م)، ومكسيموس (٢٦٤-٢٨٢م)، وثيؤناس (٢٨٢-٣٠٠م)، كانوا كلهم قبل اعتلائهم كرسي كنيسة الإسكندرية، مديرين لمدرسة الإسكندرية<sup>(٥٩)</sup>. وهو ما وضع مدرسة الموعوظين في الإسكندرية تحت الرّعاية والسُّلطة المباشرة لأُسقف الإسكندرية. ومن ثمّ فقد أصبح هيراكلاس ومن أتى من بعده من بطاركة الإسكندرية، قادرين على بسط نفوذهم المباشر والواسع على خدمة التّعليم في الكنيسة.

٥٧ - يصفه البابا أناسيوس الرسولي، في مقالة له لشرح الآية: «من قال كلمة على الابن...» بأنه "غزير العلم، ومحِبُّ للجهاد - πολυμαθής και φιλόπονος" (PG 26, 649).

58. Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 27.

59. Christopher Haas, *Alexandria in Late Antiquity: Topography and Social Conflict*, Baltimore: The John Hopkins University Press, 1997, p. 217.

Cited by, Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 191, n. 30.

وإن القانون الذي وضعه البابا هيراكلاس لكي يدافع به عن التعليم الأرثوذكسي، هو نفس القانون الذي اقتفى آثاره، خليفته البابا ديونيسيوس، وهو ما يذكره في إحدى رسائله. فيكتب البابا ديونيسيوس قائلاً: "لقد قبلت هذه القاعدة وهذا الترتيب من بابانا<sup>(٦٠)</sup> الطوباوي هيراكلاس"، ويستطرد شارحاً كيف كان هيراكلاس يعاقب الذين خرجوا عن الإيمان، فيقول: "لأن الذين عادوا من الهرطقات، رغم ارتدادهم عن الكنيسة، أو بالأحرى لم يرتدوا، بل بدا كأنهم قد اجتمعوا معهم، وأتهموا بالالتجاء لأحد المعلمين الكذبة. فإنه عندما طردهم من الكنيسة، لم يقبلهم ثانية رغم توسلاتهم، إلا بعد أن قصوا علانية كل ما سمعوه من خصومهم. وعندئذ قبلهم دون أن يتطلب منهم معمودية أخرى، لأنهم كانوا قد قبلوا منه سابقاً الروح القدس"<sup>(٦١)</sup>.

وهنا وللمرة الأولى، نعرف من المصادر الوثائقية، أن أسقف الإسكندرية أصبح يلقب بلقب "بابا" Papas، قبل أن يلقب به أسقف روما، بخمسين سنة<sup>(٦٢)</sup>.

٦٠- إن كلمة "بابانا" τοῦ μακαρίου πάπα ἡμῶν هي كلمة ذات أهمية خاصة، لأنها أول توثيق يلقب أسقف الإسكندرية بلقب "بابا".

٦١- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٤:٧:٧).

62- C.W. Griggs, *Early Egyptian Christianity*, op. cit., p. 69 ; Petro Bilaniuk, *Pope in the Coptic Church*, Coptic Encyclopedia, vol. 6.

طبقاً للمصادر الوثائقية الموجودة، فإن أقدم استخدام للقب "بابا" لأسقف روما، ظهر في نقش في أحد سراديب catacomb روما يعود تاريخه إلى حوالي سنة ٣٠٣م.

J.S. Northcote and W.R. Brownlow, *Roma Sotteranea*, London: Longmans, Green, Reader, and Dyer, 1869, p. 93 ; E. Giles, ed., *Documents Illustrating Papal Authority, A.D. 96-454*, London, SPCK, 1952, xvii.

Cf. Stephen J. Davis, op. cit., p. 27, 191, n. 32.

وكان البابا ديونيسيوس هو أول من أطلق هذا اللقب على سلفه هيراكلاس ملقباً إياه بلقب "بابا" (٦٣)، وواصفاً بمجهوداته، فيقول: "لقد قبلت من بابانا المطوب ياروكلاس، هذه القاعدة، وهذا الترتيب" (٦٤)، ليقود بذلك منظومة التعليم الكنسي. وهكذا فإن استخدام اللقب "بابا"، منذ بدايات القرن الثالث الميلادي، يوضّح لنا كيف أن السلطان الأسقفي لكنيسة الإسكندرية، صار يتعزّز ويمتد خلال النصف الأول من هذا القرن (٦٥).

وهكذا، ومع أواخر القرن الثاني الميلادي، وعلى مدى القرن الثالث الميلادي، بلغت مدرسة الإسكندرية اللاهوتية المسيحية أوج شهرتها، ولكن بدأ نورها يخبو مع غروب القرن الرابع الميلادي، حيث لم نعد نعرف عنها شيئاً في زمن البابا كيرلس الأول عامود الدين (٤١٢-٤٤٤م)، حيث انتقلت المدرسة من مدينة الإسكندرية إلى بلدة في إقليم بمفيليا، لسبب مجهول لدينا.

وسوف أعود مرّة أخرى للحديث عن تأثير العلامة أوريجانوس على الحياة الليتورجية في كنيسة الإسكندرية في القرن الثالث الميلادي.

٦٣- في الأصل، فإن المصطلح اليوناني παπας (باباس)، أي "بابا"، يعني ببساطة "أب - father"، ولكنه مع الوقت، أصبح يُطلق كلقب رسمي للتكريم، على كل من رئيس أساقفة الإسكندرية، ورئيس أساقفة روما.

G.W.H. Lampe, *A Patristic Greek Lexicon*, Oxford: Clarendon Press, 1961, p. 1006.

٦٤- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٤:٧:٧).

65- Stephen J. Davis, *op. cit.*, p. 28.

## البابا ياروكلاس، أوّل من لُقّب بلقب بابا

وُلد البابا ياروكلاس من أبوين وثنيين. وبعد أن تتلمذ على معلّم للفلسفة مدّة خمس سنوات، تتلمذ أيضاً للعلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م). وما لبث أن تعمّد ونال نعمة الكهنوت من ديمتريوس أسقف الإسكندرية، وتسلم إدارة مدرسة الإسكندرية اللاهوتية والتّعليم فيها بعد مغادرة العلامة أوريجانوس للإسكندرية. ورُسم أسقفاً لكرسي الإسكندرية سنة ٢٣١م.

ولقد أجمع المؤرّخون المسيحيون، على أنّ ياروكلاس الثالث عشر (٢٣١ - ٢٤٦م)، هو أوّل من لُقّب بلقب "بابا" من أساقفة كنيسة الإسكندرية. إذ في عهده، أقيمت إيارشيات جديدة لأوّل مرّة في أنحاء القطر المصري، بلغت حوالي عشرين إيارشية. ومن ثمّ فقد رُسم عليها أساقفة. فكان أن أسبغ الشعب القبطي على أسقف الإسكندرية هذا اللقب، باعتباره مقدّم الأساقفة. وقد سبق أن أشرتُ إلى ذلك من قبل.

وباستثناء ما وُجد من نقش في إحدى سراديب روما عن هذا اللقب<sup>(٦٦)</sup>، فقد انتشر هذا اللقب في غضون القرن العاشر بين أساقفة الغرب، حيث كان يُدعى به أيُّ أسقف، حتى حصره البابا غريغوريوس السابع (+ ١٠٧٣م) بقرار جمعي، ليكون وفقاً على أسقف روما فقط.

وقد ورد في مقدّمة ابن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٥م) ما يلي: "أرادوا أن يميّزوا البطرك عن الأسقف في التّعظيم، فدعوه 'البابا'. وظهر هذا الاسم أوّل مرّة في مصر، ثم نقلوه إلى صاحب كرسي رومية".

وفي ذلك يقول المقريري (١٣٦٥-١٤٤١م) في كتاب "الخطط...":  
 "صار الأساقفة يجعلون لفظة 'البابا' تختص ببطريك الإسكندرية، ثم انتقل  
 هذا الاسم عن كرسي الإسكندرية إلى كرسي رومية".

ويذكر الأرشيمندريت جراسيموس مسرة في كتابه "تاريخ  
 الانشقاق": "كان أسقف أنطاكية يُسمى 'بطريكاً'، وأسقف  
 الإسكندرية 'بابا'، وأسقف رومية 'أسقفاً'. وكلمة 'بابا' ليست كلمة  
 لاتينية ولا غربية، بل هي شرقية محضة. وأول من سُمي بها هو أسقف  
 الإسكندرية، من أبناء إيارشيتته بالقطر المصري".

وفيما بعد صار لقب "بابا" معرّفًا بالألف واللام، فصار يُعرف  
 أسقف الإسكندرية باسم "البابا". إلا أن الكلمة الأقدم وهي "بابا  
 الإسكندرية" هي التي استقرت في نصوص الصلوات الليتورجية في  
 الكنيسة القبطية حتى اليوم.

أمّا لقب "رئيس أساقفة" كلقب لأسقف الإسكندرية، فكان  
 البابا أناستاسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م) هو أول من أطلقه على باباوات  
 الإسكندرية، وذلك عندما ذكر البابا ألكسندروس وسمّاه "رئيس  
 أساقفة الإسكندرية" (٦٧). وأمّا لقب "بطريك"، فلم يستعمله القديس  
 أناستاسيوس الرسولي إلا لرؤساء الآباء إبراهيم واسحق ويعقوب.

ويقول المؤرخ ستانلي في كتابه "محاضرات عن الكنائس الشرقية"  
 الذي طبع في أكسفورد سنة ١٨٦٤م، وذلك في معرض حديثه عن مجمع  
 نيقية: "لم يكن ألكسندروس أسقف أول كراسي العالم المسيحي من

حيث سمو المنزلة والأهمية وحسب، بل وأعلى هذه الكراسي شأناً من الوجهة العلمية. وكان بطريرك الإسكندرية، وهو المنفرد بلقب بابا، لا يُعرف به رسمياً في الجمع سواه. لأن كلمة 'بابا رومية' كانت وقتئذ هي ما لم يتمخض عنه التاريخ بعد. وأمّا 'بابا الإسكندرية' فكان علماً، يُشار إليه بالبنان، ولقب إعزاز وحب ومهابة وإجلال، عُرف به رأس كنيسة الإسكندرية، وكان هو الذي يخاطب به بصفة خاصة.

وتنحى البابا ياروكلاس سنة ٢٤٨م، بدون أن يحفظ لنا التاريخ شيئاً عن آثاره الأدبية أو الكنسية.

### تعقيب على مغزى وجود إيارشيات كثيرة في زمانه

إن وجود كثير من الإيارشيات في زمن هذا البطريرك، هي إشارة بالغة القيمة، تُظهر لنا كيف أنه لم يمض القرن الثالث الميلادي حتى كانت المسيحية في مصر قد انتشرت، حتى غطت أنحاء البلاد، ووصلت إلى أقصى الجنوب، أي الصعيد الأعلى لمصر. ولقد أسهب العالم كولين روبرتس Colin H. Roberts - وهو من أشهر علماء البرديات المعاصرين - مقتدياً بما أظهرته الاكتشافات الحديثة لمخطوطات البرديات التي حُفظت في مصر، لكي يُثبت هذه الحقيقة إثباتاً وثائقياً. وهو ما عرضتُ له تفصيلاً من قبل.

### البابا ديونيسيوس الكبير، أول بابا وصلتنا كتاباته

البابا ديونيسيوس الكبير (٢٤٨-٢٦٥م)، هو تلميذ العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م)، وأشهر أساقفة الكنيسة القبطية في القرن الثالث الميلادي. وقبل الأسقفية كان مديراً لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية لمدة أربع عشرة



سنة (٢٣٢-٢٤٦م). ومن المرجح أنه ظلَّ في إدارة المدرسة بعد ارتقائه للأسقفية، فكان أول بابا ومدير لمدرسة الإسكندرية.

وهو أول بابا إسكندري له كتابات ورسائل<sup>(٦٨)</sup> حفظها لنا يوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م)، تكشف عن فصاحة الأسلوب وعذوبته، إذ كان قد تنقَّف طويلاً على الأدب اليوناني الكلاسيكي، وكان ذا موهبة في العلم وفي التعليم أيضاً. وتعدُّ كتاباته أول إشارات ليتورجية موثقة تصل إلينا عن كنيسة الإسكندرية. ومن هنا فقد اكتسبت أهميتها البالغة، لاسيما بسبب ندرة ما حفظته الكنيسة القبطية من إشارات أو شروحات ليتورجية طيلة الاثني عشر قرناً الأولى للميلاد.

واشترك البابا ديونيسيوس في حلِّ كثير من المشاكل الكنسية التي أثيرت في عصره، كمسألة قبول الساقطين، وإعادة معمودية الهرطقة، ومسألة بولس الساموساطي، حيث أظهر مقدرة فائقة وحكمة ورزانة وتعلُّلاً في حلِّ هذه المشاكل<sup>(٦٩)</sup>.

وسُجن البابا ديونيسيوس في اضطهاد ديسيوس (أو داكْيوس)، ولكنَّه نجا من السَّجن<sup>(٧٠)</sup>. ثم نُفي في اضطهاد فالريان<sup>(٧١)</sup>. لكنَّه عاد إلى الإسكندرية في عهد جالينوس<sup>(٧٢)</sup>. وقد هوجم كثيراً، ولكن البابا اثناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م) كان من المدافعين عنه.

٦٨- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٦:٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧:١).

٢٠-٢٨).

٦٩- نفس المرجع، (٦:٤٤، ٥٠:٧، ٧:٢٧).

٧٠- نفس المرجع، (٦:٤٠).

٧١- نفس المرجع، (٧:١١).

٧٢- نفس المرجع، (٧:٢١).

في سنة ٢٤٨م وهي السنة الأولى لأسقفيتها، نشبت ثورة من الوثنيين على المسيحيين في الإسكندرية بقيادة أحد المشعوذين، وانتشرت فيها أعمال السلب والنهب والقتل، حتى بدت المدينة كأن عدواً قد غزاها. ولقد كتب البابا ديونيسيوس إلى فايوس بطريرك أنطاكية، يقول له عنها:

[لم يكن هنالك مفتوحاً أمامنا شارعٌ أو طريقٌ عام أو عطفة، نهراً أو ليلاً، لأنهم كانوا يصيحون دوماً وفي كل مكان، بأنه إن كان أحدٌ لا يردّد كلماتهم الكفرية، وجب أن يُجر في الحال خارجاً، ويُحرق ... وهل يحتاج الأمر للتحدث عن الجماهير التي تحوّلت في البراري والجبال، وهلكوا بسبب الجوع والعطش والبرد والمرض واللصوص والوحوش؟ ...

إن كرمون، وكان متقدماً جداً في السن، كان أسقفاً لمدينة تُدعى نيلوس<sup>(٧٣)</sup>، هذا هرب مع زوجته إلى جبل العرب<sup>(٧٤)</sup>، ولم يعودا. ورغم أن الإخوة جدّوا في البحث عنهما، فإنهم لم يجدهما، ولا وجدوا جثتيهما...]<sup>(٧٥)</sup>.

ولقد امتد اضطهاد داكبوس، حتى وصل إلى صعيد مصر سنة ٢٤٩م. وهو الوقت الذي خرج فيه أنبا بولا أوّل السّوّاح إلى جبل القلزم، بعد أن ترك أمواله لزوج أخته الذي أراد أن يشي به لدى الحُكّام على أنه مسيحي. وبعد سنتين من خروج أنبا بولا إلى الصّحراء الشّرقيّة، وُلد أنبا أنطونيوس سنة ٢٥١م. وما أن كانت سنة ٣٠٥م، حتى بلغ صيت قداسته في كل مكان، كأب لجميع الرّهبان في العالم.

٧٣- كانت في جزيرة بالتيل قرب منف.

٧٤- أي الجبل الشّرقي.

٧٥- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٦: ٤٢: ٣).

ولقد أرجأت الحديث عن كتابات البابا ديونيسيوس إلى الفصل التالي مباشرة، لأنها تحوي كثيراً من الملامح الليتورجية التي عرفتها الكنيسة المسيحية في مصر في القرن الثالث الميلادي.

### تأثير كنيسة الإسكندرية على الكنائس الأخرى

لقد امتدَّتْ صيت كنيسة الإسكندرية في عصر البابا ديونيسيوس الكبير، وبلغ تأثيرها إلى كلِّ الكنائس الأخرى. ولقد طغت شخصية البابا ديونيسيوس العملاقة العظيمة، لتستقطب كلَّ الأنظار، حتى بدا وبدت معه كنيسة الإسكندرية، كنجم ساطع يشعُّ نور المسيح على كلِّ أقطار الأرض وكنائسها.

وقبل نياحة البابا ديونيسيوس - ونظراً لشيخوخته ووهنه - أرسل اثنين من شمامسته هما يوسابيوس وأناطوليوس إلى الجمع الذي عُقد في أنطاكية. وما أن اجتاز يوسابيوس الشَّمْسَ مدينة اللاذقية بسوريا، حتى تمسَّك به شعب كنيستها، وأقاموه أسقفاً عليهم. ويقول عنه يوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م): "كان مثلاً رائعاً بين معاصرينا في الرُّوحيات"، ولكنَّه نتَّيج بعد قليل.

أمَّا أناطوليوس، فيحكى عنه يوسابيوس القيصري، فيقول: "كان أقدر علماء عصرنا في الفلسفة اليونانية، كالرياضيات والهندسة والفلك والمنطق والنظريات الطبيعية. وكان كذلك أبرز البارزين في علم البلاغة"<sup>(٧٦)</sup>. وكان أناطوليوس قد أظهر بطولة رائعة في مواسة ضحايا الحصار الذي تمَّ على مدينة الإسكندرية في سنة ٢٦٢م.

وبعد نياحة البابا ديونيسيوس الكبير، هجر أناتوليوس الإسكندرية، فرسمه ثيو تكنس أسقف قيصرية فلسطين أسقفاً مساعداً، وبعد موت صديقه يوسابيوس، ألزمه أهل اللاذقية بقبول منصب الأسقفية، وأقاموه أسقفاً عليهم.

وقد ترك أناتوليوس بعض قوانين تختص بعيد الفصح، وهي القوانين التي تُحدّد وقت التعميد له، وذلك في دورة منتظمة تكرر كل تسع عشرة سنة. كما ترك أيضاً مؤلفاً عن "القوانين الحسايبية" في عشرة كُتب.

ولا ينبغي أن تُعبّر هذه الأحداث علينا مروراً عابراً، فاختيار كنيسة لاؤدكية لاثنين من كنيسة الإسكندرية، ليشغلا مركز الأسقفية فيها، هو أمرٌ جديرٌ بالانتباه. فهنا وبكل يقين، تنتقل الحياة الليتورجية - أو جانباً منها على الأقل - من كنيسة الإسكندرية إلى كنيسة أنطاكية.

وهذه الأحداث وأمثالها، لم تكن أحداثاً عابرة في تاريخ الكنيسة في هذه الفترة المبكرة. فإن بمفيلوس الشهيد معلّم يوسابيوس القيصري، الذي أكمل دراسته في الإسكندرية، وكان شغوفاً جداً بأوريجانوس، صار قساً في قيصرية فلسطين. ويقول عنه يوسابيوس تلميذه: "ذلك الرجل الفصيح الفيلسوف، الذي اعتُبر جديراً برتبة القسيسية في تلك الإبارشية..." (٧٧).

إنّ هذه الهجرة الليتورجية من كنيسة إلى أخرى، هي أمرٌ يعيننا كليةً في دراستنا لتاريخ الليتورجية من جهة، وللطقس المقارن من جهة أخرى.

## البابا مكسيموس الـ ١٥

كان البابا مكسيموس (٢٦٤-٢٨١م)، هو الكاهن الوحيد الذي صاحب القديس ديونيسيوس الكبير، مع ثلاثة من الشمامسة، أثناء اضطهاد فاليريان. وقد تحمّل معه النّفي إلى "خفرو" أو "سفرو" بإقليم ليبيا. ولقد عبرت ثمانى عشرة سنة على الكنيسة في حريّة البابا مكسيموس، لا نعرف عنها سوى النّذر اليسير.

## ثيوغنوستس

في سنة ٢٦٥م، ذاع صيت ثيوغنوستس الذي تولّى إدارة مدرسة الإسكندرية بعد اختيار القديس ديونيسيوس الكبير للبطريركية. ولكن ذبوع شهرة البابا ديونيسيوس وسيطرته على الأحداث من حوله، أضفت على ثيوغنوستس ظللاً أوردته زوايا النسيان. أمّا تعرّفنا على كتاباته، فجاءتنا عن طريق البابا أناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م) الذي يستشهد به وبكتاباته، باحترام وإكرام زائدتين<sup>(٧٨)</sup>. ولثيوغنوستس مؤلف وحيد أسماه "المُلخّص" ὑποτυπώσεις، تحدّث فيه عن الثالوث، وعن الملائكة والشياطين، وشرح فيه الخليقة والتّجسّد. ويستشهد البابا أناسيوس الرسولي في دفاعه عن كلمة "هوموؤسيوس - ὁμοούσιος" بنصّ من هذا الكتاب الصّانع. وإليك النّص:

٧٨- لقد صار القديس أناسيوس هو القديس أناسيوس الرسولي، لأنه لم ينفصل عن تعليم سابقه، بل كان قناة جيّدة صالحة، ربطت السلف بالخلف. وهكذا كان كل آباءنا العظام الذين كرّموا التسليم الرسولي والتقليد المقدّس. فأصالتهم واستقامة تعليمهم ووضوح إيمانهم، تستمد قانونيّتها وصدقها، من حرصهم على الحفاظ على الإيمان الذي تسلموه، لا من استحداث مسميات جديدة للإيمان، لإظهار بطولات فكرية، أو استعراض مواهب طبيعّية.

[جوهر الابن οὐσία ليس مبتدعاً من الخارج، ولا جاء من العدم، ولكنه وجد من نفس جوهر الآب ὁμοούσιος كخروج الأشعة من الثور، والبُخار من الماء. فالأشعة ليست هي الثور، والبُخار ليس هو الماء، لذلك فالابن ليس هو الآب، ولا هو أيضاً غريب عن الآب، بل هو الشعاع الخارج من جوهر الآب. هذا الجوهر لا يحتمل التقسُّم لأنه كما أن الشمس تبقى كما هي مهما خرجت منها الأشعة التي تضيئها، هكذا أيضاً جوهر الآب، سيبقى هكذا دائماً بدون تغيير أو نقصان، باعتبار أن الابن هو صورة جوهر الآب] (٧٩).

### بيريوس

تولي إدارة مدرسة الإسكندرية بعد ثيوغنوسطس، وذاع صيته سنة ٢٧٥م. ومن بين الذين تتلمذوا على يديه في الإسكندرية، بمفيلوس الذي استشهد سنة ٣٠٩م، وكان هذا الأخير أستاذاً ليوسايبوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م). ويشهد عنه يوسايبوس بقوله بأنه قد اشتهر بالفقر الاختياري والمعرفة الإلهية (٨٠).

ويقول عنه القديس جيروم (٣٤٢-٤٢٠م): إنه كاهن كنيسة الإسكندرية في الوقت الذي كان فيه ثيؤناس أسقفاً على نفس الكنيسة. وكان يقوم بتعليم الشعب بنجاح مذهل، لأجل سلاسة أسلوبه الذي كان بلا كلفة، ولا تصنع، حتى أنه دُعي "أوريجانوس الصغير". وبعد انتهاء

79- ANF VI, p. 155.

ولقد استشهد البابا أثناسيوس بهذا القول في شرحه لقرارات مجمع نيقية: ٢٥  
٨٠- يوسايبوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٣٢:٧).

اضطهاد دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م)، وما عاناه في الإسكندرية من تعذيب لأجل الإيمان، أمضى بقية حياته في روما.

وما يهمننا في هذه السيرة، هو ما ذكره القديس جيروم (٣٤٢-٤٢٠م) ويوسابيوس القيصري (٢٦٤-٣٤٠م) عنه. فيقولان إن من بين مؤلفاته التي لا زالت باقية، عظة طويلة عن "هوشع النبي"، يبدو من براهينها الدأخلية أنها ألقيت في سهرات الفصح.

وإن نبوة هوشع هذه، ليست من بين النبوات الكثيرة التي تُقرأ اليوم في الكنيسة القبطية في ليلة عيد الفصح (القيامة). وهنا ينبغي أن أشير مرة أخرى إلى قول يوسابيوس القيصري عن جماعة الثيرايبوتا في مصر، الذين كان منهم نواة الكنيسة الأولى، حين يقول: "... العادات التي لا نزال نراعيها إلى اليوم، لاسيما تلك التي نجريها في عيد آلام المخلص، مع الصوم، وسهر الليل، ودرس الكلمة الإلهية" (٢: ١٧: ٢١).

## البابا ثيؤناس الـ ١٦

ما يهمننا في سيرة البابا ثيؤناس (٢٨٢-٣٠٠م)، هو أنه أوّل بابا يُذكر عنه أنه بنى كنيسة. وكانت على اسم السيّدة العذراء في الإسكندرية. وهنا تجدر الإشارة، إلى أن كنيسة القديس ثيؤناس (282- Saint Theonas 300م)، كانت تقع في الجزء الشمالي الغربي من مدينة الإسكندرية، وهي إحدى المناطق التي سكنها اليهود في القرن الأوّل. وربما يكون ذلك دليل على وجود مسيحيين من أصل يهودي في هذه المنطقة من المدينة، قبل وقت بناء هذه الكنيسة. وربما يكون هذا التّواجد ممتداً راجعاً إلى القرن الأوّل الميلادي. فكما سبق أن ذكرتُ في الفصول السابقة، أن المسيحيين

الأوائل قد عاشوا جنباً إلى جنب مع اليهود، يشاركونهم الحياة في الجامع اليهودية، ويعبدون في كنائس أنشأوها في بيوتهم House Churches في البداية<sup>(٨١)</sup>، قبل أن ينتقلوا إلى كنائس بنوها بغرض العبادة.

ويقول يوسابيوس القيصري، أنه في عصر البابا ثيؤناس، اشتهر أكيل الذي أُقيم قساً في الإسكندرية في نفس الوقت مع بيريوس<sup>(٨٢)</sup>.

### بدء ظهور الكنائس على سطح الأرض

حينما حلَّ عصر سلام مؤقت في أيام جالينوس حوالي سنة ٢٦٢م، بدأت الكنائس تظهر على سطح الأرض. ولكن ما لبث أن تار اضطهاد الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م) سنة ٣٠٣م، حتى كان هدم الكنائس عنصراً أساسياً فيه.

وإنَّ الدليل على وجود مبان كنسية في الإسكندرية قبل القرن الرابع الميلادي، هو دليل ضعيف للغاية، لأنَّ مثل هذه المباني الكنسية التي كانت موجودة في مصر قبل القرن الرابع الميلادي، قد تهدمت من أساسها أثناء اضطهاد الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م). وفي ذلك يقول يوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م) المؤرِّخ:

”رأينا بأعيننا بيوت الصلاة تُهدم إلى الأساس. والأسفار المقدسة الإلهية تُلقى في النار وسط الأسواق. ورعاة الكنائس يخبثون بخزي هنا وهناك ... في السنة التاسعة عشرة من حكم دقلديانوس<sup>(٨٣)</sup> في شهر

81. Birger A. Pearson, *Earliest Christianity in Egypt, Some Observations*, op. cit., p. 152.

٨٢- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٣٢:٧).

٨٣- بدأ حكم دقلديانوس في ١٧ سبتمبر سنة ٢٨٤م، فتكون السنة التاسعة عشرة



ديستروس، الذي يسميه الرومانيون مارس، إذ كان عيد آلام المخلص قد قُرب، أُذيعت أوامر ملكية في كل مكان، تأمر بهدم الكنائس إلى الأساس، وحرقت الكتب المقدسة في النار، وطرد جميع ذوي المناصب الرفيعة، وحرمان خدام البيت من الحرية، إذا أصرُّوا على الاعتراف بالمسيحية<sup>(٨٤)</sup>.

وما يهمُّنا في النص السابق ذكره مباشرة، هو أنه في القرن الثالث الميلادي، كانت هناك عبادة ليتورجية منتظمة في كنائس ذات مبان مميزة ومعروفة، تُقرأ فيها الأسفار المقدسة، بالإضافة إلى الإشارة البالغة القيمة عن احتفال الكنيسة بعيد آلام المخلص.

وهناك دليل موثوق، على أنه كانت توجد مبان كنسية في مصر في أواخر القرن الثالث الميلادي. ولكنه ليس من السهل أن نُحدِّد أماكن هذه الكنائس<sup>(٨٥)</sup>.

أمَّا القديس إبيفانيوس (٣١٥-٤٠٣م)، في كتابه "ضد الهرطقات (١:٦٩)" والذي كتبه سنة ٣٧٥م، فقد أشار إلى وجود عشرة كنائس، كانت قائمة في مدينة الإسكندرية في زمانه.

ومن أشهر هذه الكنائس، "كنيسة البوكاليا - The Church of Boukalis"<sup>(٨٦)</sup>، وهي الكنيسة التي بُنيت - فيما بعد - في نفس موقع

قد بدأت في ١٧ سبتمبر سنة ٣٠٣م.

٨٤- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١:٢:٨، ٤).

85- Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 151.

٨٦- الاسم "بوكاليس" *Boukalis* ربما يكون مرادفاً أو تحريفاً للاسم "بوكولو" *Boukolou*، وكلمة "بوكولو" من الكلمة اليونانية *Tà Boukólou* (بوكولو)، والتي تعني *Cow pastures* أي "مراعي البقر". أي أن "بوكولو" هي نفسها "بوكاليا". وموضعها الآن قرب منطقة حمامات الشاطي بالإسكندرية. وهو ما سبق أن

استشهاد القديس مرقس الرسول، كما تشهد وثيقة "أعمال مرقس". وهو المكان الذي اتخذه المسيحيون الأوائل لعبادتهم. وهو نفسه الموقع الذي أُقيم فيه قبره.

ومع حلول القرن الرابع الميلادي، ومع بداية توثيق تاريخ كنيسة الإسكندرية المبكر، كانت هذه المنطقة خارجة عن المدينة، ولكنها في القرن الأول الميلادي، كانت هي المنطقة الرئيسية لليهود الذين وصفهم يوسابيوس. وربما جرى تدمير هذه المنطقة اليهودية في أثناء حكم الإمبراطور تراجان (١١٥-١١٧م). ومع حلول القرن الرابع الميلادي، صارت هذه المنطقة تقع خارج الجزء الرئيسي من المدينة. ولسنا نعرف بالتحديد الموقع القديم لسور المدينة في هذا الوقت المبكر. وأمّا السور الذي بناه العرب لها في القرن التاسع الميلادي، والذي لا زالت بقاياه موجودة حتى الآن، فهو يضم مساحة أضيق بكثير للمدينة عمّا كانت عليه في القرن الأول الميلادي.

وفي هذا المكان أيضاً كانت الكنيسة التي خدم فيها أريوس كقس في بواكير القرن الرابع الميلادي<sup>(٨٧)</sup>.

ويؤكد المؤرّخون على وجود اثني عشرة كنيسة في ذلك الوقت في مدينة الإسكندرية. وقد لعبت ثلاث من هذه الكنائس دوراً هاماً في تاريخ الكنيسة، وهي:

(١) كنيسة البابا ديونيسيوس (٢٤٧-٢٦٤م). وهي أقدم هذه الكنائس الثلاث.

ذكرته عند الحديث عن استشهاد القديس مرقس الرسول. (انظر هامش ٨١، ص ٦٥).

87- Cf. Birger A. Pearson, *op. cit.*, p. 153, 154.

(٢) كنيسة البابا ثيؤناس (٢٨٢-٣٠٠م). والتي كانت في أقصى الغرب من المدينة، وبالقرب من "باب القمر". وقد تحولت هذه الكنيسة إلى جامع في القرن التاسع الميلادي، والذي عُرف باسم "الجامع ذو الألف عامود"، أو "الجامع الغربي".

(٣) الكنيسة الكبرى. أو الكنيسة القيصريّة. وقد أُقيمت في عصر الأسقف الأريوسي غريغوريوس (٣٣٩-٣٤٥).

أمّا باقي الكنائس الأخرى، فليس لدينا بيانات دقيقة عن أماكن إقامتها في الإسكندرية<sup>(٨٨)</sup>.

وجازت على الكنيسة في النصف الثاني من القرن الثالث، فترة سلام طويلة. ولكن قبل أن تغرب شمس القرن الثالث الميلادي، وقعت الكنيسة القبطية تحت أعنف اضطهاد منظم، على يد الإمبراطور دقلديانوس، وقد توقّف هذا الاضطهاد، بعد أن صدرّ للسّماء شهداء هذا عددهم، توقّف مع نهاية العقد الأوّل من القرن الرابع الميلادي، بصدور منشور ميلان للتسامح الديني سنة ٣١٢م.

---

88. Annick Martin, *Alexandrie à l'époque romaine tardive: l'impact du Christianisme sur la topographie et les institutions*, p. 12-13, dans Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, 1998.



الفصل الثَّاني  
نمو وخصائص كنيسة مصر  
في الثلاثة قرون الأولى

## تمهيد

في هذا الفصل، ناقش موضوعاً لم يُطرق من قبل بين القارئين بالعربية، وهو: كيف باشرت الكنيسة المصرية عملها في الكرازة، لتحويل المصريين في القرى والتُجوع والرَّيف إلى المسيحية، وقد كانت لغة هؤلاء بالطبع هي اللغة القبطية الوطنية، في حين أن كنيسة الإسكندرية منذ نشأتها، هي كنيسة يونانية اللغة والنشاط والثقافة؟ ومن جهة أخرى، هل كان للغنوسية تأثيرٌ على الأقباط؟<sup>(١)</sup>

إنَّ من يحاول الإجابة على مثل هذه التساؤلات، وهو ليس عالماً في القبطيات who is not a Coptic scholar فعليه أن يتحرَّك بحذر، لأنَّ الاكتشافات الكثيرة باللغة القبطية، التي تمَّت في السنوات الأخيرة، بالإضافة إلى المخطوطات القبطية الكثيرة المنتشرة في أنحاء العالم، سواء في مكتباته أو متاحفه، لم يتم دراستها حتى الآن، ولم يُنشر منها سوى النذر اليسير.

## الوثائق القديمة تدل على انتشار المسيحية في رُبوع مصر

إنَّ أوَّل إشارة وثائقية، تدلُّ على أنَّ المسيحية قد انتشرت بين أهل البلاد، أي المصريين، خارجاً عن مدينة الإسكندرية، قد وُجدت في القرن الثالث الميلادي. فالعلامة أوريغانوس (١٨٥-٢٥٤م) هو أوَّل من تحدَّث عن المسيحيين المصريين Christian Αἰγύπτιοι متميزين عن الهلينيِّين “Ελληνες” أي اليونانيِّين.

1. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 64 ff.

ويذكر يوسابيوس القيصري<sup>(٢)</sup> (٢٦٠-٣٤٠م) أنه في اضطهاد سبتيميوس ساويرس Septimius Severus (١٩٣-٢١١م) في بواكير القرن الثالث الميلادي، جاء شهداء من مصر ومن كل أنحاء طيبة - أي من صعيد مصر - إلى الإسكندرية، لينالوا إكليل الشهادة فيها<sup>(٣)</sup>. ومن الطبيعي أنهم لم يكونوا كلهم من المتكلمين باليونانية. لأنه يتضح من كلام يوسابيوس القيصري، أن الكنيسة قد نمت بسرعة في زمن البابا ديونيسيوس الكبير (٢٤٨-٢٦٥م).

وفي رسالة للبابا ديونيسيوس الكبير، يذكر أن المصريين مع اللبيين، استشهدوا في الإسكندرية، في زمن حكم الإمبراطور ديسيوس Decius .

وفي الربع الأخير من القرن الثالث، نعرف أن القديس أنبا أنطونيوس أب الرهبان - والذي لم يتعلم اليونانية قط - كان يسمع فصول القراءات في الكنيسة<sup>(٤)</sup>. فسواء كان ذلك من مخطوطات قبطية، أو عن طريق ترجمة شفوية، لا نعرف، ولكن الذي نعرفه، أنه كان هناك مسيحيون مصريون ترجموا الفصول الكتابية إلى اللهجة التي كانوا يتكلمون بها. ومن هنا كان التباين بين اللهجات التي كتبوا بها.

ومن بردية من البهنسا Oxyrhynchus مؤرخة بتاريخ فبراير سنة ٣٠٤م، نعرف منها أن قارئاً في كنيسة من ضواحي البهنسا يُسمى أوريليوس أمونيوس Aurelius Ammonius يقول فيها إن الكنيسة لا تملك شيئاً ذا قيمة، سواء كان ذهباً أو أواني أو أرضاً، باستثناء بوأبتين

٢- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١:٥).

٣- وكان من بين هؤلاء ليونيدس أبو العلامة أوريجانوس، والذي نال إكليل الشهادة بقطع رأسه بحد السيف.

٤- حياة أنطونيوس بقلم أناسيوس ٢:١

برونزيّتين حُمِلتا إلى الإسكندرية. وتصف هذه المخطوطة، أنّ هذا القارئ لا يعرف الحروف  $\mu\eta$   $\epsilon\iota\delta\omega\varsigma$   $\gamma\rho\acute{\alpha}\mu\mu\alpha\tau\alpha$  أي أنه لا يعرف اليونانية. ومن ثمّ، فهو حتماً يقرأ الفصول الكتابية للشعب باللغة القبطية<sup>(٥)</sup>.

### بدء التحوّل من اليونانية إلى القبطية في أنحاء مصر

وفي هذا الوقت ذاته، نسمع عن أوّل عالم قبطي معروف لدينا، هو هيراكاس Hieracas الذي كتب باليونانية والقبطية. وقد تعلّم كلا العلوم اليونانية والمصرية، مثل الطبّ والفلك والتنجيم، إلى جانب أنه كان عالماً ماهراً في الأسفار المقدّسة<sup>(٦)</sup>.

ومما لا شك فيه، أنّ لغة المسيحية السائدة في مصر حتى ذلك الوقت، كانت هي اللغة اليونانية. ولقد قيل إنّ التحوّل من اليونانية إلى القبطية كان بواسطة الرهبان. ولكن في الحقيقة، فإنّ هذا التحوّل قد حدث مبكراً عن هذا الوقت. ذلك لأنه إن كان تأثير أوائل المتوحّدين ورهبان الأديرة في أوائل القرن الرابع الميلادي هو تأثير قوي فعّال، وهو ما كان قائماً بالفعل آنئذ، إلّا أنّ أساسات المسيحية القبطية، كانت قد وُضعت من قبل. وأنّ الرهبان الأوائل، لا بد أنّهم قد تعلّموا ودرسوا الكتب المقدّسة، والآداب المسيحية، على يد رجال مثل هيراكاس Hieracas وغيره. ورغم ذلك، بقي الكتاب المقدّس بلغته اليونانية في هذه الفترة، هو النّص الرسمي الوحيد في الكنيسة<sup>(٧)</sup>.

ومن أقدم الأدلّة الوثائقية على ما سبق ذكره للتوّ، أي ما يُثبت

5. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 65.

6. Epiphanius, *Haer.*, lxvii, 1, 2-3. ; Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 65, 66.

7. Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 66.



التَّحوُّل من استخدام اليونانية إلى استخدام القبطية في الكرازة بالمسيحية لعامة الشعب من الأقباط، هو العثور على مخطوط يعود إلى أواخر القرن الثالث الميلادي<sup>(٨)</sup>، وهو شبه قاموس يوناني قبطي لآيات من سفرى هوشع وعاموس، وهو على نهرين أو عامودين، وكلُّ نهر يعالج اثنتي عشرة آية من النَّص. النَّهر الأوَّل يرد به النَّص اليوناني، والذي يكون مختصراً أحياناً، ويقابله في النَّهر الثاني النَّص القبطي، وهو مكتمل دائماً. والنَّص القبطي هو بلهجة مصر الوسطى، وهي اللهجة التي تمثل مرحلة مبكرة من مراحل تطوُّر اللُّغة القبطية. وطريقة النَّساختة تدل على أنَّ النَّاسخ هو شخص عالي المعرفة، وغالباً كان مدرِّساً لفصل من الموعوظين في مدرسة ملحقة بالكنيسة<sup>(٩)</sup>.

وفي غضون هذا الوقت أيضاً، ظهرت شروحات بالقبطية لبعض الأسفار المقدَّسة، كسفر إشعياء، وأسفار الأنبياء الصَّغار. وهي شروحات تستخدم اللهجة الفيوميَّة القديمة<sup>(١٠)</sup>، أو اللهجة الصَّعيدية. وهكذا أصبح الأقباط رويداً رويداً، متألِّفين مع لهجتهم القومية أكثر من اليونانية. فهُم حين كانوا يشتغلون بنساختة المخطوطات اليونانية، كانوا يخطئون في كتابة بعض الحروف اليونانية، نظراً لتشابهها مع الحروف القبطية. وهو ما أشار إليه ناشر<sup>(١١)</sup> رسالة ملايتوس Melito أسقف ساردس عن الآلام، والمحفوظة في مكتبة شيلستر بيتي Chester Beatty .

٨- هذا المخطوط مكتوب على ظهر سجل لقطعة أرض. نشره بيل طومسون سنة ١٩٢٥م.

Cf. H.I. Bell-H. Thompson, in *JEA* 11 (1925), p. 241-246.

9- Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 66.

١٠- اللهجة الفيوميَّة القديمة لا تستخدم السبعة حروف اليونانية التي أضيفت على الحروف القبطية.

١١- وهو البروفيسور كاسير Professor Kasser .

وتُعدُّ رسالة ملايتيوس هذه - مع مخطوطة أخرى لسفر الأمثال - أقدم مخطوطتين قبطيتين على الإطلاق، معروفتين لدينا حتى الآن<sup>(١٢)</sup>.

كما أنَّ هناك عدداً من المخطوطات القبطية، كُتبت في غضون هذه الفترة. ومن بينها "قانون باخوميوس" مؤسس الرهبنة التي عُرفت باسمه. وهو قانون كُتب سنة ٣٢١م. ومن بين بنود هذا القانون، ضرورة إتقان المبتدئين والراغبين في السيرة الرهبانية، للمزامير والأناجيل. وهذا يعني توفرها باللُّغة القبطية. إلا أننا لم نعثر حتى الآن على شيء من الأناجيل مكتوب بالقبطية، يرجع إلى القرن الثالث الميلادي.

ومن بين هذه الكتابات المبكرة التي كُتبت بالقبطية أيضاً - إلى جانب اليونانية - سفر الجامعة Ecclesiastes. وهو مخطوط محفوظ في مكتبة لوفان Louvain ببلجيكا، ويعود إلى أواخر القرن الثالث الميلادي أو أوائل الرَّابع. ويقول العالم لوفور L.Th. Lefort ناشر هذا المخطوط، إنه منسوخ بيد ناسخ ماهر محترف في دار نساخة Scriptorium معتاد على النساخة باليونانية والقبطية معاً. وهناك مخطوط آخر لسفر الأمثال Proverbs محفوظ في مجموعة بودمر Bodmer Collection .

وإنه من المتفق عليه عموماً بين العلماء والباحثين، أن كل أسفار العهد الجديد، ومعظم أسفار العهد القديم، وُجدت بالقبطية الصعيدية قبل نهاية القرن الرابع الميلادي، وليس باللُّهجة الصعيدية فقط، بل أيضاً هناك ترجمات إلى لهجات قبطية أخرى غير الصعيدية. أمَّا العلاقة بين اللُّهجة الصعيدية واللُّهجات الأخرى، فهو ما نال جدلاً واسعاً جداً بين المختصين. لأنَّ تاريخ المسيحية في مصر باللُّغة القبطية قبل سنة ٣٠٠م

غامض. ولكن هناك بعض الدلائل التي تستحق منّا إلقاء الضوء عليها<sup>(١٣)</sup>.

أما أقدم شهادة على الإطلاق - كما يذكر دكتور كاليه P.E. Kahle - عن وجود ترجمة قبطية صعيدية لأي سفر من أسفار الكتاب المقدس، فهي تلك الموجودة في كتاب على شكل لوحة مدرسية، مكتوبة باللغتين اليونانية والقبطية a bilingual book in the form of a school tablet<sup>(١٤)</sup>. ويذكر العالم بيل H.I. Bell ناشر هذا الكتاب، أن المدرس يكتب بخط يده على هذه اللوحة، الحروف اليونانية متصلة، والتي نعرف منها، أنها تعود إلى أواخر القرن الثالث الميلادي<sup>(١٥)</sup>.

وإلى جانب ذلك، فهناك أيضاً إحدى لوحات الحساب والصرف. وهي تحوي في مقدمتها افتتاحية باللغة اليونانية، ثم بضعة سطور منقولة عن الفصل الأول من الإلياذة Iliad i ثم ثمانية آيات من المزمور السادس والأربعين مكتوبة بالقبطية. وواضح أن الكاتب كان مسيحياً، ولغته الأولى هي اليونانية، ولكنه تعلم القبطية أيضاً.

وهناك أيضاً كراس للواجب المدرسي، وهو متأخر نوعاً في تاريخه، مكتوب باللهجة القبطية البحرية، ويحوي بضعة آيات من سفر أيوب، ومن إنجيل يوحنا، ومن رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، وهو مكتوب غالباً من الذاكرة. وخط يد المدرس بالقبطية على هذا الكراس، يشبه الحروف اليونانية التي تعود إلى القرن الثالث أو الرابع للميلاد<sup>(١٦)</sup>.

كما أن هناك مخطوط محفوظ في مكتبة هامبورج Hamburg بألمانيا،

13- *Ibid.*, p. 64.

١٤ - محفوظ في مكتبة بودليان Bodleian تحت رقم (Gr. Inscr. 3019).

15- Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 67.

16- *Ibid.*, p. 67.

ويجوي سفر نشيد الأنشاد، والمرثي، وهو باللَّهجة القبطيَّة الفيوميَّة القديمة، إلى جانب أعمال بولس باليونانيَّة، وسفر الجامعة باليونانيَّة والقبطيَّة معاً. وهو مكتوب في حدود سنة ٣٠٠م.

### أقدم قراءات فصحيَّة في مصر معروفة لدينا حتى الآن

وهناك مخطوط ذو خاصيَّة فريدة، وهو مخطوط كروسي<sup>(١٧)</sup>، وهو مكتوب بالقبطيَّة الصَّعيديَّة. ويجوي عظة مليتو Melito أسقف ساردس عن الآلام، وقصَّة الشُّهداء المكابيين كنموذج لكلِّ الشُّهداء، وهي مأخوذة من سفر المكابيين الثَّاني، ورسالة بطرس الرُّسول الأولى، وسفر يونان، وعظة معاصرة لهذا الوقت عن الفصح، أي عيد القيامة. ويذكر الدُّكتور ويليز Dr. Willis ناشر هذا المخطوط أنه يعود إلى القرن الثَّالث الميلادي. كما يذكر أيضاً أن ما يجويه هذا المخطوط، ربما يكون قراءات تختص بالاحتفال بعيد الفصح (القيامة) قبل مجمع نيقية المسكوني الأوَّل سنة ٣٢٥م<sup>(١٨)</sup>. وهو أمرٌ غاية في الأهميَّة، يكشف لنا جانباً من نوعيَّة القراءات الكنسيَّة في عيد القيامة، في كنيسة الإسكندريَّة، في القرن الثَّالث الميلادي.

17- Crosby Codex I in Mississippi.

18- Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 68.

من بين النُّصوص القبطيَّة التي وصفها العالم كاليه P.E. Kahle بأنها تعود إلى النُّصف الأوَّل من القرن الرَّابع الميلادي، مخطوط يجوي سفر التَّثنية، وسفر يونان، وسفر الأعمال. وهو محفوظ في المكتبة البريطانيَّة. وقد نشره العالم بودج E.A.T.W. Budge في لندن سنة ١٩١٢م. أمَّا العالم كينيون Kenyon فيرجعه إلى النُّصف الأوَّل من القرن الثَّالث الميلادي.

وهناك نصوص أخرى تعود إلى نفس هذه الفترة، أي القرنين الثَّالث والرَّابع للميلاد، وقد ذكرها العالم كاليه P.E. Kahle وهي محفوظة في مكتبة برلين، وتحوي سفر التَّكوين، وصعود إشعياء، ومخطوط للمزامير أو الألحان.

ولكن من الملاحظ في هذا المخطوط السّابق ذكره، أنّ هذه القراءات الفصحية تخلو من قراءات من الأناجيل المقدّسة. وهو ما يؤكّد لنا القاعدة المستقرّة، والمعروفة، التي تسلّمها النّسّاخ من بعضهم البعض منذ البداية، وهي ألاّ تدخل الأناجيل مختلطة مع كتابات أخرى في أيّ مخطوط، حتى ولو كانت هذه الكتابات هي أسفار مقدّسة من العهد القديم أو الجديد. أو بمعنى آخر، فإنّ الأناجيل لا توجد أبداً في أيّ مخطوطات مختلطة Mixed codices .

والحصول التي نخرج بها من هذا المخطوط المختلط Mixed codex المتنوّع الموضوعات، هي أنه طالما قد تيسّر لنا الحصول على هذه الشّروحات والنّصوص بالقبطية، فلا بد أنه كان يسبقها أيضاً ترجمات قبطية لسفر التّكوين، وسفر الأمثال، وسفر الحكمة، إلى جانب الزمير والأناجيل. ومن الطّبيعي أن تكون مثل هذه النّصوص لتعليم الكبار، أكثر من كونها نصوصاً لتعليم الأطفال الصّغار.

### انتشار الكرازة بالمسيحية في أرجاء مصر باللّغة الوطنيّة للبلاد

في سنة ١٩٤٠م يكتب بروفييسور باردي G. Bardy فيقول: "كانت الغنوسية هي أوّل من أدرك أهمية الكرازة باللّغة الوطنيّة". ولكن الدّكتور روبرتس Colin H. Roberts يجيب عليه بقوله: إنه ممّا لا شك فيه، أنه قد استُخدمت اللّغة القبطية كترجمة شفهيّة للأسفار المقدّسة في الكنيسة قبل أن تصبح لغة مكتوبة لهذه الأسفار، وربما لأغراض أخرى أيضاً. ولكنني لا أستطيع أن أكتشف أيّ إثبات أو دليل على أنّ الغنوسيين قد كرزوا بالقبطية خلال هذه الفترة التي تتكلّم عنها. لأنه في غضون نهاية هذه الفترة، هناك بعض الكُتب التي تُرجمت إلى القبطية كما سبق أن رأينا.

وهي كُتِبَ ليس فيها أيُّ سمات غنوسية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى - والكلام للدكتور روبرتس Colin H. Roberts - إن كان الغنوسيون هم المسئولين عن ترجمة الإنجيل إلى القبطية، أو بعبارة أخرى، إن كانوا هم قادة التحوُّل من اليونانية إلى القبطية، فهذا يكون دليلاً مقنعاً لسيطرة الغنوسية على الكنيسة المسيحية في مصر، وهو ما سبق أن أثبتنا عكسه<sup>(١٩)</sup>.

ويردُّ الأستاذ كاسير R. Kasser نفس آراء دكتور باردي G. Bardy حينما يقول: إنَّ الأدب القبطي بدأ بالشَّيع المنحرفة المعتقد heterodox وكانت غيرهم وحماسهم سبباً لقيام الكنيسة بنشاط مماثل. ثمَّ يقول: إنَّ المخطوطات الغنوسية ليست أسبق في الوجود من مخطوطات الكتاب المقدَّس. وهو بذلك يناقض رأيه بنفسه. وهذا أيضاً ما يقوله العالم فؤوس A. Vööbus الذي يقول<sup>(٢٠)</sup>: إنَّ أقدم نظام للمسيحية عرفه الشَّعب القبطي المتكلِّم بالقبطية، كان الغنوسية.

ولكن التَّساؤل الذي يردُّ على هذه التَّقارير هو: كيف يمكن لبدعة تتطلَّب قدراً عالياً من الذكاء والفتنة، وتحتاج إلى قدر لا يُستهان به من الذَّهنية العميقة، أن تجد قبولاً لدى جماهير الشَّعب قبل قبولهم لإيمان الكنيسة المستقيمة المعتقد؟ وخاصة أنهم لم يأخذوا مكانة متميِّزة أو سائدة وسط جماعات اليونانيين المسيحيين الذين بلا شك تجذَّههم معتقدات الغنوسية، ولا تجد صعوبة في التَّخاطب معهم.

لقد كانت النُّصوص الغنوسية متداولة بلا شك في المُدن المصرية في

19- Colin H. Roberts, *op. cit.*, p. 68.

20- A. Vööbus, *Early Versions of the New Testament*, Stockholm, 1954, p. 215.

القرن الثالث الميلادي، ونذكر هنا فقط إنجيل مريم Gospel of Mary ، وحكمة يسوع المسيح Wisdom of Jesus Christ . ولكن لم يثبت أن الأعمال الرئيسيّة للغنوسية، قد تمّ تأليفها بالقبطية في هذه الفترة، إذ لا بد أن تكون اليونانية هي التي استخدمت أولاً.

وإن كان الدليل الواضح على جاذبية الغنوسية لدى الأقباط قد ظهر في أواخر القرن الرابع والقرن الخامس للميلاد في معظم مخطوطات نجح حمادي، إلا أنه ليس هناك أي دليل يؤكد على وجود كتابات غنوسية أو مانوية بالقبطية قبل هذا التاريخ. بل إن الكتابات القبطية غير الغنوسية للأسفار الكتابية، كانت قبل الكتابات الغنوسية.

فإذا فحصنا محتويات المخطوطات القبطية التي تعود إلى سنة ٣٠٠م، أو القليل منها الذي يعود إلى ما قبل هذا التاريخ، فإننا نجد القائمة التالية:

- قاموس glossary لشرح كلمات سفري هوشع وعاموس.
- قاموس glossary لشرح كلمات سفر إشعياء.
- قاموس glossary لشرح كلمات أسفار الأنبياء الصغار.
- سفر الحكمة (مخطوطان).
- المزمور الثاني والأربعون.
- سفر نشيد الأنشاد.
- سفر مرثي إرميا.
- سفر يونا.
- سفر المكابيين الثاني.
- رسالة بطرس الرسول الأولى.
- عظة مليتو Melito أسقف ساردس عن الآلام.
- عظة فصحية.

فإن كانت هذه القائمة السابق ذكرها تحوي أيضاً إلى جانبها بالقبطية البحرية أسفار أيوب والأربعة أناجيل، ورسالة رومية، وعرفنا أن الغنوسية لا تميل كثيراً إلى أسفار العهد القديم، وأن مليتو Melito كان مدافعاً قوياً عن الأرثوذكسية، نخلص إلى نتيجة مفادها أن الغنوسية كانت بعيدة عن أن تؤثر تأثيراً فعلياً في المسيحية في كنيسة مصر في هذه الفترة.

ومن ثم، فإن المقولة التي تدعي رباطاً بين الغنوسية وقاعدة شعبية من الأقباط في هذه الفترة، هي مقولة عارية عن الحقيقة<sup>(٢١)</sup>.

وإذا نظرنا نظرة أشمل، ووسعنا الفترة الزمنية التي نبحث فيها حتى إلى القرن السادس الميلادي، فإننا نخلص إلى نفس النتيجة السابق ذكرها مباشرة. ففي دراسة قيمة للعالم كاليه P.E. Kahle لمخطوطات دير البلايزا وهي الدراسة التي نشرها سنة ١٩٥٤م، قدّم لنا تحليلاً عن شكل ولهجة ومحتوى كل مخطوط قبطي يعود إلى ما قبل القرن السادس الميلادي. فمن بين ١٦٣ مخطوطاً قبطياً لدينا ما يلي:

- ٣٤ مخطوط من العهد القديم والأسفار القانونية الثانية بدون المزامير.
- ١٧ مخطوط لسفر المزامير.
- ٥٦ مخطوط للعهد الجديد.
- ٥ مخطوطات لأسفار أبو كريفاء العهد القديم.
- ٩ مخطوطات لأسفار أبو كريفاء العهد الجديد.
- ٩ مخطوطات للآباء.
- ١٩ مخطوط غنوسي.
- ٧ مخطوطات لهرطقة ماني.
- ٧ شذرات غير محددة الهوية.



وإن وجدنا قليلاً من النصوص الغنوسية، وبعض النصوص الأبوكريفية ذات الأصل الغنوسي، فإن تحليلات العالم كاليه P.E. Kahle لمحتويات القائمة السابقة، تُظهر لنا حقيقة مذهشة. وهي أن معظم النصوص الغنوسية - والتي يعود بعضها إلى القرن الرابع الميلادي، والبعض الآخر يعود إلى القرن الخامس الميلادي - هي باللهجة الأخميمية الفرعية Sub Achmimic. أمّا الاستثناءات الوحيدة في هذه اللهجة الأخميمية الفرعية، فهي إنجيل يوحنا من القرن الرابع، ورسالة العبرانيين، التي ربما تكون من نفس هذا القرن. ومن القرن الخامس الميلادي أبوكريفا "أعمال بولس". ومن ثمّ فإنّ مدينة بانوبوليس Panopolis (أخميم الحالية) كانت هي مركز الغنوسية، مع المركز الآخر الذي حفظ لنا مخطوطات نجع حمادي، وذلك في مقابل مدينة البهنسا Oxyrhynchus.

ومن وصف مؤلف كتاب "تاريخ الرهبنة في مصر *Historia Monachorum in Aegypto*" لمدينة البهنسا Oxyrhynchus، تظهر لنا هذه المدينة كمدينة ضخمة جداً، نشيطة في أعمال الخير وضيافة الغرباء، تحوي اثنتي عشرة كنيسة، وخمسة آلاف راهب في أديرة قائمة بالمدينة، وخمسة آلاف آخرين غيرهم حول المدينة. وليس هناك وثيون ولا هرطقات، بل إنّ عدد الرهبان فيها أكثر من عدد العلمانيين. فالصورة هنا مثالية إلى حد بعيد. ونحن نعرف أنّ الممارسات الوثنية، والثقافة الوثنية، قد عاشت زمناً طويلاً في مدينة بانوبوليس Panopolis (أخميم الحالية) عن أيّ مكان آخر، وأنّ نجاح الغنوسية فيها، راجع إلى ارتباطها الطبيعي بالثقافة اليونانية أكثر من ارتباطها بالثقافة المصرية.

فالتباين بين الغنوسية وبين الثقافة المصرية، يجعلنا نتمهّل قبل أن نضع مبادئ وآراء معمّمة وشاملة، وذلك لاختلاف طبائع وجغرافية وتاريخ

الثقافة لكل منطقة وولاية في أنحاء مصر. وإن تباین الحالات بين منطقة وأخرى من مناطق البلاد، يمكننا من التعرف على جانب من التاريخ المبكر لكنيسة مصر.

### ملخص خط سير المسيحية وانتشارها في ربوع مصر

وهكذا يمكن تلخيص خط سير المسيحية في مصر خلال الثلاثة قرون الأولى، اعتماداً على النتائج المستخلصة من البرديات، وهي رغم جزئيتها إلا أنها إذا وُضعت الواحدة منها بجانب الأخرى، تستطيع أن تكمل لنا قصة وتاريخ المسيحية في مصر، إلى أن تكشف الرمال عن آثار أخرى مخبأة فيها، تصحح أو تغير هذه الحقائق.

فوصول المسيحية إلى مصر، والذي يُعزى إلى اليهود، وبالتحديد يهود الإسكندرية، قد جاءها من كنيسة أورشليم. وقد أجهضت هذه الإرسالية المبكرة بسبب الصعوبات المتزايدة التي أعاقت العلاقة بين اليهود وبين اليونانيين من جهة، وبين اليهود وبين الرومانيين من جهة أخرى.

وهكذا ارتبطت المسيحية المبكرة في مصر باليهودية، لأن البشارة التي وصلت إلى مصر كانت ذات ميول يهودية، أي ميول من اليهود الذين قبلوا المسيحية، أكثر من كونها تميل إلى تعاليم بولس الرسول.

وهكذا ثبت الحال على ما هو عليه في كنيسة مصر حتى نهاية القرن الثاني الميلادي، مع الانتشار البطيء للمسيحية في ربوع البلاد. وعندما تحررت المسيحية من القيد اليهودي الذي كبلها، وذلك في العشرينيات من القرن الثاني الميلادي، وجدت الطاقات الكامنة في الكنيسة اتجاهات جديدة، وصيغة جديدة، للتعبير عن هويتها. ونحن نظن أنه خلال القرن الثاني الميلادي، لم تكن الكنيسة في مصر ذات سلطة مركزية قوية، بل

كانت لازالت قليلة التنظيم، فمما فيها اتجاه، تطوّر إلى الغنوسية. وكانت الغنوسية في بدايتها غير منفصلة عن الكنيسة، وهي نتاج تعليم أبرز شخصين من قادتها هما باسيليدس Basilides وفالنتينوس Valentinus اللذان أثرا على المسيحية في العالم كله، وليس في مصر وحدها. ولكن هذا لم يكن هو كل مضمون المسيحية في مصر.

إن الحدود الفاصلة بين الغنوسية والمسيحية في كنيسة مصر، كانت تنمو ببطء. وهو ما نراه في كتابات العلامة كليمنديس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م)، والعلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) أيضاً. ومن ثم، فإن الفصل بينهما في البداية، كان غير واضح المعالم. ولكن بفضل مدرسة الإسكندرية اللاهوتية التي أعيد تأسيسها بواسطة العلامة بنتينوس Pantaenus، صارت الكنيسة أكثر تنظيمًا ونشاطاً رعوياً وكرازيًا. فانطلقت الكنيسة تباشر مهمتها الكرازية بين المصريين في الريف والقرى والتجوع، مع ظهور اللغة القبطية كلغة شعبية تخاطب بها الشعب المصري (٢٢).

إن المسيحية في مصر، كانت تسير مثلما كانت تسير في سائر المناطق والأقطار الأخرى في العالم، فهناك "أساس عام مشترك" في القرن الثاني الميلادي يربط بينها جميعاً، وهو: رفض هرطقة التخليئة docetism وقبول العهد القديم، وأن الوحي الإلهي هو في متناول الجميع، وليس لئحة مختارة فحسب. وهذا الأساس الجيني هو قلب الأسفار المقدسة المقبولة عند أغلبية المسيحيين، حتى الغنوسيين أيضاً. وإن بداية ظهور تقنين للأسفار المقدسة، كان بسبب وجود نواة إيمانية متفق عليها من الجميع، أفضت في النهاية، إلى قبول الأسفار المعتمدة لدى الجميع، بأنها

ذات سلطان قانوني تعليمي.

وإذا رجعنا إلى قائمة الكتب التي كانت تُقرأ في الكنيسة الإقليمية في القرن الثاني الميلادي، وتأكيداً على أهمية أسفار العهد القديم، ثم غياب أية نصوص من بدعة الدوسيتيين (التخيليين) docetic مع نُدرَة الكتابات الغنوسية، بالإضافة إلى اللاهوت المتضمن والكامن وراء اختصار الأسماء المقدسة Nomina Sacra، نجد أن الكنيسة المصرية تتجاوب حسناً وبطريقة إيجابية مع كل الكنائس الأخرى المستقيمة الرأي. ولكن ربما لم تكن قد تنظمت بدقة كسائر الكنائس الأخرى، إذ كانت كنيسة متنوعة المشارب، ولكن الوحدة كانت تجمع كل هذه الاتجاهات، فتنمو وتتطور وتتعدل، بحيث لا يغلب عليها أي طابع متحيز أو منحرف. بل قادرة أن تُطور نفسها، لتتماشى مع الاتجاه المسيحي في الكنيسة الجامعة. وهي ليست في ذلك تختلف عن أية كنيسة أخرى معاصرة، حيث كان الزوان والحنطة ينموان معاً.

ومرّت السُّنُون، وجاء القرن الرابع الميلادي، وإذا ببذرة الحنطة التي أُلقيت في القرنين الأوّل والثاني قد أزهرت، وأينعت، ونمت شجرة مورقة في القرن الثالث الميلادي، استظل بظلها الكثيرون. وابتداءً من الربع الثاني من القرن الرابع<sup>(٢٣)</sup>، صارت الشجرة عظيمة مثمرة، اغتذت كل الكنيسة الجامعة من ثمرها. وهي الشجرة التي نمت وترعرعت في تربة مصرية وطنية، حيث بلغت كنيسة الإسكندرية كمال نُضجها، وطبقت شهرتها الآفاق، وأصبحت منذ ذلك الوقت، ملهمة ومُعَلِّمة المسكونة كلها<sup>(٢٤)</sup>.

٢٣- أي ابتداءً من سنة ٣٢٥م، وهو تاريخ مجمع نيقية، وبداية ظهور أثناسيوس الرسولي في كنيسة الإسكندرية.

الفصل الثالث  
الملاحح اللّيتورجّية لكنيسة الإسكندريّة  
في القرن الثالث الميلادي

## الملاح الليتورجية لكنيسة الإسكندرية في زمن العلامة أوريجانوس

تحدثتُ معك قارئ العزيز عن العلامة أوريجانوس في الفصل الأوّل من هذا الباب الثالث. ولكن العجالة التي قدّمها عنه لا تليق بمكانة الرّجل؛ فهو أسمى من أن تُحصى سيرته في سطور، لأنها تكلّلت بالآلام من أجل المسيح. ولأنّ مؤلفاته الغزيرة الوفيرة الخصب، التي تبقت لنا اليوم - بعد أن ضاع معظمها - تشهد له ولأمانته للكنيسة ومحبة الإنجيل. وهو إن كان قد زلّ في بعض من تعاليمه، نظراً للجرأة التي يندفع بها عقله في مغامرة يقتحم بها المجهول، ليسر أغواراً لم يسبقه غيره إليها، إلاّ أنّ أشعة الشمس لا يشوبها أن يتخللها غبار، تثيره زوبعة قرب السّفح.

لقد سردتُ هذا الجانب من تاريخ هذا المعلّم العظيم، لكي أقول إنّ أوريجانوس قد أثر بتعليمه على كثير من بلاد المشرق، نظراً لإعجاب أساقفة هذه البلاد به أيّما إعجاب. وفي الوقت الذي فيه تعرّض للحرمان من كنيسة الإسكندرية، امتد أثره إلى فلسطين وأخائيه وبلاد العرب وفينيقيا وكبادوكيا. وهنا يشير يوسابيوس القيصري إشارة في غاية الأهمية، يقول فيها إنّ الإسكندر أسقفُ أورشليم، وثيؤكتستوس أسقفُ قيصرية، قد سمحا لأوريجانوس بتفسير الأسفار الإلهية وتأدية الواجبات الأخرى المتعلقة بالشعائر الكنسية<sup>(١)</sup>.

إذا؛ فلم يكن سهلاً وقد صار أوريجانوس كاهناً يخدم ليتورجية في كنائس فلسطين، ألاّ ينتقل معه التقليد الليتورجي لكنيسة الإسكندرية إلى هذه البلاد. لأنه ظلّ وفياً لكنيسة ومدينة الإسكندرية، تلك

١ - يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٢٧:٦).

المدينة التي وُلد فيها، وتربي وتعلّم فيها، وأحبّها من كل قلبه، إذ أنه بعد نياحة الأنبا ديمتريوس أسقف الإسكندرية سنة ٢٣٢م، رغب أوريجانوس في العودة إليها، لكنّه لم يجد قبولاً من هيراكلوس بابا الإسكندرية الـ ١٣ والذي تمسّك بقرارات مجمع الكهنة والأساقفة الإسكندريين.

ولقد لُقّب أوريجانوس في حياته باسم "أدامانتيوس"، كمرادف لاسمه "أوريجانوس" (٢). وهي كلمة يونانية تعني "الذي لا يُغلب". ويذكر القديس جيروم (٣٤٢-٤٢٠م) أنّ هذا الاسم قد أُطلق عليه بسبب جهاده الذي لم يكل. كما علّل فوتيوس اسمه هذا بسبب قوّة حجّته التي لا تُغلب.

إنّ أيّ شارح لأسفار الكتاب المقدّس، لا يعود إلى ما تبقى لأوريجانوس من شروحات عليها، يفوته حتماً الشيء الكثير. فالعلامة أوريجانوس هو أوّل من أرسى علم تحقيق نصوص الكتاب المقدّس، وهو العمل الذي استغرق منه معظم حياته بل كلّها. وإنّ "الهكسابلا - Ἑξαπλᾶ Βιβλία" شاهدٌ على ذلك. فهو المؤلّف الضخّم الذي بلغ أكثر من خمسين مجلداً. والترجمة السبعينية - وهي إحدى الترجمات الستة التي حواها هذا المؤلّف - لازالت بين أيدينا، وتوجد في ترجمة سريرية للهكسابلا، ترجع إلى القرن السابع الميلادي، قام بها أسقف تلالا (٣).

وهذه الترجمة السبعينية، هي الترجمة التي نقلت عنها الترجمة القبطية، والتي لازالت تُقرأ في الكنيسة القبطية حتى اليوم. وقد اقتبس من هذا النصّ أيضاً أغلب آباء كنيسة أنطاكية وكنيسة القسطنطينية، بل يكاد يكون هو النصّ المعتمد لدى الكنيسة البيزنطية والشائع حتى يومنا

٢- نفس المرجع، (١٠:١٤:٦).

٣- وهي مدينة بجوار الإسكندرونة في سوريا.

هذا. وإن كنا لا نستطيع أن نفصل قراءة الأسفار المقدسة عن الليتورجيا، فإننا بالتالي لا نستطيع أن نغفل فضل العلامة أوريجانوس على الحياة الليتورجية لكنائس الشرق كله.

ومن جهة أخرى نستطيع أن نتعرف على تقوى أوريجانوس وروحانيته، من مقالة له عن "الصلاة"، كتبها سنة ٢٣٣م أو سنة ٢٣٤م تحت إلهام صديقه أميروسيوس. وهي محفوظة في مخطوطة وحيدة باللغة اليونانية، محفوظة في جامعة كامبردج. وفي القسم الأول منها، يُعدّد أنواع الصلاة التي نقدّمها إلى الله، وفي القسم الثاني، يشرح الصلاة الربّية. كما يذكر أيضاً أوضاع الصلاة والعبادة، ومعنى الاتجاه للشرق.

ولقد كانت المبادئ المشروحة في هذه المقالة، ذات تأثير بعيد المدى على تاريخ الروحانية الشرقية. ففي هذه المقالة، يُعلّم أوريجانوس أن الصلاة يجب أن تُوجّه إلى الأب من خلال الابن، وهو التّعليم الذي ساد وتميّزت به كنيسة الإسكندرية، وانتقل منها إلى العالم المسيحي. وكان العلامة أوريجانوس هو أوّل من أرسى قواعده، تدويناً وشرحاً. كما أنّ تعليمه بخصوص الابن، الأبنوم الثاني، كان ذا تأثير قوي وإيجابي على مستقبل الكنيسة الجامعة من بعده. فالمسيح - عند أوريجانوس - هو المرأة الحقيقية الكاملة التي عكست على الخليقة صلاح الأب، وحبّه، وحقيقته، وكلّ ما يختص به. ولا ينبغي أن نغفل هنا أن أوريجانوس في كثير من عظاته العامة، كان يوجّه خطابه في صلاته إلى المسيح مباشرة، هذا الذي أحبه منذ شبابه حتى إلى الرضا بالشهادة. وهو الذي تألم وتغربّ بفرح من أجله في شيخوخته.

فمن أنواع الصلاة التي نقدّمها إلى الله، يورد العلامة أوريجانوس



التعبيرات الليتورجية الآتية:

- الأوشية (إفكي). εὐχή (إفكي).
- الإبروسة προσευχή (بروسيفكي).
- الطلبة δέησις (ذيتيسيس).
- التشفع ἔντευξις (إنتيفكسيس).
- الشكر εὐχαριστία (إفخارستيا).

فيقول في ذلك:

[”الأوشية“ يصاحبها نذر. كصلاة يعقوب إلى الله، ليصاحبه في رحلته إلى ما بين النهرين. أو كصلاة موسى من أجل فرعون، عندما نذر فرعون أن يُطلقهم لو صلّوا، ورفع الله عنه ضربة الضفادع.

أمّا ”الإبروسة“، فهي مثل صلاة حنة أم صموئيل. بمرارة النفس. فحنة توسّلت بإبروسة ونذرت بأوشية.

ونحن ليس بلا سبب نفرّق بين النوعين من الصلاة من واقع الأسفار، لأن هاتين الكلمتين مستخدمتان بصورة عامة، وبحسب العادة (التقليد)[<sup>(٤)</sup>.

[أطلبوا الأمور الكبيرة، تُمنح لكم الأمور الصغيرة وتُزاد. اطلبوا السمائيات، تُزاد لكم الأرضيات ... «فأطلبُ أوّل كل شيء، أن تُقام طلبات، وصلوات، وتشفّعات، وتشكرات، لأجل جميع الناس، لأجل الملوك ...» (١ تيموثاوس ٢: ١).

**فالطلبات** δέησις هي سؤال من أجل احتياجات. (٥)

أما **الصَّلوات** προσευχή فهي التي تُقدَّم على مستوى التَّكريم، مع تسبيح بواسطة الإنسان، من أجل أمور هامة.

أما **التَّشْفَعات** (الابتهالات) ἐντευξις فهي ترجِّي الله بواسطة آخر، عنده مزيد من الثقة في الله.

أما **التَّشْكُرات** εὐχαριστία فهي مديحٌ وشكر من أجل بركات حصلنا عليها من الله. ونحن نعترف بها بتقديم المديح اللاتق بعظم هذه البركات ...

ولأنَّ التَّشْفَعات هي فوق طاقتنا، فإنَّ الرُّوح القُدُس هو الذي يُقدِّمها: «الرُّوح (القُدُس) نفسه يشفع فينا بأنَّات لا يُنطق بها ... لأنه يشفع في القديسين» (رومية ٨: ٢٦، ٢٧).

وأما الشُّكر، فهو يُقدَّم للمسيح، لأنه قدَّم لنا كلَّ ما ينفعنا حسب إرادة الله<sup>(٦)</sup>.

ويتكلَّم العلامة أوريجانوس عن الاتجاه للشرق في الصَّلاة، معلِّلاً ذلك بنفس ما سبق أن قاله العلامة كليمنديس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م). فيقول أوريجانوس:

**[الشرق هو الاتجاه الملائم الذي نتَّجه إليه عند**

٥- أي أن صلاة الكاهن في القُدَّاس الإلهي، وأمام الذبيحة المقدَّسة، هي "أوشية". وصلاة الشَّماس هي "إبروسة". وصلاة الشَّعب هي "طلبة".  
انظر: الأب متى المسكين، مرجع سابق، ص ٤٥٥ بتصرُّف.  
٦- عن الصَّلاة (٢: ١٤).

الصَّلَاة، حيث تتطَّلَع النَّفْس بِالرَّمْزِ إِلَى الثُّورِ الْحَقِيقِيِّ، مِنْ  
حَيْث يُشْرَق الثُّورُ<sup>(٧)</sup>.

وَيُطْلَعُنَا الْعَلَمَةُ أورييجانوس على تقليد الكنيسة القديم جداً، والذي  
يبدأ الصَّلَاة بِالذُّكْصَا، وَيَخْتَمُهَا بِالذُّكْصَا أَيْضاً، وَهُوَ نَفْسُ مَا تَمَارَسَهُ  
الكنيسة حتى اليَوْمِ، سِوَا فِي لِيْتُورجِيَّةِ الْقُدَّاسِ الْإِلَهِيِّ، أَوْ فِي صَلَوَاتِ  
السَّوَاعِي، عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ. فَيَقُولُ:

[وَكَمَا بَدَأْنَا الصَّلَاةَ بِتَمَجِيدِ اللَّهِ، فَمِنْ الْمُنَاسِبِ أَنْ  
نَخْتَمُهَا بِتَمَجِيدِ وَبَتَسْيِيحِ: "نَمَجِّدُ الْآبَ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ فِي  
الرُّوحِ الْقُدُّوسِ"<sup>(٨)</sup>.

وَيُعَدُّ كِتَابُ الْعَلَمَةِ أورييجانوس "فِي الْمَبَادِي" ΠΕΡΙ ἈΡΧΩΝ من  
أهم أعماله اللاهوتية، حيث غطى مساحة واسعة من أساسيات تعليمه  
اللاهوتي، وذلك في أربعة كُتُب، كأوَّل محاولة لتبويب التَّعْلِيمِ الْإِلَهِيِّ  
الْمَسِيحِيِّ وَتَرْتِيبِهِ مِنْهَجِيًّا. وَلَكِنْ مَعَ الْأَسْفِ، لَمْ يَبْقَ مِنَ الْأَصْلِ الْيُونَانِيِّ  
لِهَذَا الْعَمَلِ سِوَى شَذَرَاتٍ قَلِيلَةٍ، وَوُجِدَتْ فِي الْفِيلُوكَالِيَا الَّتِي وَضَعَهَا كُلُّ  
مِنَ الْقُدِّيسِ بَاسِيلْيُوسِ الْكَبِيرِ (٣٣٠-٣٧٩م) وَالْقُدِّيسِ غَرِيغُورِيُوسِ  
النَّزِينِيِّ (٣٢٩-٣٨٩م)، وَمَرْسُومَيْنِ أَصْدَرَهُمَا الْإِمْبَرَاتُورُ جُوسْتِنْيَانُ  
(٥٢٧-٥٦٥م). وَمَا بَيْنَ أَيْدِينَا الْآنَ عَنِ هَذَا الْكِتَابِ "فِي الْمَبَادِي"، هُوَ  
التَّرْجُومَةُ اللَّاتِينِيَّةُ الَّتِي قَامَ بِهَا رُوفِينُوسُ (٣٤٥-٤١٠م).

إِنَّ دَرَاةَ نِصُوصِ كِتَابَاتِ الْعَلَمَةِ أورييجانوس، تَكْشِفُ لَنَا أَنَّهُ هُوَ  
الَّذِي نَحْتُ أَوْ صَاغَ كَافَّةَ التَّعْبِيرَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي عُرِفَتْ فِي الْكَنِيسَةِ

٧- عَنِ الصَّلَاةِ (٣٢).

٨- عَنِ الصَّلَاةِ (٦:٣٣).

الجامعة بعد ذلك. بل لم يُضف آباء الكنيسة من بعده شيئاً يُذكر لهذه التعبيرات أو الصيغ اللاهوتية.

فعلى سبيل المثال، هو أول من نحت تعبير الـ  $\delta\mu\omicron\upsilon\sigma\iota\omicron\varsigma$  (هوموؤسيوس)، أي "مساواة الآب والابن في الجوهر". وهو المصطلح الذي استخدمه البابا أثناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، وجعله معياراً للإيمان المسيحي القويم. وهو ذات المصطلح الذي لازالت كنائس المسكونة كلها تُردده في صلواتها الليتورجية حتى اليوم.

بالإضافة إلى المصطلحات الكريستولوجية الأخرى، أي المختصة بالسيد المسيح، والتي منها مصطلحات  $\Theta\epsilon\acute{\alpha}\nu\theta\rho\omega\pi\omicron\varsigma$  أي "الإله المتأنس"، و  $\omicron\upsilon\sigma\iota\alpha$  أي "الجوهر"، و  $\upsilon\pi\omicron\sigma\tau\acute{\alpha}\iota\varsigma$  أي "الأقنوم"، و  $\Phi\upsilon\sigma\iota\varsigma$  أي "الطبيعة" ... الخ.

والعلامة أورييجانوس (١٨٥-٢٥٤م) هو أيضاً أول من استخدم مصطلح الـ  $\Theta\epsilon\omicron\tau\omicron\kappa\omicron\varsigma$  (ثيوطوكوس) أي "والدة الإله"، وذلك في تفسيره لرسالة رومية. وهو نفس المصطلح الذي نجده عند هيولييتس الروماني (+ ٢٣٦م)، وكثير من الآباء الآخرين<sup>(٩)</sup>. وهو المصطلح الذي ثبته مجمع أفسس المسكوني الثالث سنة ٤٣١م، حيث توسّع البابا كيرلس الأول عامود الدين (٤١٢-٤٤٤م) كثيراً في شرحه.

٩- مثل البابا بطرس الأول بابا الإسكندرية الـ ١٧ (٣٠٠-٣١٠م)، والبابا ألكسندروس الـ ١٩ (٣١٢-٣٢٨م)، والبابا أثناسيوس الرسولي الـ ٢٠ (٣٢٨-٣٧٣م)، والقديس غريغوريوس التزينزي (٣٢٩-٣٨٩م)، والقديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م)، والقديس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م)، والقديس غريغوريوس التيسي (٣٣٥-٣٩٥م)، وبروكولوس بطريك القسطنطينية.

وهناك صلاة أو قطعة ليتورجية تحمل عنوان "ثيؤطوكوس"، تعود إلى القرن الثالث الميلادي تقريباً، ونصُّ هذه الصلوة هو: "تحت حراسة رحمتك مُهْرَب، يا والدة الإله. لا تهملني صلواتنا عندما نكون في ضيق، لكن خلّصنا من الخطر، أيتها الوحيدة الطاهرة، المباركة في النساء". بل ويُظنُّ أنَّ المصطلح Θεοτόκος كلقب تكريم للسيدة العذراء، قد نشأ في الإسكندرية، في العشر سنوات الأخيرة من القرن الأوّل الميلادي<sup>(١٠)</sup>.

### مقتطفات من الكتابات الليتورجية للعلامة أوريجانوس<sup>(١١)</sup>

سبق أن ذكرتُ من قبل - عند الحديث عن العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) - أنَّ كتابه "القوانين الكنسية"، هو تلك التعليمات الطقسية والليتورجية التي جُمعت في كتاب. وهو ما يؤكده هنا العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م)، حين كان يردُّ على إدعاءات كلسوس، الذي رأى في أيدي الكهنة كُتُباً، ادَّعى أنَّ فيها أسماء الشياطين، وتعاويز خاصة بها. فيرد عليه أوريجانوس بقوله:

[إنَّ هذه الكُتُب تحوي الصلوات التي يستخدمونها في الصلوة بحسب الأوامر المرسومة، والأنظمة المحددة. وهذه الصلوات هي التي تجعلهم محصّنين، ولا يُقهرون قط أمام الشياطين، وكلِّ قوى السحر]<sup>(١٢)</sup>.

10. Mari Leena Petlomaa, *The Image of the Virgin Mary in the Akathistos hymn* (The Medieval Mediterranean 35), Leiden, Boston 2001, p. 104f.

مقتبس عن: دكتور مجدي رشدي، دراسة عن الثيوطوكيات القبطية السبع، مجلة مدرسة الإسكندرية، السنة الأولى، العدد الثاني، ٢٠٠٩م، ص ١٣٦، ١٣٧

١١- اعتمدت في هذه الجزئية على كتاب الأب متى المسكين، عن الإفخارستيا عشاء

الرَّب، مرجع سابق، ص ٤٤٩-٤٦٢ من جهة النصوص، أمّا الشرح فتصرف

١٢- ضد كلسوس (٦:١).

ويشير العلامة أوريجانوس إلى أربعة مناسبات كنسية تحفظها الكنيسة منذ البداية، وهي يوم الأحد الذي هو يوم الرب. ويوم الصليب، وهو يوم الجمعة العظيمة، والذي يدعوه "الاستعداد"، وهو الاسم القديم جداً لهذا اليوم في تقليد الكنيسة، وعيد القيامة، وعيد حلول الروح القدس الذي هو يوم الخميس. فيقول:

[الإنسان يُعَيّد بالحق إذا كان أميناً على ما هو واجب عليه، مُصلياً على الدوام، مُقدماً على الدوام ذبائح غير دموية في الصلاة لله. ونحن حسب العادة نحتفظ بأيام محددة؛ كيوم الرب، ويوم الاستعداد، ويوم الفصح، ويوم البنطيقستي] (١٣).

ويشرح أيضاً أن الاعتراف بالخطايا في زمانه، هو على مستويين، المستوى العلني أمام الجماعة، وهو الأقدم في الكنيسة، والمستوى السري، أي الاعتراف الشفهي على الكاهن، وهي أول إشارة واضحة ترد إلينا من كنيسة الإسكندرية، تُثبت وجود الاعتراف السري على الكاهن، في هذا الوقت المبكر من تاريخها. فيقول أوريجانوس:

[إن الاعتراف العلني بالخطايا ἐξομολόγησις من الوسائل الناجعة والمؤثرة] (١٤).

[لكي تُصبح توبة الخاطيء كاملة، يتحتّم الاعتراف على كاهن الله] (١٥).

١٣- ضد كلسوس *Against Celsus* (٢١:٨، ٢٢).

١٤- عظة ١ على مزمو ٣٦، فصل ٥

١٥- عظة على سفر اللاويين (٤:٢).

ويخاطب المعترف قائلاً له:

[دقق باهتمام عند من تعترف بخطاياك. عليك أولاً أن تضع الطيب تحت الاختبار، حتى تعرف إن كان قادراً أن يكون ضعيفاً مع الضعفاء، وباكياً مع الباكين. وانظر إن كان يعتقد أن وجعك (خطيئتك) هي من النوع الذي ينبغي أن يُعرف ويُشفى في حضرة الجماعة المجتمعة، فاتبع المشورة إن كان الطيب متمرساً ومختبراً]<sup>(١٦)</sup>.

وفي قول مهم للغاية، يتحدث عن الكهنة الذين يتقبلون سر الاعتراف، فيقول عنهم:

[يوجد كهنة هم بالحق، كهنة للكاهن الأعظم. هؤلاء تقبلوا معرفة الشفاء الذي ينحدر من الله. وتعلموا من الروح القدس عما يختص بالخطايا التي ينبغي أن يرفعوا عنها ذبيحة، ومتى يكون ذلك، وبأيّ كيفية. كما تعلموا أيّ الخطايا التي لا ينبغي أن يصنعوا لها هكذا.

ولكن يوجد آخرون، لا أعلم كيف ادّعوا لأنفسهم، بغير وجه حق، قدرة شخصية على الحل أكثر من سلطانهم الكنسي الذي بحسب الطقس. ربما لعدم تمكنهم من معرفة حدود اختصاص الكهنوت الذي لهم. فافتخروا بأنهم قادرون أن يغفروا خطايا؛ مثل عبادة الأوثان، أو الزنا، أو النجاسة، على أساس أنه بواسطة صلواتهم عليهم، يجلوهم منها، حتى ولو كانت «خطاياهم للموت» (١ يوحنا ٥: ١٦؛ ٢ بطرس ٢: ٢٠-٢٢).

ويُشير العلامة أوريجانوس إلى عادة، بَطَلَتْ منذ زمانه. وهي غسل الرجلين قبل إقامة الإفخارستيا. أمّا عادة غسل اليدين قبل الصلاة، فهي التي ظَلَّت سارية حتى اليوم، سواء قبل الصلاة في البيت أو في الكنيسة. يقول أوريجانوس:

[لقد بَطَلَتْ عند الغالبيّة، عادة غسل الأرجل قبل إقامة الأسرار]<sup>(١٧)</sup>.

ويتحدّث العلامة أوريجانوس، وبكلّ وضوح، عن ظهور واستقرار طغمة الموعوظين في الكنيسة، ومن ثمّ ظهور قُدّاس الموعوظين في الكنيسة. وهي الطغمة التي ظَلَّت قائمة حتى إلى القرن السّادس الميلادي تقريباً. فيقول في ذلك:

[إنّ الذي قد أصبحت نفسه عازفة عن كلّ شرّ لمُدّة طويلة، وخاصة بالنّسبة للذين يسمعون الكلمة، فمسموحٌ لهؤلاء أن يحضروا ليسمعوا تعاليم الرّب يسوع لتلاميذه، التي كان يقولها لهم خاصة وعلى انفراد.

وحينما يظهر أنّ الذين قد سعوا وراء الحق، هم في تقدّم حقاً، وأنهم قد تطهّروا بالكلمة، وقد ساروا في حياة أفضل، فعندئذٍ - وليس قبل ذلك - ندعوهم لكي يشتركوا معنا في الأسرار]<sup>(١٨)</sup>.

[كلّ الذين تطهّروا، ليس فقط من النّجاسة، بل وأيضاً من التّعدييات المحسوبة أنّها صغيرة، فهم مدعوون لكي يتقدّموا

١٧- عظة عن إنجيل يوحنا ٧:٣٢

١٨- ضد كلّسوس (٥٩:٣).



لأسرار المسيح بكلّ شجاعة. لأنها موضوعة ومعلنة فقط للأطهار والقديسين ... فهناك فرقٌ بين أن ندعو الأشرار ليبرأوا (بالتعليم)، وبين أن ندعو الذين قد انفتحت بصيرتهم وتطهروا، للاشتراك في الأسرار المقدسة<sup>[١٩]</sup>.

[نحن ندعو الأشرار واللصوص ... ولكن ندعوهم إلى التّطيب والشّفاء بالكلمة أولاً، لأنّ في الكلمة الإلهية معونة لشفاء هؤلاء المرضى بحسب الكلمة القائلة: «إنّ الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب، بل المرضى» (متى ١٢: ٩). أمّا الآخرون الأطهار نفساً وجسداً، فيليق لهم «إعلان السرّ الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزلوية، ولكن أظهر الآن، وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية» (رومية ١٦: ٢٥، ٢٦)<sup>[٢٠]</sup>.

[الله الكلمة، أرسل إلى العالم بالحقيقة طبيباً للخُطاة، ومعلماً للأسرار السّماوية للذين يتطهرون ولا يعودون يخطئون]<sup>[٢١]</sup>.

[كلّ الذين سبق تقديسهم بالروح القدس، يصيرون مؤهلين للاشتراك في قبول المسيح، باعتبار أنّ المسيح هو برّ الله]<sup>[٢٢]</sup>.

وفي موضع آخر من كتاباته، يشير العلامة أوريجانوس إلى أنّ ليتورجية الموعوظين تسبق ليتورجية المؤمنين، وأنّ الموعوظين يحضرون

١٩- ضد كلسوس (٦٠: ٣).

٢٠- ضد كلسوس (٦١: ٣).

٢١- ضد كلسوس (٦٢: ٣).

٢٢- المبادئ (٨: ٣: ١).

العظة (٢٣). وأنَّ القراءات تشمل فصولاً من العهد القديم والعهد الجديد، ثمَّ عظة على موضوع القراءات (٢٤). ويتبع العظة مباشرة، مجموعة صلوات، ينهض فيها كلُّ الشعب وقوفاً. وبعد الصلوات تقدم القرايين، ثم تكون قبة السَّلام (٢٥).

وعن الأواشي في القدَّاس الإلهي في زمن العلامة أوريجانوس، يشير إلى أواشي أهوية السَّماء، وثمرات الأرض، ومياه الأثمار، معتبراً أنَّ لكلِّ منها ملائكة مخصَّصون لذلك، فيقول:

[نحن نتمسكُ باعتقادنا، أن ليست ثمار الأرض فقط، بل مجاري الأثمار، والهواء، وينابيع المياه التي تُفرَّج الأرض، والهواء يحتفظ بنقاوته. ولكن ذلك يكون فقط بواسطة ورعاية وضبط الخلائق المخصَّصة لذلك، وهم ما نسميهم الوكلاء والحُرَّاس غير المنظورين] (٢٦).

وعن تقديم باكورات الأثمار لله، يقول:

[نحن نُقدِّم الباكورات لله ... والله الذي نُقدِّم له باكورات الأثمار، له نُقدِّم أيضاً الصلوات ...] (٢٧).

ويشير إلى أوشية الرَّاقيدين، والصلَّاة على المنتقلين، فيقول:

[عندما تنطلق نفوس المؤمنين بالمسيح، الذين يموتون من

٢٣- عظة ٧ على إنجيل لوقا.

٢٤- عظة ١٣ على سفر الخروج.

٢٥- عظة ١٠ على رسالة رومية.

انظر: الأب متى المسكين، مرجع سابق، ص ٤٥٩

٢٦- ضد كلسوس (٣١:٨).

٢٧- ضد كلسوس (٣٤:٨).

أجل الإيمان بمجد عظيم، فإنها (أي أوشية الرقادين) تُحطّم قوّة الشيطان، وتوقف كلّ خططه الذي يدبرها ضد البشر [٢٨].

كما يشير إلى أوشية الملك، فيقول:

[نحن نُقدّم أكبر معونة للملك، التي يمكن أن نسمّيها معونة إلهية ... فبواسطة صلواتنا التي نقدّمها، نستطيع أن نُبطل بها عمل الشياطين التي تثير الحروب، والتي تنقض المواثيق، وتُثقل السّلام. ونحن بالصّلاة نكون أكثر معونة له، من الذين يدخلون معه المعارك والحروب ... فنحن نحارب من أجله بواسطة جيش خاص، بالتقوى وتقديم الصّلوات] [٢٩].

كما يورد نصّ صلاة ربما تكون جزءاً من أوشية القرايين، حيث يرد فيها عبارة نقولها بنصّها حتى اليوم في أوشية القرايين الحالية. فيقول:

[لكي نكون مستحقّين أن نُقدّم لله القرايين، لكي يقبلها الله ويردّها لنا، ويمنحنا بواسطة يسوع المسيح، السّمائيّات عوض الأرضيّات] [٣٠].

ويورد نصّاً ليتورجياً منذ زمانه، فيقول:

[وأعطنا يا الله ضابط الكُل، نصيباً مع أنبيائك. وأعطنا أيضاً نصيباً مع رُسُل مسيحك] [٣١].

ويشرح العلامة أوريجانوس أن رفع الذبيحة يلزم أن يكون باسم

٢٨- ضد كلسوس (٤٤:٨).

٢٩- ضد كلسوس (٧٣:٨).

٣٠- عظة ٣٩ على إنجيل لوقا.

٣١- عظة له رقم ١٤ على سفر إرميا.

يسوع المسيح، ولكنها لا تُقدّم له مباشرة. أي أن الذبيحة المقدّسة تُقدّم لله الآب بواسطة يسوع المسيح. وهذا هو التقليد الإسكندري القديم، والذي يتضح لنا جلياً من قُدّاس القديس مرقس الرسول، وأيضاً من قُدّاس القديس سراييون أسقف ممّيس. فيقول:

[يلزم أن تكون الصّعيدة باسم يسوع، ولكن لا تُقدّم له مباشرة].

[إنّ التّقديمة ينبغي أن تكون على وجه العموم باسم الله ضابط الكل، بواسطة يسوع المسيح. وذلك على قدر ما أن المسيح مساو للآب في الإلهية. وبذلك لا تكون هناك تقدمة مزدوجة، بل تقدمة واحدة لله بواسطة الله]<sup>(٣٢)</sup>.

ويتحدّث عن الإفخارستيا ومعناها، وشرط التّقديم للتناول منها. كما يشرح أن "الاستدعاء" على القرايين، يكون باسم الثالوث، فيقول:

[تقديم الصّعيدة يكون بحُبز وخبز]<sup>(٣٣)</sup>.

[الحُبز الذي خصّصه الله الكلمة ليكون جسده، هو الكلمة الذي يُغذي النَّفس. هو كلمة من الله الكلمة، وخبز من الحُبز السّمائي، موضوعاً على المائدة. والشّراب الذي في الكأس الذي خصّصه الله الكلمة ليكون دمه، هو الكلمة الذي يُسكر القلب ويشبعه. الحُبز المنظور... يحمل سرّ الجسد المكسور. والشّراب المنظور يحمل سرّ الدّم المسفوك]<sup>(٣٤)</sup>.

٣٢- عظة ٣٩ على إنجيل لوقا.

٣٣- عظة على كورنثوس الأولى (٥:٧).

٣٤- عظة ٨٥ على إنجيل متى.

[الذين احتسبوا حقاً أن "المسيح فصحنًا قد ذُبح لأجلنا" أصبح عليهم أن يحتفظوا بهذا العيد بأكل جسد الكلمة، مقيمين الفصح بذلك على الدوام. ولأنَّ الفصح معناه العبور، فعليهم إذاً أن يعبروا بأفكارهم، وكلماتهم، وأعمالهم باستمرار، من أمور هذا العالم إلى الله، مسرعين نحو مدينة الله] (٣٥).

[نحن نقدِّم صلوات شكر إلى خالق الجميع، مع تقديم الإفخارستيا والصلوات من أجل البركات التي نلناها. نأكل أيضاً الخبز المقدَّم لنا، الخبز الذي يصير بواسطة الشكر والصلوات، جسداً مقدَّساً، الذي يُقدَّس الذين يتناولون منه بقلب طاهر] (٣٦).

[الخبز يتقدَّس بكلمة الله والصلوة] (٣٧).

[الخبز المقدَّس يصير نافعاً بمقتضى الصلاة التي قيلت عليه] (٣٨).

[خبز الإفخارستيا، هو الذي فوقه يُدعى باسم الله (آب) والمسيح والروح القدس] (٣٩).

[إن كان الشَّخص قديماً، لا يُسمح له بأن يأكل من خبز الوجوه إلا إذا كان متعافياً عن النساء (١ صموئيل ٢١: ٤)، فماذا إن كان سيتناول من الخبز الذي هو أعظم من خبز الوجوه،

٣٥- ضد كلسوس (٢٢: ٨).

٣٦- ضد كلسوس (٣٣: ٨).

٣٧- عظة ١١ على إنجيل متى.

٣٨- عظة ١١ على إنجيل متى.

٣٩- شذرات في شرح رسالة كورنثوس الأولى ٧: ٥.

ذلك الذي استدعي عليه اسم الله (الآب) والمسيح والروح القدس؟ ألا ينبغي أن يكون هذا الإنسان أكثر طهارة، حتى يتناول بالحق من الخبز، للخلاص وليس للدينونة؟[٤٠].

انظروا كيف أن المذابح لم تعد بعد يُرشُّ عليها دم عجول، ولكنها تقدّست بدم المسيح الثمين[٤١].

دمُ المسيح يمكن أن نشربه على حالين؛ أي شرباً سرّائياً في الطقس السرّائري، وحينما نقبل كلماته المحيية[٤٢].

علينا أن نجتهد بقدر استطاعتنا أن نشترك على الدوام في مائدة الرب[٤٣].

وكما يُنبّه المتناولين من الأسرار المقدّسة، على الحرص والاجتهاد، يحذّر الكهنة والشمامسة الذين يساعدون في إقامة الأسرار، قائلاً لهم:  
[أنتم الذين أعطيت لكم أن تساعدوا في إقامة الأسرار الإلهية، أحرصوا وأنتم تحملون جسد الرب، أن تكونوا في انتباه شديد، لئلاً يقع جزء منه على الأرض، أو أن تضيع منكم أجزاء من القرابين المقدّسة، وتغيب عن نظركم، احسبوا هذا جريمة، وهي كذلك بالحق، إن كان عن إهمال، يسقط منكم شيء][٤٤].

٤٠ - شذرات في شرح رسالة كورنثوس الأولى ٥:٧

41- *In Jesu Nave* 2,1. Cf. Quasten, *Patrology*, Vol.2, p. 86.

مقتبس عن الأب متى المسكين، مرجع سابق، ص ٤٦١

٤٢ - عظة على سفر العدد (٩:١٦).

٤٣ - ضد كلسوس (٢٤:٨).

٤٤ - عظة على سفر الخروج (٣:١٣).

ويتحدّث العلامة أوريجانوس عن الرُتب السّمائيّة، وعن العلاقة الوطيدة التي تربط بين الملائكة كخُدّام مرسلين من الله، وبين هؤلاء العتيدين أن يرثوا الخلاص. وعن شفاعة الملائكة والقديسين في تقليد الكنيسة. حيث يتضح أن مفهوم شفاعة القديسين كان معروفاً ومستقراً في الكنيسة منذ هذا الوقت المبكر من تاريخها. فيقول أوريجانوس:

[الرّبُّ هو فوق كلِّ رياسة وقوّة وسلطان وسيادة، وكلّ اسم يُسمّى ليس في هذا الدّهْر فقط، بل في المستقبل أيضاً ... فالآن نحن نتنبّئ النّظرة القائلة إنّ الملائكة المقدّسين، والقوّات المقدّسة، والعروش (الكراسي) المباركة، والسيّادات الممجّدة، هي ذات قوّة وكرامة ومجد، باستحقاق طبيعتها ...] (٤٥).

[... إلى جوارنا، عددٌ كبيرٌ من الكائنات (السّمائيّة) التي تُثبت على الدّوام صداقتها لنا ... ف (المؤمنون) حينما

هذا النّص نجد له مقابلاً في كتاب "التقليد الرّسولي" لهيبوليتس، حيث نقرأ: "ليحرص كلُّ واحد باجتهاد ألاّ يذوق غير المؤمن من الإفخارستيا ... أو يسقط منه شيء مطلقاً ويضيع، فهو حسد المسيح الذي يأكله المؤمنون، ولا يجب الاستهانة به ... وعند مباركة الكأس باسم الله، تناول منه كدم المسيح. تحفّظ جيداً ألاّ ينسكب منه شيء ... كأنك احتقرته، وتصبح مسؤولاً عن دم المسيح، محتقراً الثمن الذي اشتريت به" (التقليد الرّسولي ٢:٣٢، ٤).

وهو نفس ما نجده في قوانين هيبوليتس القبطية: "ليقف واحدٌ من الإكليروس منفرداً للمذبح، إذا كان مستعداً. يقف يجرسه لئلا يصعده ديب، أو يقع شيء في الكأس، فيكون وزر موت على القسوس. لأجل هذا فليحرص واحدٌ الموضع المقدس. والذي يعطي السّرائر، والذين يتناولون، فليتحفظوا بثبات عظيم، لئلا يسقط من واحد منهم شيء على الأرض، فيتسلط عليه روحٌ خبيث" (القانون ١:٢٩، ٢).

وهو نفس ما نجده في القانون (٩٧) من قوانين القديس باسيليوس الكبير، والقانون

رقم (٣) من قوانين البابا خريستوذولوس الـ ٦٦

٤٥ - المبادئ (١:٥٠:١-٣).

يُصَلُّون إلى الله بجرارة، يؤازرونهم من أجل خلاصهم، ويظهرون لهم، باعتبار أن ذلك يدخل في نطاق عملهم وواجبهم، لكي يباشروهم ويعتنوا بهم. ومعروف أنه - وكأنه باتفاق عام - من الواجب عليهم أن يفتقدوا كل الذين يُصَلُّون إلى الله، بكل وسائل اللطف، لإنقاذهم. بل ويُصَلُّون أيضاً من أجلهم، لأنهم «أرواح خادمة، مُرسلة لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عبرانيين ١: ١٤). لأن النبي يقول: «ملاك الرب حال حول خائفيه، وينجيهم» (مزمو ٣٤: ٧).

والملائكة التي ترى وجه أبي في السماء على الدوام (متى ١٠: ٢٨) يُقدِّمون صلواتهم إلى الله، بواسطة الوحيد رئيس الكهنة الأعظم، ويضمُّون صلواتهم إلى صلوات أولئك المنوط بهم حراستهم .. الموضوعين تحت عناية الله ... لأن الله يُرسِل ملائكته الأخصاء، ليكونوا دائماً في خدمة الأتقياء الذين استودعوا أنفسهم لله، حتى لا تؤذيهم الملائكة الأشرار، ولا حتى المدعو «رئيس هذا العالم» [٤٦].

[نحن نعلم أن كل الذين يجوزون على رضى الله، فإن الملائكة لا تكون فقط على استعداد المعونة لهم، بل إنها أيضاً تشترك معهم في جهادهم حسب مسرة الله، وتتم كل نعم الله عليهم. يشتركون معهم في الصلاة والتضرعات بصلواتهم وتضرعاتهم من أجلهم.

فإن كل الذين قد جعلوا كل أملهم في الأمور الصالحة،



حينما يُصلُّون إلى الله، يجدون عشرات الألوف من القوَّات المقدَّسة بجوارهم، حتى وبدون أن يُطلب منهم، نجدهم يُصلُّون معهم، وكأنهم دروع لهم، لأنهم يكونون في اتفاق شديد مع جنسنا المائت هذا. وذلك لأنهم يبصرون الشياطين وهم يتناحرون في حربهم ضد خلاص الذين كرَّسوا أنفسهم لله، وبالأكثر حينما يكتشفون مدى وحشيَّة الحقد والكراهية التي تحملها الشياطين ضد الإنسان<sup>(٤٧)</sup>.

[إنَّ الملائكة في السَّماء «الذين يفرحون بخاطئي واحد يتوب» يُقدِّمون الصَّلوات مع الذين يُصلُّون بإخلاص. وكذلك أيضاً أرواح القديسين. وهذا يتضح من الشَّهادات الآتية.

فالملك رافائيل قدَّم صلاة لله عن كلِّ من طوييا وساره، بينما كانا هما يُصلِّيان معاً. «والآن لما كنت تُصلي أنت وساره كنتك، أنا قدِّمتُ ذكر صلواتكما أمام القُدُّوس. وحينما كنتُ تدفن الموتى أنا كنتُ مرافقاً لك. ولأنك مقبولُ أمام الله، كانت هذه التَّجربة تمتحنك. وإذ كنتَ لم تنس الله، ولم تفتُر عن عمل الصَّدقات، كنتُ معك. والآن أرسلني الرَّبُّ، حتى أشفيك أنت وساره كنتك. أنا هو رافائيل الملاك أحد السَّبعة الوقوف أمام الله، الذين يُقدِّمون صلوات القديسين، ويجوزون عابرين أمام مجد القُدُّوس» (طوييا ١٢: ١٢-١٥)<sup>(٤٨)</sup>.

[أمَّا عن أرواح القديسين وصلواتهم، فيقول سفر المكابيين:

٤٧- ضد كلسوس (٦٤:٨).

٤٨- عن الصَّلَاة (١:١١).

«إن حوثياً الذي صار كاهناً عظيماً (رئيس كهنة)، وكان رجلاً صالحاً ... رأي رؤيا، وقد ظهر له رجلٌ في عُمر مهيب ومجد فائق، حتى أنه كان محاطاً بهيبة وجلال ... وإذا واحدٌ من القديسين الذين رقدوا، يشير إليه ويشهد قائلاً: هذا هو إرميا نبي الله، الذي يُصلي كثيراً عن الشعب، وعن المدينة المقدسة، ...» (٢ مكابيين ١٥: ١٣، ١٤) [٤٩].

أمّا عن صلاة الكنيسة من أجل القديسين، ولاسيما في أيام تذكاراتهم المقدسة، والتي تقيمها الكنيسة بخشوع. وأكرر مرّة أخرى "بخشوع"، يقول أوريجانوس:

[إنهم يصنعون تذكاراتاً بخشوع للقديسين الذين رقدوا في الإيمان، لكي ينالوا عزاءً وسروراً، طالبين أن يكون لهم معهم أيضاً كمالٌ في الإيمان] [٥٠].

[يعتقدون أنه من اللائق أن يذكروا القديسين في صلواتهم، ويعزّوا أنفسهم بذكراهم] [٥١].

وفي حديث رائع عن الكنيسة، ومفهومها، كحضور حي للمسيح وسط شعبه، مع أرواح الملائكة، وأرواح القديسين، سواء الذين هم على الأرض، أو الذين سبقوا إلى المجد، يقول العلامة أوريجانوس:

[إن الكلمات «إذا كان عضوٌ واحدٌ يتألم، فكلُّ الأعضاء تتألم معه. وكلُّ عضوٍ يُكرّم، فكلُّ الأعضاء تفرح معه» لا تُطبّق

٤٩- نفس المرجع.

٥٠- عظة على سفر أيوب (٣: ١).

٥١- عظة ١٢ على رسالة رومية.

بالنسبة لهذا العمر فقط ... فإن هذا الكلام يسري أيضاً على الذين هم الآن خارج هذا العمر ... وحتى المسيح أيضاً يقول فيما يخص كل قديس: إنه إذا مرض، فهو أيضاً يصير مريضاً بالمثل. وكذلك بالنسبة للمسجونين والعرايا والجياع والعطاش، وهكذا يلحظ قارئ الكتاب المقدس، أن المسيح ينسب إلى نفسه كل ما يحدث للمؤمنين، معتبراً أن آلامهم هي آلامه<sup>(٥٢)</sup>.

[يوجد مكان لائق للصلاة، له روعته وبهاؤه. الموضع الذي يجتمع فيه المؤمنون، حيث تقف القوات الملائكية مع المجتمعين، مع قوة الرب المخلص، وكل الأرواح القديسة، أرواح الذين رقدوا، وأيضاً الذين لا يزالون أحياء.

أما كيف يتم ذلك، فهذا ما يصعب الإجابة عليه ... حيث تحضر أعداد من الملائكة المقدسين لتسبيح المسيح، حيث ينضم إليهم ملاك كل واحد من الملائكة الملازمين لخائفي الرب. فيخيمون جميعاً معاً، وهكذا عندما يجتمع القديسون، يصبح هناك كنيسة؛ كنيسة البشر مع كنيسة الملائكة.

أما كون المسيح يكون حاضراً أيضاً، فهذا معلوم من قول بولس الرسول: «أنتم المجتمعون معاً (في كنيسة كورنثوس) وروحي، مع قوة ربنا يسوع» (١ كورنثوس ٤:٥).

فإذا كان بولس وهو لا يزال لابساً هذا الجسد، يشهد أنه كان حاضراً بالروح مع كنيسة كورنثوس، فلا نفقد الإيمان

الله هكذا يكون الأمر مع أرواح القديسين المباركة، الذين انتقلوا، إذ تحضر بأسرع من الذي هو لا يزال بالجلسد، لتشارك مع الجماعات في الكنيسة.

فلا نحتقر إذا الصلوات التي تُقام في الكنيسة ... لأن الملائكة تقف لحراستها ... فيخصوص مكان الصلاة، فيا مجد المكان، ويا لسموه فوق كل مكان آخر، حينما يجتمع القديسون معاً بالتقوى في كنيسة<sup>(٥٣)</sup>.

ويتكلم أوريجانوس على الرتب الكهنوتية الثلاثة، فيقول:  
[يوجد دين مستحق على الشمس، وآخر على الكاهن. ولكن الدين المستحق على الأسقف هو أثقلهم. وهذا الدين يطالب به مخلص الكنيسة كلها، والمجازاة مستعدة]<sup>(٥٤)</sup>.

ويشير إلى الأصوام المعروفة في الكنيسة في زمانه، فيقول:  
[إن الأصوام التي نلتزم بها، هي الأربعون المقدسة، والأربعاء والجمعة]<sup>(٥٥)</sup>.

وفي موضع آخر يشير العلامة أوريجانوس إلى صوم أسبوع البسخة والذي كان حتى ذلك الوقت منفصلاً عن صوم الأربعين المقدسة. لأن البابا أثناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م) هو الذي ضم هذا الأسبوع المقدس إلى الصوم الأربعيني المقدس<sup>(٥٦)</sup>. فيقول:

٥٣- عن الصلاة (٥:٣١).

٥٤- عن الصلاة (٤:٢٨).

٥٥- عظة على سفر اللاويين (٢:١٠).

٥٦- لشرح ذلك الموضوع، انظر للمؤلف: "صوم نينوى والصوم المقدس الكبير".

[إن عادة الكنيسة منذ القدم هي استخدام سفر أيوب دائماً في الأربعين، وعلى وجه الخصوص في البصخة، لأنه هو أيضاً مناسب بالأكثر لهذه الأيام] (٥٧).

### قاعدة الإيمان في بواكير حياة الكنيسة في زمن العلامة أوريجانوس

علينا الآن أن نبحث في عبارة ذكرتها من قبل، عند الحديث عن سيرة العلامة أوريجانوس، والتي قيلت عنه بأنه "تمسك بقوانين الكنيسة".

ففي الحقيقة يُخطئ من يظنُّ أو يتصور أنَّ الكنيسة الأولى كانت تحيا حياة الإيمان الساذج بلا عقيدة. وفي ذلك يقول اللاهوتي الإنجليزي الأستاذ تشارلز جور في كتابه عن تجسد ابن الله: "إنَّ تصوير المسيحية الأولى على أنها مجرد طريق للحياة، بدون عقيدة لاهوتية، على نحو ما تُصورها العظة على الجبل، ولا شيء غير ذلك، هو أمرٌ ليس فيه إنصاف، ولا تؤيِّده الأسانيد التاريخية. فلقد وُجد في البداية إيمان عام واحد، كثيراً ما أشار إليه العهد الجديد تحت اسم 'التقليد' (٥٨)، وتحت اسم 'صورة التعليم التي تسلمتموها' (٥٩)، وتحت اسم 'تعليم الرُّسل' (٦٠)، وتحت اسم 'التعليم الصحيح' (٦١)، وتحت اسم 'الإيمان المسلم مرةً للقدِّيسين' (٦٢). وإنَّ إيمان الكنيسة الذي عبَّر عن ذاته في الحياة والعبادة والغيرة والاستشهاد، كان قوياً سليماً، ويشير إلى أنَّ مصدره، هو تعليم الرُّسل

٥٧- عظة على سفر أيوب (١:١).

٥٨- ١ كورنثوس ١١: ٢

٥٩- رومية ٦: ١٧

٦٠- أعمال ٢: ٤٢

٦١- ٢ تيموثاوس ١: ١٣

٦٢- يهوذا ٣

وكتاباتهم“ (٦٣).

ولعل أقوى ما يؤيد أن ”تعليم الرُّسُل“ كان هو قاعدة الإيمان التي سارت عليها الكنيسة في تاريخها المبكر، برغم عدم تدوين هذا التعليم كله في الكتاب المقدس، هو قول بولس الرسول لتلميذه الأسقف تيموثاوس: «وما سمعته منِّي بشهود كثيرين، أودعه أناساً أمناء، يكونون أكفاء في تعليم آخرين أيضاً» (٢ تيموثاوس ٢: ٢).

لقد كان لكنيسة الرُّسُل عقائد إيمانية أساسية محددة، وهي التي صيغت فيما بعد تحت اسم ”قانون إيمان الرُّسُل“. وكانت الكنيسة تسلم هذا القانون لكل من يرغب في الانضمام إلى الكنيسة، ليردده بفمه قبيل سرِّ العمداء المقدس، متعهداً بالتمسك به.

ومن جهة أخرى، فهناك القوانين المعروفة باسم ”قوانين الرُّسُل“. ويرى علماء القانون، أن قوانين الرُّسُل هي إلى حد كبير من أصل رسولي، وقد ترك الرُّسُل أنفسهم بعضها كتابة، ونقل خلفاؤهم البعض الآخر كما سمعوا من أفواه الرُّسُل. وقد جمعت هذه القوانين كلها في زمن لا يبعد كثيراً عن عهد الجمع النيقاوي سنة ٣٢٥م، وربما قبل انعقاد مجمع أنطاكية المكاني سنة ٣٤١م. ثم جرى فيها بعض التوسُّع والتعديل. وهذا هو ما تتجه إليه آراء العلماء إجمالاً. ولكن على وجه العموم، فإنَّ قوانين الرُّسُل تمثل أقدم شرع في الكنيسة، وقد وُضع معظمها قبل سنة ٣٠٠م. وإنَّ مجمع أنقره المكاني الذي عُقد سنة ٣١٤م قد اعتمد على بعض منها في قوانينه.

فقبل زمن قسطنطين - الذي تولى العرش سنة ٣٠٦م - كانت هناك قوانين كنسيّة متفرقة هنا وهناك، ولكن أول محاولة لجمعها كانت في أوائل القرن الرابع الميلادي. ويقول العالم القانوني برسيغال: بخضوع اليونان للنير الروماني، سرت شرائع الغالب على المغلوب، ولكنهم لم يُظهروا حتى بعد ذلك اهتماماً بهذه العلوم. وليث الحال هكذا حتى انتقال عاصمة الملك إلى القسطنطينيّة، إذ صار الشرق مصدر الاشتراع ومقر أهم خبراء الشرع. وفي كلّ الدور الذي سبق القرن الرابع للمسيح، لا نعرف إلاّ قانونياً واحداً وضع تأليفه باليونانيّة. وقد كان أحد المهاجرين من الغرب، وهو إيريناؤس مودستينوس، وكان تلميذاً لأولييان، ومعلماً للإمبراطور مكسيميان الأصغر<sup>(٦٤)</sup> والذي تولى العرش سنة ٣٠٥م.

وهنا لا ينبغي أن ننسى أن العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) قد ألف كتاباً في "القوانين الكنسيّة". ولكنها لم تكن قوانين بالمعنى المعروف حالياً للكلمة، بل تعني التعليمات الطقسيّة والليتورجية لكنيسة الإسكندرية. وهو ما سبق أن شرحته من قبل.

ويكمّل العالم برسيغال بقوله: "إنه في عهد قسطنطين الكبير، عاد علماء الشريعة إلى منزلتهم وذاعت شهرتهم ... وجمعت للمرّة الأولى المراسيم والأوامر الإمبراطوريّة، وكانت حتى ذلك الوقت موزعة في صكوك متفرقة ... أمّا مجموعة قوانين غريغوريوس، فنضم بين دفتيها الشرائع التي سنّت في عهد أدريان، الذي تملك سنة ١١٧م وفي عهد خلفائه وإلى زمن قسطنطين ... ومما يجدر ذكره، أنه في الوقت نفسه - أي في زمن قسطنطين الكبير - جرت أول محاولة لجمع قوانين الكنيسة.

أي أن الشرع المدني والشرع الكنسي ظهرا معاً في وقت واحد<sup>(٦٥)</sup>.

إن أعز ما تسلّمته الكنيسة، هو الإيمان. وقد ظلّت الكنيسة على استعداد دائم للتّضحية بكلّ شيء في سبيل الحفاظ عليه. وإلاً فلماذا استشهد ليونيدس أبو العلامة أوريجانوس وغيره من الشّهداء؟ إن هذا الإيمان، كان في صيغة عقائد محدّدة، دافع عنها الآباء الرُّسل، واعتبروا أنّ الخارجين عنها، هم كمن يبثون بدع هلاك وسط الشّعب كما يقول معلّمنا بولس الرّسول. ومن ثمّ فقد حذّروا المؤمنين منهم، ومن ضلالتهم. بل وقطعت الكنيسة من شركتها، كلّ من يخرج عن إيمانها السّليم<sup>(٦٦)</sup>. بل وصل الأمر بالقدّيس يوحنا الحبيب إلى أنه أمر المؤمنين بالألّا يُسلموا على هؤلاء المبتدعين، ولا يقبلوهم في بيوتهم، وإلّا اعتُبروا شركاءهم في أعمالهم الشّريّة<sup>(٦٧)</sup>.

إذاً فقد استطاعت الكنيسة أن تميّز تعليم المبتدعين وتفرضهم. وهذا لا يكون سهلاً إذا لم يكن للكنيسة قوانين واضحة تحكّم إيمانها الصّحيح وتحدّده في صيغ محدّدة ومنذ البداية. وإنّ الرّسائل السّبعة للقدّيس إغناطيوس الأنطاكي (٣٥-١٠٧م) الشّهيد، مليئة بالتّحذير من الهرطقة وتعليمهم. وكذلك أيضاً كتابات القدّيس بوليكاربوس (+ ١٥٥م). فالقول إذاً بسدّاجة الإيمان المسيحي في نشأة الكنيسة، هو قول خاطئ. وما كان يلزمنا مثل هذا الاستطراد، ولدينا رسائل القدّيس بولس الرّسول اللاهوتيّة العميقة، التي شهد عنها القدّيس بطرس الرّسول، أنّ بها أشياء

٦٥- نفس المرجع، ص ٢٣

٦٦- انظر: رومية ١٦: ١٧، ١٨؛ غلاطية ١: ٦-٩؛ كولوسي ٢: ٤-٨؛ تيطس ٣: ١٠؛

عبرانيين ١٣: ٩؛ ٢ بطرس ٢: ١؛ ١ يوحنا ٤: ١

٦٧- ٢ يوحنا ١٠، ١١



عسرة الفهم، يحرفها غير الحكماء، وغير العارفين، هلاك أنفسهم.

### كتاب "الترتيب الكنسي المصري"

يُعدُّ كتاب "الترتيب الكنسي المصري" Egyptian Church Order الذي انتشر انتشاراً واسعاً في كنيسة مصر في غضون القرن الثالث الميلادي، ولاسيما في زمن العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م)، دليلاً على استقرار الحياة الليتورجية لكنيسة مصر في هذا القرن. حيث نقله الأقباط من اليونانية إلى القبطية، ثم من القبطية إلى العربية بعد ذلك. وقد دُوِّن نصُّه في الكتاب الأوَّل من قوانين الرُّسل القبطية.

ويتحدَّث كتاب "الترتيب الكنسي المصري" عن: القدَّاس الإلهي، والتناول من الأسرار المقدَّسة، ودرجات الإكليروس ورسامتهم، واجتماعهم اليومي إلى الأسقف، والعداري، وأصحاب المواهب الروحية وعملهم في الكنيسة، والنساء وما يلزمهن تجاه الكنيسة، وخدمة الموعوظين وتأهيلهم لقبول الإيمان، ومراسيم المعمودية المقدَّسة، ومسح المعمدين بالزيت بعد خروجهم من المعمودية، وخدمة الفقراء وإعالتهم، وأوقات الصلوات اليومية، ومداومة قراءة الكتاب المقدَّس، وما يختص بالمدافن، وأخيراً أهمية رسم إشارة الصليب.

ولقد انتبه العالم المسيحي في بدايات القرن العشرين إلى أن هذا الكتاب المذكور "الترتيب الكنسي المصري"، والذي حفظته كنيسة مصر وحدها دوناً عن كنائس العالم كله تحت هذا العنوان المصري البحت، هو بعينه كتاب "التقليد الرسولي" لهيبوليتس الروماني. وهو الكتاب الذي ظلَّ مفقوداً طيلة هذه القرون الطويلة، ولم يكن معروفاً عنه سوى اسمه فقط.

وإن تأثير هذا الكتاب على كنيسة مصر، قد امتد إلى القرن السادس الميلادي على أقل تقدير، حيث اعتمد مؤلف كتاب "قوانين هيبوليتس" - وهو أحد أساقفة كنيسة مصر في أواخر القرن الخامس الميلادي أو أوائل السادس - على عناصر كتاب "التقليد الرسولي لهيبوليتس" في إيراد نصّ قوانينه.

ولقد سبق لي أن نشرتُ هذين الكتابين الهامين جداً، نشرة علمية. أي كتاب "التقليد الرسولي"، وكتاب "قوانين هيبوليتس القبطية"، مع شرح مستفيض، وذلك ضمن السلسلة الأولى من مجموعة كتب "الدرة الطقسية"، وهي سلسلة "مصادر طقوس الكنيسة".

## اللامح الليتورجية لكنيسة الإسكندرية في زمن البابا ديونيسيوس الكبير

لبابا ديونيسيوس الكبير مؤلفات عن "الطبيعة"، وعن "المواعيد"، وعن "التجارب". أمّا مؤلفه عن "سفر الرؤيا"، فهو أقوى ما كتب. بل إننا من خلال ما كتبه عن هذا السفر، نتعرف على شخصيته العظيمة. اسمعه يقول:

[لقد رفض البعض ممن سبقونا، السفر، وتحاشوه كلية... على أنني لم أتجاسر أن أرفض السفر، لأن الكثيرين جداً ممن الإخوة، كانوا يجلبونه جداً، ولكنني أعتبر أنه فوق إدراكي. وأن في كل جزء، معان عجيبة جداً محتفية. لأنني إن كنت لا أفهم الكلمات، فأظن أن وراءها معنى أعمق. وأني لا أريد أن أقيسها أو أحكم عليها بعقلي، بل أعتبرها أعلى من أن أدركها، تاركاً مجالاً أوسع للإيمان. ولست أرفض ما لا

أدرکه، بل بالعکس أتعجب لأنني لا أفهمه].

ولا يفوتني هنا أن أنوه إلى أن البابا ديونيسيوس الكبير له رأي مستقل بخصوص كاتب سفر الرؤيا، فهو لا ينكر أن كاتب السفر اسمه يوحنا، وأنه من تصنيف قديس ملهم بالروح القدس، ولكنه لا يصدق أنه هو الرسول يوحنا ابن زبدي، أخو يعقوب، كاتب إنجيل يوحنا والرسائل الجامعة. حيث يسوق الأدلة والبراهين لإثبات رأيه هذا بمقارنة اللغة اليونانية التي كتبت بها سفر الرؤيا مع اللغة اليونانية التي كتبت بها إنجيل يوحنا ورسائله<sup>(٦٨)</sup>.

أمّا عن رسائله، فقد أرسل رسالة إلى أهل روما عن طريق هيبوليتس، يتكلّم فيها عن وظيفة الشماسية. ورسالة أخرى أيضاً عن التوبة<sup>(٦٩)</sup>. ورسالتين أُخرين عن التوبة، واحدة إلى الإخوة في مصر والثانية إلى كونون أسقف إبيارشيّة هرموبوليس<sup>(٧٠)</sup>. ورسالة هامة عن السبب، يقول يوسابيوس القيصري عنها إنها لازالت باقية<sup>(٧١)</sup> - في أيامه طبعاً - ولكنها ضائعة الآن، ومع الأسف، فقد كانت هذه الرسالة خير دليل لنا، نتعرف منه على موقف كنيسة الإسكندرية من السبب، بعد أن تحوّلت من كنيسة نشأت في وسط يهودي، إلى كنيسة غالبية أعضائها الآن من الأمم الذين قبلوا الإيمان.

ومن بين الرسائل التي كتبها أيضاً رسالة له إلى هرمامون، يتحدث فيها عن نبث جالوس Gallus الذي تولى عرش الإمبراطورية الرومانية

٦٨ - يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٧:٢٥:٢٦، ٢٧).

٦٩ - نفس المرجع، (٦:٤٦:٥).

٧٠ - نفس المرجع، (٦:٤٦:١، ٢).

٧١ - نفس المرجع، (٧:٢٢:١١).

(٢٥١-٢٥٣م) بعد ديسيوس، والذي لم يتعلم من خبث ديسيوس الذي أودى بحياته، إذ قتله أبناؤه قبل أن يكمل سنتين في الحكم. وما يهمننا من هذه الرسالة، هو ما ذكرته عن صلاة الكنيسة من أجل الملك في هذا الوقت المبكر من تاريخها، فيقول البابا ديونيسيوس الكبير:

[و لم يعترف جالوس بخبث ديسيوس، ولا فكر فيما أدى به إلى الهلاك، بل عثر بنفس الحجر، رغم أنه كان مُلقى أمام عينيه، لأنه إذ كان حُكمه مزدهراً، والأمر تسير وفق إرادته، هجم على الرجال الأتقياء الذين كانوا يتوسلون إلى الله من أجل سلامه وخيره. وهكذا باضطهاده إياهم، حرم نفسه بنفسه من صلواتهم لأجله] (٧٢).

وفي رسالة أخرى، يكتب إلى جرمانوس (٧٣) يصف فيها الحوار الذي دار بينه وبين أميليانوس (٧٤) حاكم الإسكندرية ووالي مصر في عهد فالريان (٧٥) إمبراطور روما، وفيها يتضح جلياً أوشية الملك التي تُصلّيها الكنيسة من أجل الحاكم، فيقول له:

[... إننا نُكرّم ونعبد الإله الواحد بارئ الكل، الذي أعطى الإمبراطورية إلى الجليل الشأن فالريان وجالينوس المنعم عليهما

٧٢- نفس المرجع، (١:٧).

٧٣- كان أسقفاً لإيبارشية غير معلومة لدينا، وقد اتهم ديونيسيوس بالجن في وجه الاضطهاد، فكتب إليه يدافع عن نفسه.

٧٤- تم على يديه الاضطهاد الذي حدث في الإسكندرية في عهد فالريان، ثم في عهد جالينوس. وقد تمرد على جالينوس، ولكنه قتل في السجن.

٧٥- كان قائداً للجيش أثناء حكم جالوس، وبعد قتله خلفه في الحكم. وظل فالريان حاكماً للإمبراطورية من سنة ٢٥٣-٢٦٠م، عندما سقط أسيراً في أيدي الفرس.

من الله، ونحن نُصَلِّي إليه دوماً من أجل إمبراطوريتهما، لكي  
تبقى غير متزعزعة<sup>(٧٦)</sup>.

كان الاهتمام الذي وجهه جرمانوس الأسقف إلى البابا ديونيسيوس أنه  
أهمل عقد الاجتماعات كالعادة المتبعة، وهرب لإنقاذ حياته. وكان رد  
البابا عليه دحضاً لهذه الافتراءات. وواضح هنا، أن العادة القديمة المتبعة في  
كنيسة الإسكندرية، هي أن يجتمع الأسقف بشعبه لتعليمهم. ولكن ما  
يلفت نظرنا هنا، هو أن اجتماعات الكنيسة في هذه الفترة المبكرة من  
تاريخها، كانت اجتماعات تبشيرية إلى جانب كونها تعليمية أيضاً، إذ  
اجتذبت الكثيرين من العبادة الوثنية، إلى الإيمان بالمسيح.

فيقول البابا ديونيسيوس في رسالته السابق ذكرها:

[فقال أميليانوس ... لن يُسمح لكم ولا لغيركم بأي  
حال من الأحوال بعقد اجتماعات ... وإن رأي أيُّ واحد  
خارج المكان الذي أمرتم به، أو وُجد في أيِّ اجتماع،  
عرَّض نفسه للخطر ...].

وبعد ذلك يقول:

[ولكننا بمعونة الرب، لم يُبطل الاجتماعات العلنية. بل  
دعوتُ باجتهاد أوفر، أولئك الذين كانوا في المدينة، ليجتمعوا  
معاً ... وفي سفرو اجتمعت معنا كنيسة عظيمة من الإخوة  
الذين تبعوننا من المدينة، والذين رافقونا من مصر، وهنالك فتح  
لنا الرب باباً للكلمة.

وفي بداية الأمر، اضطهدنا ورُجمنا، ولكن فيما بعد ترك الكثيرون من الإخوة العبادة الوثنية، ورجعوا إلى الله. لأنهم إلى ذلك الوقت لم يكونوا قد سمعوا الكلمة التي غرسناها نحن أولاً.

وفي نهاية رسالته يقول:

[يفتخر جرمانوس باعترافات كثيرة، وهو بكل تأكيد يستطيع التحدث عن شدايد كثيرة تحملها، ولكنه يستطيع أن يحصي ما نستطيع نحن إحصاءه من أحكام ومصادرة أملاك ونفي ونهب الممتلكات، وتشهير، واحتقار مجد العالم، وعدم مبالاة بتملق الولاة والأعيان، وتهديد الخصوم، وصخب وأخطار، واضطهادات، وتشريد وأحزان، وكل أنواع الضيقات، كما حلَّ بي في عهد ديسيوس وسابينوس، ولا تزال مستمرة إلى الآن في عهد أمليانوس. ولكن أين رأي جرمانوس؟ وأين ورد ذكره؟

وسأكفُّ الآن عن هذه الحماسة الشديدة التي سقطتُ فيها بسبب جرمانوس، ولنفس السبب أتخشى أن أقدم للإخوة وصفاً لكل ما حدث [٧٧].

إنها كنيسة كرزت وسط الاضطهاد ولم تتردد، والذين آلموها دعتهم إلى ميراث الراحة والسرور. هذا هو المعيار الدقيق لحرارة الحياة الكنسية. لأنه لا يمكن لقلب أيقن بحبة المسيح وفعله الخلاصي، إلا بأن يكرز للآخرين، لينتقل إليهم هذا الحب ويختبرون هذا الخلاص. هذه هي كنيسة الإسكندرية التي اجتذبت كثيرين من الذين كانوا قبلاً بعيدين، فصاروا

قريبين إلى الرب، بكرازتها في وسط المحن والضيقات، قبل أن يصدر منشور ميلان سنة ٣١٢م، والذي يعترف بالمسيحية ديناً في الدولة، وليته لم يصدر، لأنه كان إيذاناً ببداية سريان البرودة الروحية، ومدعاة للانشقاق والانقسام عن غير قصد.

### تكريم الشهداء وكرامتهم في الكنيسة

بينما تعرّضت المسيحية خلال القرنين الأولين للميلاد لنشوب أعمال عدائية محلية تجاهها، إلا أن الكنيسة القبطية بصفة خاصة، قد تعرّضت في القرن الثالث الميلادي لاضطهاد واسع منظم. وفي الحقيقة، فإنه منذ بداية القرن الثالث الميلادي، وحتى العقد<sup>(٧٨)</sup> الأول من القرن الرابع الميلادي، جازت الكنيسة القبطية ثلاثة اضطهادات عنيفة، تخللتها فترات طويلة من عدم السلام والهدوء. الاضطهاد الأول هو اضطهاد الإمبراطور سبتيميوس ساويرس (٢٠٢-٢٠٦م). والاضطهاد الثاني هو اضطهاد الإمبراطور ديسيوس (٢٤٩-٢٥١م). والاضطهاد الثالث والأقصى هو اضطهاد الإمبراطور دقلديانوس (٣٠٣-٣١١م)<sup>(٧٩)</sup>.

ولقد احتل تكريم الشهداء في الكنيسة كرامة فائقة منذ البداية، وها البابا ديونيسيوس الكبير يكرّم الشهداء، ويعتبر جداً مكائتهم. ويشرح كيف أن شفاعتهم في قبول الذين جدّفوا وذبحوا للأوثان، كافية أن تعفي الساقطين من توقيع القصاص الكنسي عليهم. فيقول:

[وهؤلاء الشهداء المباركون الذين بيننا، الجالسون مع المسيح الآن، شركاء في ملكوته، وشركاء في الدينونة،

ويدينون معه، قد قبلوا بعض الإخوة الذين سقطوا، وأنهموا بجرمة الذبح للأوثان. فلما أدركوا أن تجديدهم وتوبتهم كافيان ليُقْبَلَا أمام ذاك الذي لا يشاء موت الخاطئ قط بل توبته، اختبروهم فقبلوهم ثانية، وأعادوهم، والتقوا بهم، واشتركوا معهم في الصَّلوات والولائم. فآيَّة نصيحة تقدّمونها إلينا أيها الإخوة عن مثل هؤلاء الأشخاص؟ ماذا نفعل؟ هل نعطي نفس الحكم الذي أعطوه ونراعي قرارهم ومحبتهم، ونظهر الرِّحمة لمن أشفقوا عليهم؟ أم نعلن بأن قرارهم ظالم، ونقيم أنفسنا كقضاة لرأيهم، ونتحدّى الرِّحمة ونقلب النظام؟<sup>(٨٠)</sup>.

### مشكلة إعادة معمودية الهراطقة

ولقد برزت في هذا الوقت مشكلة كبيرة أفلقت سلام الكنيسة الجامعة، وهي مشكلة إعادة معمودية الهراطقة<sup>(٨١)</sup>. فكان أسقف روما

٨٠- من المهم أن يعرف القارئ العزيز أنه لم يكن من سلطان الكاهن، أو أب الاعتراف إعطاء الحل لمن يجحد الإيمان، أو يخطئ بخطيئة الزنا. وهو ما سبق أن قرأناه عند العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م). فهذه الأمور تُعدُّ من الخطايا الكبيرة الموجبة للموت، والتي تحتاج إلى توبة علنية أمام الجماعة كلها، لإمكانية العودة مرّة أخرى إلى الكنيسة. ولكننا هنا نجد موقفاً مغايراً، فنرى أن شفاعة المعترفين المزمعين قبول إكليل الشهادة من أجل الإيمان، من أجل الجاحدين للإيمان، كانت كافية لكي تقبل الكنيسة هؤلاء إلى صفوفها مرّة أخرى. وهنا يتضح لنا مكانة الشهداء والمعترفين في الكنيسة.

٨١- لقد عرضت بالشرح لهذا الموضوع في كتاب "معمودية الماء والروح". أمّا هنا فأشير إلى كنيسة شمال أفريقيا، وقد كانت كنيسة مزدهرة في ذلك الوقت، عقدت عدّة مجامع كنسية برئاسة القديس كيريانوس أسقف كنائس شمال أفريقيا، كان أولها في قرطاجنة سنة ٢٥٥م. والمجمع الثالث الذي عُقد بها سنة ٢٥٧م حضره



يرى بعدم إعادتها، طالما قد تمت حسب القواعد الإنجيلية، أي تمت باسم الآب والابن والروح القدس. أمّا كنيسة شمال أفريقيا برئاسة القديس كبريانوس الشهيد (+ ٢٥٨م)، مع كنائس آسيا الصغرى وفرنجة وشمال سوريا، فكانت ترى ضرورة إعادتها.

ولقد كتب البابا ديونيسيوس بخصوص هذا الموضوع ست رسائل عن المعمودية إلى كنيسة روما، في حين لا تسعفنا الوثائق بوجود أي رسالة له راسل بها كنيسة شمال أفريقيا المزدهرة آنذ، وهو أمر يحتاج إلى بحث واف، للوقوف على الأسباب.

وفي الحقيقة كان موقف البابا ديونيسيوس الكبير من موضوع إعادة المعمودية الهراطقة موقفاً محايداً<sup>(٨٢)</sup>، وهو ما نجده على وجه التحديد في رسالته الثالثة عن المعمودية. وهذا ما دفع البعض إلى القول بأن موقف كنيسة روما كان مماثلاً لموقف كنيسة الإسكندرية وفلسطين. فهل كان هذا هو السبب في انقطاع الصلة بين البابا ديونيسيوس والقديس كبريانوس الشهيد (+ ٢٥٨م) في كنيسة شمال أفريقيا؟

وفيما يلي موجزٌ بهذه الرسائل الست عن المعمودية.

الرسالة الأولى: كتبها إلى إسطفانوس أسقف مدينة روما، إذ كانت قد قامت مناقشة حادة عمّا إذا كان الذين رجعوا من أية هرطقة يجب أن

٨٤ أسقفًا. وهذا يريك حجم هذه الكنيسة. ولكن من الغريب حقاً أننا لا نلاحظ أي إشارة تربط بين البابا ديونيسيوس الكبير في كنيسة الإسكندرية وبين القديس كبريانوس في كنيسة شمال أفريقيا، سواء كانت مراسلات أو مكاتبات أو غيرها، في حين كانت هناك مراسلات بين كنائس الإسكندرية وروما وأنطاكية.

٨٢- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٧:٤:٤٠، ٥).

يُطهروا بالمعمودية أم لا. لأن العادة القديمة التي كانت سارية بصدد أمثال هؤلاء، هي الاكتفاء بوضع الأيدي عليهم مع الصلاة.

**الرسالة الثانية:** كتبها إلى زيستوس الذي خلف إسطفانوس في أسقفية كنيسة روما، بين له فيها رأي وحكم إسطفانوس والأساقفة الآخرين. وذكر فيها أن إسطفانوس كان لا يريد الاختلاط بأساقفة آسيا والأمم المجاورة، لأنهم أعادوا المعمودية الهراطقة. ثم يقول البابا ديونيسيوس:

[صحيح أنه صدرت من أكبر مجامع الأساقفة - على ما أعلم - قرارات في هذا الموضوع، متضمنة بأن القادمين من الهراطقات يجب تعليمهم، وبعد ذلك يُغسلون ويُنظفون من الخميرة العتيقة الدنسة. وقد كتبتُ إليه متوسلاً من أجل جميع هذه الأمور. وقد كتبتُ أيضاً بكلمات قليلة في البداية، وبكلمات كثيرة أخيراً إلى زميلينا القسسين المحبوبين ديونيسيوس<sup>(٨٣)</sup> وفليمون اللذين كانا يدينان بنفس رأي إسطفانوس ...] <sup>(٨٤)</sup>.

**الرسالة الثالثة:** أرسلها إلى فليمون القس الروماني يقول له فيها بعد أن تحدّث عن كل الهراطقات:

[... لقد قبلتُ هذه القاعدة وهذا الترتيب من أبينا الطوباي هيراكلاس<sup>(٨٥)</sup>. لأن الذين أعادوا من الهراطقات، رغم ارتدادهم عن الكنيسة، أو بالحري لم يرتدوا بل بدا كأهم قد اجتمعوا معهم، وأنهموا بالالتجاء لأحد المعلمين الكذبة، فإنه عندما طردهم من الكنيسة لم يقبلهم ثانية - رغم

٨٣- أقيم فيما بعد أسقفاً لروما خلفاً لزيستوس.

٨٤- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٧:٥٠:٣-٦).

٨٥- وهو البابا الإسكندري الثالث عشر السابق مباشرة للبابا ديونيسيوس.

توسُّلاتهم - إلا بعد أن قصُّوا علانية كلَّ ما سمعوه من خصومهم، وعندئذ قبلهم دون أن يتطلَّب منهم معموديَّة أخرى، لأنهم كانوا قد قبلوا منه سابقاً الرُّوح القدس].

وبعد معالجة تفصيليَّة للموضوع يضيف ما يأتي:

[وقد علمتُ أيضاً أن هذه لم تكن بدعة دخلت أفريقيا وحدها، بل إن هذا الرأي كان مقبولاً في أشهر الكنائس منذ زمن طويل أيام الأساقفة الذين سبقونا. وفي مجامع الإخوة في إيقونية<sup>(٨٦)</sup> وسنادا، كما كان مقبولاً من أشخاص آخرين كثيرين. وأنا لا أستطيع أن أحتمل بأن أقلب آراءهم، وأطوِّح لهم إلى الخصام والنِّزاع، لأنه قيل «لا تنقل تُخْم صاحبك الذي نصبه أبأوك» (تثنية ١٩: ١٤)]<sup>(٨٧)</sup>.

الرَّسالة الرَّابِعة: كتبها إلى ديونيسيوس الرُّوماني الذي كان وقتئذ قساً، ولكنَّه ارتقى إلى أسقُفيَّة كنيسة روما بعد ذلك بوقت قصير. وواضح ممَّا قاله عنه ديونيسيوس الإسكندري، أنه هو أيضاً كان رجلاً متعلماً مقتدراً، و من ضمن ما كتبه إليه ذكر ما يلي عن نوفاتوس الهرطوقي:

[... وعلاوة على كلِّ هذا، فإنه يرفض المعموديَّة المقدَّسة، ويقلب الإيمان والاعتراف اللَّذين يسبقانها، ويمنع عنهم كُليَّة الرُّوح القدس. إن كان هنالك أيُّ رجاء أن يبقى معهم أو يعود إليهم].

الرَّسالة الخامسة: كتبها إلى زيسْتوس أسقف روما، وروى فيها عن

٨٦- هي كُرى مدن ولاية ليكاوئيَّة.

٨٧- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٧: ٤، ٥).

حادثة حدثت في عصره فيقول:

[... لأنني حقاً أيها الأخ في حاجة إلى المشورة، وإنني أطلب  
حُكمك في موضوع عُرض عليّ، خشية أن أكون على خطأ.]

فقد كان أحد الإخوة الذين يجتمعون معنا، يُعتبر مؤمناً منذ  
زمن طويل، وكان عضواً في الجماعة قبل رسامتي، بل قبل  
رسامة المغبوط هيراكلاس على ما أظنُّ، وكان حاضراً مع من  
تعمّدوا أخيراً. وعندما سمع الأسئلة والأجوبة أتاني باكياً  
ونادياً سوء حظّه، وسقط عند قدميَّ، واعترف محتجاً بأنَّ  
المعمودية التي عمّد بها الهراطقة، لم تكن كهذه المعمودية بأيِّ  
حال من الأحوال، إذ كانت مملوءة كُفراً وتجديفاً.

وقال إنَّ نفسه قد انكسرت حزناً، وأنه ليست له دالة  
ليرفع عينيه إلى الله، لأنه كان موافقاً على تلك الأقوال  
والأفعال الكُفريّة. ولهذا طلب أن ينال هذا التّطهير الكامل  
وهذه النّعمة الجزيلة.

ولكنني لم أجسر على أن أفعل هذا، وقلتُ إنَّ شركته  
الطّويلة كافية، لأنني يجب أن لا أجسر على أن أجدد من  
البداية، شخصاً سمع الشُّكر<sup>(٨٨)</sup>، واشترك في ترديد آمين،  
ووقف أمام المائدة<sup>(٨٩)</sup>، ومدَّ يديه ليتناول الطّعام المبارك<sup>(٩٠)</sup>،  
وتناوله فعلاً، واشترك وقتاً طويلاً في جسد ودم ربّنا يسوع

٨٨- أي صلوات القدّاس الإلهي (الإفخارستيا).

٨٩- أي المذبح المقدّس.

٩٠- كان المتناول في الطّقس القديم، يأخذ الجسد المقدّس على راحة يده اليميني،  
ويده اليسرى من تحتها، ثم يتناول القرايين إلى فمه بنفسه.

المسيح، على أنني نصحته بأن يتشجع ويقرب إلى شركة القديسين، بإيمان ثابت، ورجاء صالح.

لكنه لا يكف عن النحيب، ويتحاشى الاقتراب إلى المائدة، وينذر أن يحضر الصلاة رغم الإلحاح عليه... [٩١].

الرّسالة السادسة: وهي أيضاً موجهة إلى زستوس وكنيسة روما، وفيها يناقش الموضوع الذي أثير وقتئذٍ بجمع أقوى [٩٢].

وفي النهاية، انتصر موقف أساقفة كنيسة شمال أفريقيا وكلّ آسيا، وتفنّن في مجامع كنسيّة، ضرورة إعادة معموديّة الهراطقة، لأنها ليست معموديّة حقيقية. ولاسيّما ما أصدره مجمع نيقية المسكوني الأوّل سنة ٣٢٥م في هذا الصّد.

### امتداد ريادة كنيسة الإسكندرية في كل أرجاء العالم المسيحي

في هذا الوقت، ظهرت بدعة نوفاتوس، وكان قساً في كنيسة روما، واغتصب الأسقفية لنفسه عن غير وجه حق. فعقد بسببه مجمعٌ هناك في زمن رئاسة كرنيليوس أسقف روما، وجرد من الأسقفية، وحُرم من الكنيسة. فبعث كرنيليوس رسالة إلى فايوس بطريرك أنطاكية بخصوص هذا الأمر يقول فيها: "... ولم يدر هذا المنتقم من الإنجيل أنه يجب أن يكون هناك أسقفٌ واحدٌ في كنيسة جامعة [٩٣]، ومع ذلك فإنه لم يجهل، وكيف كان ممكناً أن يجهل أنه كان فيها ستّة وأربعون قسيساً، وسبعة شمامسة، وسبعة شمامسة مساعدين، واثنان وأربعون قسداً، واثنان

٩١ - يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١:٩:٧-٥).

٩٢ - نفس المرجع، (٦:٩:٧).

٩٣ - أي أسقف واحد للمدينة، وهو التقليد القديم الذي ساد في كل الكنيسة.

وخمسون طاردي الأرواح النَّجسة، وقارئون وبوَّابون، وأكثر من ألف وخمسة مائة أرملة وشخص في ضيقة، ينعمون كلُّهم بنعمة ورحمة السيِّد“ (٩٤).

ويقول أيضاً: ”وعندما شُفي من مرضه - أي نوفاتوس - لم يقبل الأشياء الأخرى التي يفرضها قانون الكنيسة حتى ولا ختم الأسقف“ (٩٥)، وإن كان لم يقبل هذا، فكيف يمكن أن يكون قد قبل الروح القدس؟“ (٩٦).

وقد أرسل البابا ديونيسيوس الكبير رسالة إلى نوفاتوس الذي كان يدعى أن بعض الإخوة كانوا سبب اختطافه رتبة الأسقفية على روما، كأنهم قد أجبروه على ذلك. فكتب البابا ديونيسيوس يقول له (٩٧):

[... إن كنتَ كما تقول قد دُفعت دفعاً بغير إرادتك، فبرهن على هذا بانسحابك بإرادتك، لأنه كان خيراً أن تتحمَّل كلِّ ألم عن أن تقسم كنيسة الله. وحتى الاستشهاد من أجل تجنُّب الانقسام لا يكون أقلَّ مجدداً منه لأجل رفض عبادة الأوثان. بل إنه يبدو في نظري أعظم، لأنه في الحالة الأخيرة، يستشهد المرء من أجل نفسه. وفي الحالة الأولى، من أجل الكنيسة بأجمعها ...] (٩٨).

وفي هذا الصِّدد، هناك بعض إشارات ليتورجية قديمة، تمنع رسامة من

٩٤- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١١:٤٣:٦).

٩٥- الإشارة هنا إلى سرِّ الميرون المقدَّس، والذي يقوم به الأسقف إن كان حاضراً.

٩٦- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (١٥:٤٣:٦).

٩٧- لاحظ هنا أن نوفاتوس كان مبتدعاً في كنيسة روما، ولكن ذلك لم يمنع البابا الإسكندري من حضِّه على الرجوع إلى الإيمان.

٩٨- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٤٥:٦).

يكونون قد تعمّدوا وهم في مرضهم الأخير قبل موتهم، إن عادوا وشفوا من مرضهم، فيقول البابا ديونيسيوس في ذلك:

[... لأنه كان لا يحل أن يقبل آية رتبة كهنوتية، شخص رُشّ على فراشه بسبب مرضه كما تم له - أي لنوفاتوس - ولكن الأسقف طلب أن يُسمح له برسامة هذا الشخص فقط].

وفي إشارة أخرى عن أن المتناول يقول "آمين" عند تناوله نقراً:  
[... وبدلاً من أن يقول آمين وهو يتناول الخبز، قال ...] (٩٩).

### حديث عن التوبة، وصلاة التحليل، وأهمية الإفخارستيا

أرسل البابا ديونيسيوس رسالة إلى فاييوس بطريك أنطاكية يذكر له فيها أموراً كثيرة عن التوبة، وسُلطان الكنيسة في حل الخطاة من خطيتهم، وأهمية تناول من الأسرار المقدسة قبل الانتقال. ففي هذه الرسالة يسرد البابا ديونيسيوس حقيقة عجيبة تستحق الذكر عن واحد اسمه سراييون، فيقول مخاطباً بطريك أنطاكية:

[كان معنا شخص اسمه سراييون، وهو مؤمن متقدّم في السن، عاش زمناً طويلاً بلا لوم، ولكنه سقط في التجربة. ولقد توسّل كثيراً، ولكن لم يلتفت إليه أحدٌ، لأنه ذبح للأوثان. فاعتراه مرض، وفقد النطق والوعي ثلاثة أيام متوالية.

وإذ تحسّنت صحته قليلاً في اليوم الرابع، أرسل إلى ابن ابنته قائلاً: إلى متى تعوّقوني يا ابني؟ أتوسّل إليك أن تُعجّل وتحلوني بسرعة. أَدع لي أحد القسوس. ولما قال هذا فقد النطق ثانية.

فركض الصبي إلى القس، وكان الوقت ليلاً، والقس مريضاً، فلم يقدر أن يأتي.

ولأنني كنتُ قد أمرتُ بأنَّ الأشخاص الذين على حافة الموت يجب أن تُعطى لهم المغفرة إذا طلبوها، سيّما إن كانوا قد طلبوها من قبل، لكي ينطلقوا برجاء حسن. لذلك أعطى (القس) الصبي جزءاً صغيراً من سرِّ الإفخارستيا، وقال له أن يغمسه (في الماء) ويدع الثَّقَط تسقط في فم الرَّجُل الشَّيخ.

فعاد به الصبي، وإذا اقترب، وكان لم يدخل بعد، تحرَّك سراييون ثانية وقال: لقد أتيت يا ابني ولم يقدر القس أن يأتي، ولكن افعل بسرعة ما أمرك به، ودعني أنطلق. عندئذ غمسه الصبي، وجعل الثَّقَط تسقط في فمه. وإذا بلع قليلاً، أسلم الروح في الحال.

أليس واضحاً أنه قد بقي حياً حتى نال الحل. وإذا مُسحت خطيئته، أمكن الاعتراف به بسبب الأعمال الصالحة الكثيرة التي فعلها؟

هذا ما رواه ديونيسيوس [١٠٠].

أول إشارة عن مؤلف لبعض التَّساويح في كنيسة الإسكندرية وفي إشارة عابرة ولكنها في غاية الأهمية، يشير البابا ديونيسيوس في رسالة له إلى منشأ بعض التَّساويح التي ظهرت في الإسكندرية في هذا الوقت، وذلك في معرض حديثه عن أحد أساقفة مصر في إقليم أرسينوي Arsinoe (الفيوم)، كانت له بعض التَّعاليم المغايرة لإيمان الكنيسة،



فيقول في ذلك:

[فإنني اعترف بتقديري ومحبي لنيبوس من نواح أخرى كثيرة، لأجل إيمانه ونشاطه واجتهاده في الأسفار المقدسة، ولأجل تسايحه العظيمة التي لا يزال الكثيرون من الإخوة يتلذذون بها، ويزداد احترامي له، لأنه سبقنا إلى راحته. على أن الحق يجب أن يُحَبَّ ويُكْرَمَ قبل كل شيء] (١٠١).

وتكميلاً لهذه الملاحظة الهامة، نعرف أنه في غضون سنة ٢٦٥م (١٠٢) أرسل الأساقفة الذين اجتمعوا في أنطاكية - بسبب هرطقة بولس الساموساطي أسقف أنطاكية - رسالة إلى البابا مكسيموس الإسكندري الذي خلف البابا ديونيسيوس، يقولون له فيها عن بولس الساموساطي: "... وإبطاله الترانيم الموجهة إلى ربنا يسوع المسيح، كأما اختراعات عصريّة للرجال العصريين" (١٠٣).

وهذه إشارة مهمة تفيد أنه في هذه الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة، نشأت بعض التسايح والترانيم، التي تُنشد في مصر وأنطاكية. وأن الأساقفة الكثيرين الذين اجتمعوا في أنطاكية، وجاءوا إليها من أماكن بعيدة، يأخذون على بولس الساموساطي إبطاله لترانيم موجهة إلى ربنا يسوع المسيح، ألفها رجال معاصرون، وقد ارتضى بها هؤلاء الأساقفة.

فهل كانت هذه التسايح والترانيم تُرتل في الكنيسة وفي داخل صلواتها الليتورجية؟ هذا ما لا نستطيع القطع به، ولكن ما يحملنا على

١٠١ - نفس المرجع، (٤:٢٤:٧).

١٠٢ - أي بعد سنة واحدة من نياحة البابا ديونيسيوس الكبير.

١٠٣ - يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٧:٣٠:١٠٠).

هذا الاعتقاد، هو أن هذه التسابيح والترانيم، إن كان قد ألفها أحد الأساقفة أو لاقت قبولاً منهم، فالأرجح جداً أنها تكون قد دخلت في نسج الخدمة الليتورجية في الكنيسة، سواء في مصر أو في أنطاكية.

### الرَّسَائِلُ الفصحية

معروف أنه منذ القرن الثالث الميلادي، صارت العادة المتبعة لدى أساقفة كنيسة الإسكندرية، أن يُعلموا الشعب والإكليروس بموعد عيد الفصح كل سنة، وبالتالي موعد بدء الصوم الذي يسبقه، وذلك بواسطة رسائل سنوية، دُعيت الرسائل الفصحية *Epistulae festales*. وتناقش هذه الرسائل الفصحية أحياناً الشؤون الكنسية الحادثة في أيامها، أو تتحدّث عن مشاكل حياة المسيحي اليومية، أو تحوي تعليماً عن الفضائل المسيحية، أو تحضّر المسيحي على مراعاة الصوم لكي يفرح بقيامة المُخلص ... الخ. وكان البابا ديونيسيوس الكبير هو أوّل من مارس ذلك الأمر.

ويتفق العلماء على أن جميع أساقفة الإسكندرية في تلك الأجيال المبكرة قد كتبوا هذه الرسائل، ولكن لم يبق منها سوى بعضٌ منها للبابا أناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، وقليل منها للبابا ثاوفيلس (٣٨٤-٤١٢م)، وثلاثين منها للبابا كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) عامود الدين.

أمّا رسائل البابا ديونيسيوس الفصحية، فقد ضاعت كلها مع الأسف. ولكنها كانت معروفة لدى يوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م) الذي يقول عنها: إن البابا ديونيسيوس استخدم فيها كلمات ثناء وتبجيل عن عيد الفصح، وبين فيها قاعدة ممارسة الفصح لثماني سنوات، موضحاً أنه لا يليق ممارسة عيد الفصح إلا بعد الاعتدال الربيعي. وهو ما أخذ به مجمع نيقية المسكوني الأوّل، وقتنه، وأوكل إلى أسقف كنيسة الإسكندرية إرسال

رسالة إلى كل العالم المسيحي، يحدّد فيها موعد عيد الفصح.

ويشير يوسابيوس القيصري تحديداً إلى رسائل فصحية أرسلها البابا ديونيسيوس إلى أشخاص حدّد أسماءهم. ومن بين هذه الرسائل رسالة إلى هيراكس أحد أساقفة مصر، يذكر فيها البابا ديونيسيوس الفتنة التي كانت نائرة في الإسكندرية وقتئذ<sup>(١٠٤)</sup>. فيقول:

[إنني أريد أن أرسل بعض الرسائل لمن هم كأحشائي، وهم إخوة يعيشون في بيت واحد بنفس واحدة، وأبناء كنيسة واحدة. ولكنني لست أعرف كيف أرسل هذه الرسائل، لأنه أيسر أن يعبر الإنسان لا حدود المملكة فحسب، بل حتى من الشرق إلى الغرب، عن أن يذهب من الإسكندرية إلى الإسكندرية نفسها.

فقلب المدينة شاتكٌ جداً، واجتيازه أصعب من اجتياز الصحراء الواسعة المقفرة، التي عبرها جيلان من بني إسرائيل. أمّا موافنا الهادئة، فقد أصبحت كالبحر الذي انشق، وأصبحت له أسوار، وعبره إسرائيل، وابتلع فيه المصريون، لأنها كثيراً ما بدت كالبحر الأحمر بسبب كثرة القتلى فيها]<sup>(١٠٥)</sup>.

وفي رسالة فصحية أخرى له، كتب يصف عظم الآلام التي حلّت بهم في ذلك الوقت، فيقول:

١٠٤- كانت هذه الفتنة بسبب أن المدينة انقسمت إلى فريقين؛ أحدهما يشايح الإمبراطور جالينوس، وهو الإمبراطور الحقيقي، والثاني يناصر ماكرينوس وأولاده. وماكرينوس هذا هو رئيس نقابة السحرة في الإسكندرية ووزير مالية الدولة.  
١٠٥- يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، (٤، ٣:٢١:٧).

[... نحن الآن لا نرى إلا الدُموع، وكلُّ واحد ينوح،  
والعويل يرن صداه كلَّ يوم في المدينة بسبب كثرة الموتى ...  
لقد حدثت أمور مروعة كثيرة، أولاً أنهم طردونا لكننا احتفلنا  
بالعيد حتى في ذلك الوقت، ونحن وحدنا، مضطَّهدون،  
ومحكوم علينا بالموت من الجميع. وكلُّ مكان كابدنا فيه  
المصائب، كان لنا مكان أعياد، الحقول والبراري والسُّفن  
والفنادق والسُّجون. أمَّا الشُّهداء الذين أكملوا جهادهم، فقد  
احتفلوا بأهيج عيد، إذ عَيِدُوا فِي السَّمَاءِ] (١٠٦).

#### قوانين البابا ديونيسيوس الإسكندري

كتب البابا ديونيسيوس الكبير في سنة ٢٦٠ م رسالة إلى باسيليدس  
Basilides أسقف الخمس مُدُن الغربية (١٠٧). وفيها يجيب البابا على كثير  
من الأسئلة التي أرسلت إليه بخصوص فترة الصُّوم الذي يسبق عيد  
الفصح، وبخصوص الاستعداد للتناول من الأسرار المقدسة.

وقد أوردتُ النَّصَّ الكامل للرسالة في الملحق الأول في نهاية هذا  
الكتاب الذي بين يديك، وذلك ضمن قوانين بطاركة الكنيسة القبطية  
خلال الفترة من القرن الثالث الميلادي إلى القرن الخامس الميلادي، وهي  
القوانين التي تعترف بها الكنائس الشرقية، لاسيما الكنائس البيزنطية. إذ  
أنَّ رسائل بعض بطاركة الكنيسة القبطية قد تمَّ تحويلها إلى قوانين مُلزمة.

١٠٦- نفس المرجع، (٧:٢٢٢، ٤).

١٠٧- راسله البابا ديونيسيوس مرَّات كثيرة، ولم يتبق لنا من مراسلاته له سوى  
هذه الرسالة.

الملاحق

الرّسائل القانونيّة

لبعض بطاركة الكنيسة القبطيّة

والتي تعترف بها الكنائس الشّرقية



## تمهيد

إنَّ بعض الآباء القديسين الذين نبغوا في القرون الثلاثة، من الثالث إلى الخامس للميلاد، كتبوا رسائل، ضمَّنوها أجوبة قانونية. وقد ورد ذكر هذه الرسائل في قوانين مجمع ترولو المنعقد سنة ٦٩٢م، وهو المجمع المسكوبي الخامس السادس الذي تعترف به الكنائس البيزنطية.

وما يعيننا الآن من بين هؤلاء الآباء القديسين، خمسة من بطاركة الكنيسة القبطية. والقوانين التي استُخرجت من بعض رسائلهم، صارت قوانين تعترف بها الكنيسة الشرقية. وهؤلاء الآباء البطاركة الأقباط هم:

(١) البابا ديونيسيوس الكبير الـ ١٤ (٢٤٨-٢٦٥م).

(٢) البابا بطرس الكاهن والشَّهيد الـ ١٧ (٣٠٠-٣١٠م).

(٣) البابا أناسيوس الرسولي الـ ٢٠ (٣٢٨-٣٧٣م).

(٤) البابا تيموثاوس الأول الـ ٢٢ (٣٨٠-٣٨٥م).

(٥) البابا ثاوفيلس الـ ٢٣ (٣٨٤-٤١٢م).

وهذه الرسائل القانونية، هي رسائل مطوَّلة، وقد قُسمت إلى قوانين بحسب مواضيعها. ولقد لخصها العالم الإنجليزي جون جونسون John Johnson (١٦٦٢-١٧٢٥م)<sup>(١)</sup>، واعتمد هنري برسيفال على هذه الخلاصة في مجموعته القانونية التي حواها المجلد الرابع عشر من مجموعة "آباء نيقية وما بعد نيقية NPNF" والتي أخذ عنها الأرشيمندريت حنايا

كسّاب، معظم ما جاء فيها، وترجمه إلى العربية، وذلك في كتابه الشّهير عظيم الفائدة "مجموعة الشّرع الكنسي أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة التي وضعتها الجامع المسكونية والمكانية المقدّسة وما قبلته الجامع المسكونية من قوانين الرُّسل وقوانين بعض الآباء القديسين"، وهو الكتاب الذي أصدرته منشورات الثُّور في بيروت بلبنان سنة ١٩٧٥م.

ولأنّ كتاب "مجموعة الشّرع الكنسي" صار كتاباً واسع الانتشار في كلّ الكنائس الشّرقية، فقد التزمتُ بخلصة القوانين التي وردت به، إلّا أنّي ترجمت أهمّها ترجمة كاملة من الإنجليزية، كما وردت في مجموعة آباء نيقية وما قبلها وما بعدها.



المُلحَق الأوَّل

الرِّسَالَةُ الْقَانُونِيَّةُ لِلْبَابَا دِيُونِيسِيُوسِ الْكَبِيرِ

الْبَطْرِيَرِكِ الرَّابِعِ عَشَرَ

إِلَى الْأُسْقُفِ بَاسِيلِيدِسَ

## تمهيد

حُفِظَتْ لَنَا هَذِهِ الرَّسَالَةَ فِي نَصِّ يُونَانِي، وَقَدْ تُرْجِمَتْ إِلَى الْإِنْجِلِيزِيَّةِ فِي مَجْمُوعَةِ آبَاءِ مَا قَبْلَ نَيْقِيَّةِ ANF<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ الرَّسَالَةُ فِيمَا بَعْدَ نَصِّ قَانُونِيًّا كَنْسِيًّا، حَيْثُ تَمَّ تَقْسِيمُهَا إِلَى أَرْبَعَةِ قَوَانِينٍ. وَلَقَدْ اسْتَشْهَدَ بِهَا مَجْمَعُ تَرُولُو الْمُنْعَقَدِ سَنَةَ ٦٩٢م، وَهُوَ مَجْمَعٌ تَعْتَرَفُ بِهِ الْكَنِيسَةُ الْبِيْزَنْطِيَّةُ. بِمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الْقَوَانِينِ الْأَرْبَعَةَ هِيَ قَوَانِينُ كَنْسِيَّةٍ تَعْتَرَفُ بِهَا كَنَائِسُ الشَّرْقِ.

وَأُورِدُ فِيمَا يَلِي النَّصَّ الْكَامِلَ لِهَذِهِ الرَّسَالَةِ، أَوْ بِالْحُرِيِّ نَصَّ هَذِهِ الْقَوَانِينِ الْأَرْبَعَةَ، وَعَقِبَ كُلِّ قَانُونٍ مِنْهَا، أُورِدُ خِلَاصَتَهُ كَمَا دَوَّنَهُ الْأَرَشِيْمَنْدَرِيْتِ حَنَانِيَا كَسَّابٌ فِي كِتَابِهِ "مَجْمُوعَةُ الشَّرْعِ الْكَنْسِيِّ"<sup>(٢)</sup>.

## (١) نَصُّ الْقَانُونِ الْأَوَّلِ

دِيُونِيسِيُوسُ إِلَى بَاسِيلِيدِسِ ابْنِي الْمَحْبُوبِ وَأَخِي، وَخَادِمِ الْأَقْدَاسِ مَعِي، وَالْعَبْدِ الْمَطْبُوعِ لِلرَّبِّ، تَحِيَّيْ فِي الرَّبِّ.

أَرْسَلْتُ إِلَيْهَا ابْنَ الْكَامِلِ وَالْعَمِيقِ فِي الْإِيمَانِ، لِتَسْأَلَ مَا هِيَ السَّاعَةُ الْمُنَاسِبَةُ الَّتِي يَلْزَمُ فِيهَا كَسْرُ الصَّوْمِ الَّذِي يَسْبِقُ عِيدَ الْفِصْحِ؟ هَلْ تَكُونُ فِي الْمَسَاءِ الَّذِي يَسْبِقُ الْإِحْتِفَالَ الْفِصْحِيِّ نَفْسَهُ؟ أَمْ عِنْدَ صِيَاحِ

1- ANF VI, 94-96.

٢- حَنَانِيَا كَسَّابٌ، مَجْمُوعَةُ الشَّرْعِ الْكَنْسِيِّ، مَنَشُورَاتُ الثُّورِ، ١٩٧٩م، ص ٨٧٤.

الدَّيْكَ، أم في وقت آخر؟

وأقول لك: هناك بعضُ الإخوة يتمسكون بأن يكون ذلك عند صباح الدَّيْكَ، وآخرون يتمسكون بأن يكون ذلك عند حلول الليل. أمَّا الإخوة في روما فيقولون إنهم ينتظرون الدَّيْكَ، بينما أنت تقول إن الذين ههنا يراعون أن يكون ذلك في وقت مبكر.

وبالتالي فإنَّ رغبتك التي تطلب تحديد ساعة محدَّدة بذاتها وبكلِّ دقَّة، هي في الحقيقة أمرٌ صعب لا يمكن تحديده. إلَّا أنه من المعروف قلبياً عند الجميع، أنَّ الذين يبلغون ذلك الوقت، أي يوم قيامة ربِّنا، يدلُّون نفوسهم بالأصوام، لكي يبدأوا في الحال فرحهم وسعادتهم الفصحية.

وأما فيما كتبتَه إليَّ، فقد أوضحتَ جلياً وإدراك عميق للأسفار المقدَّسة، أمَّا لا تُقدِّم لنا بكلِّ تدقيق السَّاعة التي قام فيها. لأنَّ الإنجيليين قدَّموا أوصافاً مختلفة للجماعات التي وفدت إلى القبر، جماعة تلو أخرى. والكلُّ أوضح أهمَّ رأوا أنَّ الرَّبَّ قد قام فعلاً. فيقول متى: «بعد السَّبْت عند فجر أوَّل الأسبوع» (متى ٢٨: ١). بينما يقول يوحنا: «باكرًا والظلام باق» (يوحنا ٢٠: ١). ويذكر لوقا «في الصُّباح باكرًا جدًّا». ويخبرنا مرقس أنه: «باكرًا جدًّا إذ طلعت الشَّمْس». وهكذا لم يوضِّح لنا واحدٌ منهم الوقت المحدَّد الذي قام فيه. فالذين جاءوا إلى القبر في نهاية السَّبْت، حين لاح فجر أوَّل الأسبوع، لم يجدوه راقداً فيه.

ودعنا نفترض أنَّ الإنجيليين لم يتَّفقا، أو قد خالف كلُّ منهم الآخر، ولكن برغم ما يبدو لنا من صعوبة ما في مسألتنا هذه، إلَّا أنهم قد اتَّفقا كلُّهم على أنَّ ربِّنا نور العالم، قد قام في تلك اللَّيلة، إلَّا أنهم اختلفوا فقط

فيما يختص بالساعة.

وسوف نبحث الأمر جيداً بحكمة وبعقل يملؤه الإيمان، لكي نوفق بين عباراتهم. فرواية متى تجري هكذا: «في نهاية ὥρα السبت حين لاح فجر اليوم الأول من الأسبوع، أتت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر، وإذا زلزلة عظيمة قد حدثت، لأن ملاك الرب نزل من السماء، وجاء ودحرج الحجر، وجلس عليه. وكان منظره كالبرق، ولباسه أبيض كالثلج. فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات. فأجاب الملاك وقال للمرأتين لا تخافا أتما، فإني أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب، ليس هو ههنا، لأنه قام كما قال» (متى ٢٨: ١-٦).

والآن فإن عبارة "في نهاية" ὥρα، سوف يظنُّها البعض أنها تعني — طبقاً للاستخدام العادي للكلمة — المساء the evening أي مساء السبت، بينما البعض وبإحساس أفضل، سيقولون إنها لا تعني ذلك، بل تعني ساعة متأخرة من الليل. لأن عبارة "في نهاية" ὥρα تشير إلى التائي وطول الوقت. ولأن الإنجيلي كان يعني بها الليل night وليس المساء evening فقد أضاف الكلمات "عندما لاح فجر أول الأسبوع" as it began to dawn toward the first day of the week حيث لم تكن الجماعات قد جاءت بعد. بينما قال آخرون: «يحملون حنوطاً»، وأيضاً: «لينظروا القبر». واكتشفوا حدوث الزلزلة والملاك جالساً على الحجر، وسمعوا منه الإعلان «ليس هو ههنا، لأنه قام».

وبنفس التأثير تكون شهادة يوحنا حيث يقول: «في أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية باكراً والظلام باق إلى القبر، ورأت الحجر مرفوعاً عن القبر» (يوحنا ٢٠: ١). فهي تقدّمت والظلام باق.

أمّا لوقا فيقول «فرجعن وأعددن حنوطاً وأطياباً. وفي السّبت استرحن حسب الوصيّة. ثمّ في أوّل الأسبوع أوّل الفجر، أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه، ومعهن أناس، فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر» (لوقا ٢٣: ٥٦-٢٤). فعبارة "أوّل الفجر" very early in the morning ربما تشير إلى أوّل فجر اليوم الأوّل من الأسبوع. وهكذا عندما عبر السّبت كلّهُ، وتبعه كلُّ اللّيل الذي جاء بعده، وعندما بدأ يوم آخر، أتيا يحملان حنوطاً ومُراً. وأصبح واضحاً أنه قد قام فعلاً منذ وقت طويل مضى.

ويتبع القديس مرقس ذلك قائلاً: «وبعد ما مضى السّبت اشترت مريم المجدليّة ومريم أم يعقوب وسالومه حنوطاً ليأتين ويدهنّه. وباكراً جداً في أوّل الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشّمس» (مرقس ١٦: ١). فهذا الإنجليزي أيضاً استخدم تعبير "باكراً جداً" very early وهو نفس تعبير "أوّل الفجر" very early in the morning الذي استخدمه الإنجليزي السّابق.

وهكذا انطلقوا تجاه القبر، آخذين طريقهم باكراً جداً في الصّباح أو كما يقول مرقس: باكراً جداً، وظلّوا وقتاً على الطّريق حتى طلعت الشّمس. وإذا بشاب لابساً ثياباً بيضاء قال هن: «إنه قام ليس هو ههنا».

إذاً والحالة هذه، فسوف نورد العبارة الثّالثة شارحين الأمر لأولئك الذين يبحثون عن حساب دقيق لتحديد ساعة بعينها، أو نصف ساعة، أو ربع ساعة، والتي عندها يبدأون فرحهم بقيامة ربّنا من بين الأموات.

فأولئك المتسرّعون جداً الذين يقطعون صومهم قبل منتصف اللّيل،

فنحن نلومهم كمتهاونين وغير معتدلين، إذ يقطعون صومهم باندفاعهم. وحسب قول أحد الحكماء: "أمور الحياة التي تتم في لحظة، ليست بالضرورة تافهة". أمّا الذين ثبتوا واستمروا في صومهم إلى وقت طويل جداً، وحفظوه حتى الهزيع الرابع، وهو أيضاً الوقت الذي أظهر فيه المخلص نفسه ماشياً على البحر لأولئك الذين كانوا في العمق، فنحن نعتبرهم تلاميذ نبلاء عمّالين.

ولأولئك الذين يتوقفون عن الصّوم، ويجددون أنفسهم، ثم يعودون للصّوم مرّة أخرى على قدر استطاعتهم، فدعنا ألا نضغط عليهم بشدّة، لأنّ الجميع لا يراعون ستّة أيام الصّوم مراعاة واحدة. فالبعض يطوون كلّ الأيام في صوم بدون طعام البتّة، بينما آخرون يحفظون صوم يومين، وآخرون ثلاثة أيام، وآخرون أربعة أيام، وآخرون ولا حتى يوم واحد.

أمّا أولئك الذين جاهدوا خلال هذه الأصوام الطويلة، فأجهدوا وصاروا غير قادرين على مباشرة أعمالهم، فנסأحهم لكي يتناولوا شيئاً من الطّعام. أمّا إذا كان هناك من يمتنعون عن مثل هذه الأصوام الطويلة ويرفضون مطلقاً أن يصوموا، وبالأكثر ينهمكون في الرّخاوة أثناء الأربعة أيام الأولى، وعندما يبلغون اليومين الأخيرين - أي صوم يوم الاستعداد (الجمعة) ويوم السّبب - يصومونهما وحدهما بصرامة، ويظنّون أنّهم يفعلون أمراً عظيماً مدهشاً إذا صاموا حتى الصّباح، فإنّي لا أستطيع أن أفكر أنّهم يتساوون مع من مارسوا نفس الشّيء أثناء الأيام الأخرى السّابقة لهذين اليومين. هذه هي النّصيحة التي قدّمتها إليك كتابة، طبقاً لفهمي في هذا الأمر.

ملخص القانون الأول<sup>(٣)</sup>

يتوقف موعد كسر الصيام الفصحي على معرفة الساعة التي قام فيها المخلص بالتدقيق. وهذا ما لا يُستطاع تعيينه ممَّا ورد في الأناجيل الأربعة. ولذلك فالذين لم يصوموا أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، ليس بالأمر الكثير عليهم أن يصوموا الجمعة والسبت قبل القيامة حتى الساعة الثالثة صباح الفصح. أمَّا الذين صاموا كلَّ الأيام الستة من الأسبوع، فلا يلامون إذا بكرّوا في كسر الصيام حالاً بعد منتصف الليل.

## (٢) نصُّ القانون الثاني

السؤال الذي يخصُّ النساء في وقت حيضهن، وما إذا كان من المناسب لهنَّ وهنَّ في مثل هذه الحالة أن يدخلن بيت الرب، هو سؤال لا يستحق عناء البحث. لأنني أرى أنهنَّ إن كنَّ من المؤمنات، ونُسوة تقيّات، لا يتهورنَّ وهنَّ في هذه الحالة، ويسرعن إلى لمس المائدة المقدّسة، أو جسد ودم الرب. وقيناً أنَّ المرأة التي كان لديها ينبوع الدّم اثنتا عشرة سنة، لم تلمس الرب نفسه، بل طرف ثوبه فقط، لكي تنال الشفاء.

وأما الصلاة، فهي تتم في أيِّ حالة يجد المرء نفسه فيها. لأننا نتذكّر الرب في أيِّ وقت. وأيضاً نقدم التضرّعات لكي ينال المرء معونة. كلُّ هذه الممارسات يمكن أن تتم بلا لوم. أمَّا الذي ليس هو طاهر النفس والجسد، فإنه يُمنع من التقدّم إلى قدس الأقداس.

٣- بحسب ما أورده الأرشيمندريت حنانيا كساب في كتابه: مجموعة الشّرع الكنسي. وهكذا في باقي ملخصات القوانين التالية.

### ملخص القانون الثاني

لا يجوز للنساء في حيضهن، أن يتقدمن إلى المائدة المقدسة ويتناولن جسد المسيح المقدس ودمه الكريم. بل لا يجوز أن يدخلن إلى الكنيسة<sup>(٤)</sup>. أمّا واجب تقديم الصلوات فيقمن به في مكان آخر.

### (٣) نص القانون الثالث

الأكفاء الذين تقدّموا في السن، لهم أن يحكموا بأنفسهم في هذه الأمور. فإنه من المناسب أن يمتنع كلٌّ منهما عن الآخر بموافقة، لكي يتفرّعا للصلاة، ثمّ يجتمعا معاً مرّةً أخرى كما سمعوا من بولس في رسالته.

### ملخص القانون الثالث

إنّ الذين يستطيعون أن يحتملوا، وقد بلغوا السنّ الذي يمكنهم من أن يحكموا بأنفسهم، فقد سمعوا ما قاله القديس بولس «لا يمنع أحد الزوجين الآخر عن ذاته إلاّ على موافقة إلى حين، لكي يتفرّعا للصلاة، ثمّ يعودان إلى ما كانا عليه، لئلا يجربهما الشيطان لعدم عفتهما» (١ كورنثوس ٧: ٥).

### (٤) نص القانون الرابع

وأما الذين حدث لهم فيضٌ ليلي بدون إرادتهم، فعليهم أن يستمعوا لصوت ضمائرهم، وأن يمتحنوا أنفسهم إذا كانت لديهم شكوك حول هذا الأمر أم لا. لأنّ الذي يشكُّ في مسألة أكل اللحوم (المقدمة للأوثان)

٤- لستُ أجدُ في خلاصة هذا القانون بخصوص دخول المرأة الحائض إلى الكنيسة بجرّد الصلوة، تطابقاً كاملاً مع نصّه. وما يذكره البابا ديونيسيوس في نصّ القانون الرابع الآتي ذكره، بخصوص الفيض الليلي عند الرّجل، يدعم هذا الافتراض.



يدان إن أكل، كما يجبرنا الرسول<sup>(٥)</sup>. وإذا كانت هذه هي القاعدة، فللذين يقتربون من الله، يجب أن يكون لديهم ضميرٌ صالح، وثقة كاملة، في حُكم ضمائرهم.

### ملخص القانون الرابع

إن الذين يمتنون ليلاً وهم نيام دون إرادتهم، فليكن ضميرهم القاضي في السّماح أو عدم السّماح لأنفسهم بالشّركة، على مثال ما قال بولس الرسول في شأن الطّعام «وأماً من يعتبر فرقاً، فإن أكل فإنه يُحكم عليه» (رومية ١٤: ٢٣).

### نص ختام الرسالة

وفي الحقيقة، فإنه لكي تُظهر اهتمامك بنا - لأنك لا تجهل هذه الأمور أيها الحبيب - اقترحت علينا هذه الأسئلة، جاعلاً إيانا عقلاً واحداً معك كما نحن بالفعل، وروحاً واحداً معك. أمّا من جهتي، فقد أدليتُ برأيي عموماً، ليس كمعلم بل بكلّ بساطة، لكي نتبادل الآراء فيما بيننا. وعندما تفحص رأيي يا ابني جزيل الإدراك، فسوف تكتب إليّ ثانية برأيك فيما يختص بهذه الأمور، لكي أعرف ما بدا لك منها صحيحاً ومميزاً، وما تستصوبه من حُكمي على هذه الأمور.

لتكن الأمور حسنة دائماً معك يا ابني الحبيب. وصلاتي أن تخدم الربّ في سلام.

### ملخص ختام الرسالة

إنني أدليتُ برأيي في القضايا التي استشرتني بشأنها، ليس كمن يعلم، بل بكل بساطة بحسب العلاقة التي يجب أن تكون بيننا. فيا ولدي الجزيل الإدراك والعلم، أرجو منك أن تفحص ما كتبته، ثمّ تدلي لي برأيك، وهل توافقني على ما رأيتُ؟

المُلحِق الثَّانِي

الرَّسَالَةُ الْقَانُونِيَّةُ لِلْبَابَا بَطْرُسِ الشَّهِيدِ

الْبَطْرِيْرِكِ السَّابِعِ عَشْرَ

عَنْ التَّوْبَةِ

## تمهيد

من بين الكتابات والرّسائل القليلة التي تبقت لنا من كتابات البابا بطرس الكاهن والشّهيد (٣٠٠ - ٣١٠م)، "رسالة قانونيّة عن التّوبة" *Περὶ μετανοίας*<sup>(١)</sup>. وهي رسالة شهيرة له، كُتبت في سنة ٣٠٦م، تختص بمن سقطوا ووجدوا الإيمان أثناء الاضطهاد الذي شنّه الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م) بدءاً من سنة ٣٠٣م. وقد حُفظت لنا باليونانيّة، كما أنّ لها ترجمات سريانيّة وجورجيّة وسلافونيّة قديمة.

وهي رسالة طويلة، وردت بنصّها في الجزء السّادس من مجموعة آباء ما قبل نيقية ANF VI. وقد قُسمت هذه الرّسالة إلى خمسة عشر قانوناً، ولم تُترجمها كاملة مكتفياً بخلاصتها كما أوردها برسيفال نقلاً عن جونسون، وهي<sup>(٢)</sup>:

1. CPG 1639 — PG 18, 468-508 = BEI 18, 229-249 ; ANF VI, p. 269-278.

انظر للمؤلف، فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندريّة، الكتابات اليونانيّة، ص ١٨١  
٢- انظر: حانبا كساب، مجموعة الشّرع الكنسي، منشورات الثّور، ١٩٧٥م، ص ٨٧٨ وما بعدها.

## نص القوانين

### القانون الأول

هذا هو الآن الفصح الرابع<sup>(٣)</sup> منذ بدء الاضطهاد، وقد تحدّد أنّ الذين لم يسقطوا إلاّ بعد أن احتملوا عذابات أليمة، وانقضى عليهم الآن ثلاث سنوات، وهم مع النَّائحين، فبعد صوم أربعين يوماً، يُقبلون في الشَّرْكة، وإن لم يكن قد جرى قبولهم أولاً مع النَّائحين.

### القانون الثاني

إنّ الذين احتملوا السَّجن لا غير بدون تعذيب، فليُضف سنة إلى قصاص توبتهم السَّابق.

### القانون الثالث

إنّ الذين سقطوا طوعاً دون أن يتعرَّضوا للتَّعذيب أو السَّجن، فليُضف أربع سنوات إلى قصاص توبتهم السَّابق.

### القانون الرابع

أمّا الذين لم يتوبوا، فقد فقدوا كلّ رجاء، وهم لا يزالون بالخطر.

### القانون الخامس

والذين لجأوا إلى الحيلة، فلم يكتبوا جحودهم للإيمان، أو لم يقدّموا البُخور بأيديهم للأصنام، بل أرسلوا من قام بذلك عنهم من الوثنيين،

٣- أرسل البابا بطرس رسالته هذه عن التَّوبة ضمن رسالة الفصح التي أرسلها إلى شعب الإسكندرية في الفصح الرابع منذ بدء الاضطهاد.

فهؤلاء يُحکم عليهم بستة أشهر مع التائبين، وإن عفا عنهم بعضُ المعترفين.

### القانون السادس

أمَّا العبيد الذين أرغمهم سادتهم على تبخير الأضنام نيابة عنهم، فيُحکم عليهم بأن يُقيموا سنة مع التائبين.

### القانون السابع

أمَّا السادة الذين أرغموهم، فيُحکم عليهم بثلاث سنوات مع التائبين، لأنهم مراءون، وإلزامهم لعبيدهم على تقديم الذبيحة عنهم.

### القانون الثامن

والذين سقطوا أولاً ثم ارتدوا معترفين بأنهم مسيحيون، واحتملوا العذابات، فإنهم يُقبلون حالاً في الشركة.

### القانون التاسع

والذين أثاروا سخط الحكام ليحملوهم على اضطهادهم، واضطهاد إخوتهم، يوبخون، ولكنهم لا يُمنعون من الشركة.

### القانون العاشر

والإكليريكيون الذين عرّضوا أنفسهم للاضطهاد، فسقطوا، لا يجوز قبولهم بعد في خدمة الأسرار المقدسة، ولو ارتدوا فيما بعد واحتملوا العذابات.

### القانون الحادي عشر

إننا نشترك في الصلاة مع الذين يُصلُّون من أجل الذين سقطوا أثناء التعذيبات التي تعرَّضوا لها بسبب الوشايات، لأنهم يوحون بمرارة وتذلل من أجل سقطتهم. «وإن أخطأ أحدكم فلنا شفيع عند الرب يسوع المسيح البار، وهو كفارة عن خطايانا» (يوحنا ١: ٢، ٢).

### القانون الثاني عشر

إن الذين ابتاعوا راحتهم وحرَّيتهم بالمال، يحق لهم الثناء «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه» (مرقس ٨: ٣٦).

### القانون الثالث عشر

وهكذا لا يجوز أن نلوم الذين هربوا وتركوا كل شيء، على الرغم من أن الذين تركوهم خلفهم قد صار نصيبهم أسوأ<sup>(٤)</sup>.

### القانون الرابع عشر

إن الذين احتملوا العذابات حتى فقدوا قوَّة النطق والحركة، ودُفعت أيديهم فوق النار لتقدم الذبيحة الرجسة، فلتكن أسماؤهم في الذبيحة مع المعترفين.

٤- استشهد القديس بطرس في هذا القانون بما حدث عندما سخر الجوس بهيروُدس فغضب، وأرسل وقتل صبيان بيت لحم، من ابن سنتين فما دون (متى ١٦: ٢). ثم قال إن ألبصابات هربت أيضاً بأبنها يوحنا المعمدان في ذلك الوقت، فقتل والده زكريا بن براكيا بين الهيكل والمذبح (متى ٢٣: ٣٥). وقد رفض القديس إيرونيموس (جيروم) (٣٤٢-٤٢٠م) قبول هذا الرأي في أن زكريا قتل لهذا السبب، وفي ذلك الوقت.

### القانون الخامس عشر

يجب الصوم يوم الأربعاء تذكراً لمؤامرة اليهود على تسليم يسوع.  
ويجب الصوم يوم الجمعة تذكراً لآلام الفادي لأجلنا. أمّا يوم الرب فهو  
يوم فرح، لأنّ ربنا قام فيه. وفي تقليدنا أنه لا يجوز أن نركع في الصلاة في  
ذلك اليوم.



المُلحق الثَّالث

الرَّسائل القانونيَّة للبابا أثناسيوس الرَّسولي

البطريرك العشرين

## تمهيد

لقد أوردتُ فهرساً دقيقاً بكلِّ مؤلِّفات البابا أناسيوس الرِّسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، وذلك في كتاب "فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية - الكتابات اليونانية".

ومن بين كتاباته، هناك ثلاث رسائل له، اعتبرتها الكنيسة الجامعة رسائل قانونية. وقد ورد ذكرها في الجمعين السادس (ترولو المنعقد سنة ٦٩٢م)، والسابع الذي عُقد سنة ٧٨٧م. وهما مجمعان تعترف بهما الكنائس البيزنطية فحسب.

ولقد تُرجمت هذه الرسائل ترجمة كاملة إلى اللغة الإنجليزية، ونُشرت في المجلد الرابع من السُّلسلة الثانية لآباء نيقية وما بعد نيقية.

أمَّا هذه الرسائل الثلاث فهي:

(١) رسالة إلى آمون<sup>(١)</sup> - *Epistula ad Amun*

كُتبت قبل سنة ٣٥٦م رداً على استفسار الرُّهبان بتوسُّط أبيهم آمون أب جبل نتريا، بخصوص انزعاجهم من الإفرازات الليلية اللاإرادية. فأجابهم القديس أناسيوس بأنها واحدة من ضروريات طبيعة الجسد مثل باقي الإفرازات الأخرى، وهي ليست خطيئة. إذ ليس في أنفسنا شيء غير نقي، ولكننا نصبح غير أنقياء فقط إذا أخطأنا بإرادتنا.

1. CPG 2106 — PG 26, 1169-1178 = BEΠ 33, 81-85 ; NPNF 2<sup>nd</sup> ser., Vol. IV, p. 556-557.

والنص اليوناني لهذه الرسالة منشور في مجموعة الآباء اليونان PG وفي مكتبة الآباء اليونان BEP. وقد أشار العالم الألماني أنطون بومشتارك A. Baumstark إلى الترجمة السريانية لهذه الرسالة<sup>(٢)</sup>. كما أن لهذه الرسالة ترجمة عربية قديمة أشار إليها الأب سمير خليل<sup>(٣)</sup>.

### النص الكامل لرسالة البابا أناسيوس الرسولي إلى الأب آمون

[كل الأشياء التي صنعها الله جميلة وطاهرة، لأن كلمة الله لم يصنع شيئاً علمت النفع أو غير طاهر. لأننا «رائحة المسيح الذكيّة في الذين يخلصون» (٢ كورنثوس ٢: ١٥) كما يقول الرسول. ولكن بما أن سهام إبليس متنوّعة وماكرة، وهو يتحایل لإزعاج البسطاء، ويحاول أن يعيق الإخوة عن الممارسات العادية، ملقياً بينهم سراً أفكاراً عن التجاسة والدنس، لذلك دعنا بالإيجاز نطرد خطأ الشرير بواسطة نعمة المخلص، ونثبت قلب البسطاء. لأن كل شيء طاهر للطاهرين<sup>(٤)</sup>. أمّا ضمير التجسين، وكل ما يختص بهم، فقد صار دنساً.

وإني أتعجب أيضاً من خُبث الشيطان، لأنه رغم أنه هو الفساد بذاته، والسوء بعينه، فهو يوعز بأفكاره تحت مظهر الطهارة، وتكون النتيجة فخاً لا امتحاناً. فإنه - كما سبق أن قلت - لكي يصرف التساك عن تأملهم المفيد الذي اعتادوه. ولكي يظهر أنه ينتصر عليهم، فإنه يُشير بعض أفكار طئانة مثل تلك التي لا فائدة في الحياة لها. بل هي أمور باطلة وسخافات، يجب على الإنسان أن يطرحها جانباً.

2- A. Baumstark, *Geschichte*, p. 263.

3- Samir Khalil, in OCP 43, 1977, p. 186.

فأخبرني أيها الصديق المحبوب والكثير التقوى جداً، ما هي الخطيئة أو النجاسة التي توجد في أيِّ إفراز طبيعي؟ كما لو كان فكر الإنسان مهتماً بأن يجعل من إفرازات الأنف أو بصاق الفم - وهي ضرورة طبيعية - أمراً يستحق اللوم. ونضيف أيضاً ما تفرزه البطن، فكلُّها ضرورة طبيعية للحيوان. بالإضافة إلى ذلك، فإن كُنَّا نؤمن - كما تقول الكتُب الإلهية - أن الإنسان هو من عمل يدي الله، فكيف يمكن أن ينتج عمل دنس من قوَّة نقيَّة؟ وإذا كُنَّا نحن ذريَّة الله حسب ما جاء في أعمال الرُّسل الإلهية<sup>(٥)</sup>، فليس في أنفسنا شيء نجس. ولكننا حينما نرتكب الخطيئة، وهي أكثر الأشياء قدارة، فعندئذ فقط يُجلب الدُّنس.

ولكن عندما يحدث أيُّ إفراز جسدي بدون تدخُّل الإرادة، فإننا نعرف بالخبرة أن هذا يحدث كما في أشياء أخرى بضرورة الطبيعة.

ولكن حيث أن أولئك الذين لذَّهم الوحيدة هي مناقضة ما يُقال باستقامة، أو بالأحرى ما صنع الله، يقبلون حتى القول الذي في الإنجيل مستندين إلى أنه «ليس ما يدخل الفم ينجس، بل ما يخرج<sup>(٦)</sup>». لذلك فإننا مضطَّرون أن نوضِّح عدم المعقولية هذه.

فهذا ليس مجرد تساؤل معقول، فإنهم أولاً كأشخاص غير ثابتين يحرفون الكتُب بسبب جهلهم الخاص بهم<sup>(٧)</sup>. أمَّا معنى القول الإلهي فهو كالآتي: كان بعض الأشخاص كهؤلاء في هذه الأيام، يتشكَّكون من جهة الأطعمة، والرَّب نفسه لكي يبدِّد جهلهم، أو ربما ليكشف خداعهم، يقرِّر أنه ليس ما يدخل الإنسان ينجِّسه بل ما يخرج منه. ثمَّ

٥- أعمال ١٧: ٢٨

٦- متى ١٥: ١١

٧- ٢ بطرس ٣: ١٦

يضيف بالضبط من أين يخرج؛ من القلب، لأنه يعلم أن هناك توجد الكنوز الشريرة للأفكار الدنسة والخطايا الأخرى. والرسول يعلم بنفس الشيء، ولكن بأكثر اختصاراً قائلاً: ولكن الطعام لا يُقدّمنا إلى الله<sup>(٨)</sup>. وأيضاً فمن المعقول أن نقول إن أيّ إفراز طبيعي، لن يقدمنا أمامه للعقاب.

وعلى الأرجح، فإن رجال الطب يؤيدوننا في هذه النقطة. نقول هذا لكي نُحجل هؤلاء القوم على أيدي الخارجين عن مجال التعليم الديني، فإنهم يخبروننا أنه توجد مسالك ضرورية معينة موافقة للجسم الحيواني لأجل طرد فائض الإفرازات التي في أجزائها المختلفة. لأجل طرد فائض الرأس، الشعر والإفرازات المائية من الرأس. ولتطهير البطن وإخراج الفائض من المسالك البولية. فباسم الله أسألك أيها الشيخ المحبوب جداً من الله، أية خطيئة إذن هناك إن كان السيد الذي صنع الجسد أراد فصنع هذه الأجزاء لتكون لها مثل هذه المسالك؟ ولكن بما أننا يجب أن نصارع اعتراضات الناس الأشرار، إذ قد يقولون: إن كانت الأعضاء قد صوّرت بتنوع بواسطة الخالق، إذاً فلا توجد هناك خطيئة في استعمالها فعلاً. فلنوقفهم بهذا السؤال: ماذا تقصدون بالاستعمال؟ هل هو ذلك الاستعمال (الشرعي) الذي سمح به الله عندما قال: أتمروا وأكثروا واملاؤوا الأرض<sup>(٩)</sup>. والذي صادق عليه الرسول في الكلمات «الزواج مكرم والمضجع غير نجس» (عبرانيين ١٣: ٤)، أم ذلك الاستعمال المشاع، ولكنه يجري في تلصص وفي صورة زنا؟

فإنه في أمور أخرى أيضاً من التي تتعلق بسيرة الحياة، سنجد

اختلافات بحسب الظروف. فمثلاً ليس من الصّواب أن تقتل، أمّا في الحرب فإنّ تحطيم العدو يكون أمراً شرعياً، بل ومستوجباً للشّناء. وعلى هذا الأساس، فإنّ الذين يتفوّقون في الميدان، لا يُعتبرون مستحقّين لكرامات عظيمة فحسب، بل تُقام التّصبب أيضاً، لتُعلن ما حقّقوه. وهكذا فإنّ نفس العمل يكون في وقت ما وفي ظروف معيّنة غير شرعي، بينما في ظروف أخرى، وفي الوقت المناسب، يكون شرعياً ومسموحاً به. ونفس هذا التّعليل ينطبق على العلاقة بين الجنسين. فمباركٌ هو الذي - إذ قد حمل نير الزّواج في شبابه بحريّته - ينجب أطفالاً بالطّريقة الطّبيعيّة، ولكن إذا استعمل الطّبيعة بفجور، فإنّ عقاب ذلك، يكتب عنه الرّسول أنه ينتظر العاهرين والزّناة<sup>(١٠)</sup>.

وثمة طريقتان في الحياة فيما يختص بهذه الأمور، الواحد معقول وعادي أعني الزّواج، والآخر ملائكي ولا يفوقه شيء أي التبوئيّة.

والآن إن اختار الإنسان طريق العالم أي الزّواج، فلا لوم عليه، ولكن لن ينال مثل المواهب العظيمة التي للطّريق الآخر. ولكنّه سينال، على اعتبار أنه هو أيضاً يأتي بثمر، أي ثلاثين<sup>(١١)</sup>.

ولكن إن كان إنسان يعتقد الطّريق المقدّس غير الأرضي، فمع أنه - بالمقارنة بالطّريق السّابق - وعراً وصعبٌ في تكميله، إلّا أنّ له المواهب الأكثر روعة، لأنه يُنمي الثمر الكامل أي المائة.

وهكذا فإنّ اعتراضاتهم التّجسة الشّريرة، تكون قد وجدت الحل الصّحيح، المعطى منذ القدم في الكُتب الإلهيّة.

١٠- عبرانيين ٤:١٣

١١- مرقس ٤:٢٠ وما بعدها.

لذلك أيها الأب، شدّد القطعان الذين تحت رعايتك. واعظاً إياهم من الكتابات الرسولية، ومرشداً إياهم من (الكتابات) الإنجيلية، ناصحاً إياهم من المزامير، وقائلاً: «أحييني حسب كلمتك» (مزمو ١١٩: ١٠٧). وعلى أن كلمتك يُقصد بها أننا يجب أن نخدمه بقلب نقي. ولأن النبي كان عارفاً بذلك، فهو يقولها كما لو كان يفسّر نفسه: قلباً نقياً أخلق في يا الله<sup>(١٢)</sup> لثلاث ترعجني الأفكار الدنسة. ويقول داود: ثبّتني بروحك الحر<sup>(١٣)</sup>، لكن حتى إذا أقلقتني الأفكار، فإن قوة قادرة تعضدني من قبلك، وتعمل كسند.

وإذ تعطيهم هذه النصائح وأمثالها، قل عن الذين يتباطأون في إطاعة الحق، ولثقتك في الرب، إنك ستقنعهم ليكفوا عن مثل هذا الإثم. رثّم قائلاً: «والخطاة إليك يرجعون» (مزمو ٥١: ١٣). هكذا يصير من المؤكّد أن الذين يثيرون الأسئلة الخبيثة، يكفون عن مثل هذا العمل الباطل. وأولئك الذين يتشككون في بساطة أنفسهم يتقوون بروح حرّة. وبقدر ما أن كثيرين منكم يعرفون الحق بتأكيد، فليتمسكوا به غير منقوص، وغير متزعزع، في المسيح يسوع ربنا، الذي يليق به مع الآب، المجد والقدرة مع الروح القدس إلى الأبد آمين<sup>(١٤)</sup>.

### خلاصة الرسالة إلى آمون

إن الإيماء الليلي إذا حدث عن غير قصد، لا يُعدُّ خطيئة. إذ ما هي الخطيئة أو النجاسة في أيّ إفراز يحدث بحسب نوااميس الطبيعة نفسها؟ أليس من الجهل أن نحسب بروز الأف من الأذن خطيئة؟ ومثله

١٢- مزمو ٥١: ١٠

١٣- مزمو ٥١: ١٢ «وبروح رئاسي».

١٤- د. وليم سليمان فلادة، الدسقولية - تعاليم الرسل، مرجع سابق، ص ٤٢٧-٤٣٠

البُصاق يُتفل من الفم، والمخاط يُعزل من الأنف. ويمكننا أن نضيف إلى ذلك عدّة أشياء يتّضح منها أن البراز أمرٌ حتمي في حياة الحيوان. وإذا كنّا نعتقد أن الإنسان هو كما تعلّمنا من الكتاب المقدّس صنّع يد الله، فكيف يمكن الافتراض بأنّ الضّرورة تقضي عليه بالإقدام على عمل شيء نجس؟ وما دُمنا أبناء الله، كما يُعلّمنا سفر أعمال الرُّسل، فليس فينا شيء غير نقي<sup>(١٥)</sup>. وهكذا فالزّواج غير نجس، بل هو طاهر، وإن كانت التبوّلية - وهي فضيلة ملائكيّة لا يمكن أن يسمو عليها شيء - تُفضّل على الزّواج<sup>(١٦)</sup>.

## (٢) رسالة إلى روفينيانوس<sup>(١٧)</sup> - *Epistula ad Rufinianum*

كتبها البابا أناسيوس الرسولي بعد سنة ٣٦٢م، للإجابة على روفينيانوس Rufinianus الأسقف، بخصوص قرار قبول الأريوسيين في شركة الكنيسة. وفيها يوضّح القديس أناسيوس أنّ هذا القرار قد وصل إلى الإسكندرية، وصار معروفاً في كل مكان. وهو يقضي بمساحة الأريوسيين مع قادتهم بعد توبتهم، مع عدم إعطائهم وضعهم الإكليريكي في الكنيسة، أمّا الذين أُجبروا قهراً على السلوك بعدم تقوى، فيسامحون بعد توبتهم، ويعودون إلى وضعهم الإكليريكي.

والنّص اليوناني لهذه الرّسالة منشور في مجموعة الآباء اليونان PG وفي مكتبة الآباء اليونان BE11. كما حُفظت الرّسالة في ترجمات جورجية،

١٥ - أعمال ١٧: ٢٨-٢٩

١٦ - حنانيا كساب، مجموعة الشّرع الكنسي، مرجع سابق، ص ٨٨٢  
ويلاحظ القارئ العزيز كيف أنّ ملخّص الرّسالة به كثيرٌ من حرّية التّصرّف.

17. CPG 2107 — PG 26, 1180-1181 = BE11 33, 86-87; NPNF 2<sup>nd</sup> ser., Vol. IV, p. 566-567.



وعربية<sup>(١٨)</sup>، وسلافونية قديمة.

وقد نشرها روبرتسون A. Robertson مترجمة إلى الإنجليزية في مجموعة "كتابات آباء نيقية وآباء ما بعد نيقية" (NPNF)<sup>(١٩)</sup>.

### خلاصة الرسالة إلى روفينيانوس

إنَّ المجمع الذي عُقد في بلاد اليونان وشمل الذين في أسبانيا وفرنسا، قد حدّد أن الذين سقطوا أو الذين كانوا زعماء الضلال (الأريوسية)، يُعفى عنهم إذا تابوا، ولكن لا يُسمح لهم أن يتقدّموا إلى الرتب الإكليريكية. أمّا الذين لم يجحدوا ديانة حُسن العبادة، ولكنهم انفصلوا قهراً واضطراً، فرأى المجمع أن يُصفح عنهم، وأن يبقوا في رتبهم الإكليريكية، ولاسيّما وأنهم قدّموا في دفاعهم عن أنفسهم عُذراً مقبولاً، وأعطوا ضمانات بأنهم لن يتحوّلوا عن الإيمان القويم. أمّا الشعب الذي خُدع أو أرغم على الانفصال، فليُصفح عنه إذا تاب ولَفَظ اللعنة جهاراً على أفدوكسيوس وأوزيوس زعمي الأريوسيين، الذين يقولون: إنَّ المسيح مخلوق. ويجب أن ييسلوا أيضاً ذلك الإيمان الباطل، بعد أن يُعلنوا اعترافهم بإيمان الآباء في مجمع نيقية<sup>(٢٠)</sup>.

### (٣) الرسالة الفصحية التاسعة والثلاثون<sup>(٢١)</sup>

داوم البابا أناسيوس على مراعاة تقليد سابقه من باباوات كنيسة

18- Samir Khalil, in OCP 43, 1977, p. 186.

19- A. Robertson, NPNF 2nd ser., Vol. IV, p. 566-567.

٢٠- حانيا كساب، مجموعة الشرح الكنسي، مرجع سابق، ص ٨٨٣

٢١- عن الرسائل الفصحية للبابا أناسيوس الرسولي، انظر:

CPG 2102 — PG 26, 1367 n. 33, 1379 n. 46, 1389 n. 52, 1432-1444 = BEP 33, 75-79 ; NPNF 2nd ser., Vol. IV, p. 506-553 ; SC 197.

الإسكندرية، بإرسال رسالة فصحية إلى شعب الإسكندرية كل سنة، يحدّد فيها موعد عيد القيامة. وقد داوم على هذه العادة حتى في فترات نفيه. ولقد جمع أحد أصدقائه هذه الرسائل الفصحية بعد نياحته مباشرة، ومن ثمّ انتشرت انتشاراً واسعاً.

ومن هذه الرسائل، يتّضح أنّ عادة صوم الأربعين يوماً Lent قبل الفصح أصبحت عادة شائعة بعد سنة ٣٣٠م، إذ يؤكّد القديس أناسيوس الرسولي أنّ بدء الصوم يكون يوم الاثنين من الأسبوع السادس قبل الفصح. أمّا أوّل رسالة فصحية له والتي كتبها سنة ٣٢٩م، فتكلّم عن ستة أيام صوم فقط<sup>(٢٢)</sup>.

وتوجد لهذه الرسائل بعض شذرات في نصّها اليوناني الأصلي، أوردها قزمان مستكشف الهند، ضمن كتابه "الطوبوغرافيا المسيحية". وهي منشورة في مجموعة الآباء اليونان PG وفي مكتبة الآباء اليونان BEI. كما نُشرت باللاتينية أيضاً في مجموعة الآباء اللاتين PL. وقد نشر العالم W. Wolska-Conus هذه الشذرات اليونانية في مجموعة "المصادر المسيحية" SC<sup>(٢٣)</sup>.

كما حُفظت الرسائل الفصحية أيضاً - إلى جانب الشذرات المحفوظة منها باليونانية - في ترجمات سريانية وقبطية وأرمينية.

وتحتفظ الترجمة السريانية بعدد ١٣ رسالة منها في نصّها الكامل، كتبت ما بين سنة ٣٢٩م، ٣٤٨م<sup>(٢٤)</sup> بالإضافة إلى شذرات من ١٤ رسالة

22- Quasten, J., *op. cit.*, Vol. 3, p. 53.

23- W. Wolska-Conus, *Cosmas Indicopleustès, Topographie Chrétienne*, III, SC 197, Paris, 1973, p. 241-253.

24- *Ibid*, p. 53 .

فصحية أخرى غير كاملة. وقد حققها ونشرها لورد كيورتون W. Cureton في لندن سنة ١٨٤٨م، تحت عنوان: "الرسائل الفصحية لأناسيوس"<sup>(٢٥)</sup>. وهذه الترجمة عن الأصل السرياني هي التي نُشرت بالإنجليزية في مجموعة آباء نيقية وما بعدها NPNF<sup>(٢٦)</sup>.

أما عن الترجمة القبطية لهذه الرسائل الفصحية، فقد حقق ونشر العالم ليفور Lefort سنة ١٩٥٥م، النص القبطي لعدد ١٧ رسالة فصحية من هذه الرسائل في "مجموعة كتابات مسيحية شرقية" (CSCO) تحت عنوان: "القدّيس أناسيوس، الرسائل الفصحية والرّعوية في القبطية"<sup>(٢٧)</sup>.

كما نشر بعضها باللغة العربية، القس تادرس يعقوب وآمال إبراهيم نجيب في الإسكندرية سنة ١٩٦٧م، مترجمة من الإنجليزية<sup>(٢٨)</sup>.

أما بخصوص الرسالة الفصحية رقم (٣٩) - وهي التي تعيننا الآن بصفة خاصة - فلم تصلنا كاملة. وقد نُشر أصلها اليوناني في مجموعة القوانين الكنسية التي نشرها العالم جواثو P.P. Joannou في المجموعة الثانية من "الينابيع"<sup>(٢٩)</sup>. ولم تظهر كاملة مترجمة إلى العربية حتى اليوم، ومن ثمّ

25- W. Cureton, The Festal Letters of Athanasius, London, 1848.

٢٦- تحفظ مجموعة آباء نيقية وما بعد نيقية (NPNF) بنص ٢٧ رسالة كُتبت ما بين سنة ٣٢٩-٣٧٣م. وهي مترجمة عن النص السرياني، وأرقامها تتراوح من ١-٤٥ أي أنه تتخللها ١٨ رسالة ضائعة لم يُحفظ شيء منها في الترجمة السريانية.

27- L.Th. Lefort, S. Athanase. *Lettres festales et pastorales en copte*, CSCO 150 (1955), p. 1-72 (textus); CSCO 151 (1955), p. 1-54 (translatio).

٢٨- حُذف أهم جزء من الرسائل والذي يحوي تحديد تاريخ عيد الفصح، كما دُعيت "رسائل القيامة" مع أنها تتكلم عن فترة الصوم والدُخول فيه.

29- P.P. Joannou, *Fonti II*, p. 71-76 = PG 26, 1436-1440; 1176-1180.

فقد ترجمتها هنا إلى العربية. وهي رسالة تحوي قانون الأسفار المقدسة من العهدين القديم والجديد. وقد كتبها البابا أناسيوس الرسولي سنة ٣٦٧م.

### ما تبقى من النص الكامل للرسالة الفصحية رقم (٣٩)

... لفق (المتدعون) كتباً دعوها كتب الجدال<sup>(٣٠)</sup>، وأظهروا فيها نجوماً أعطوها أسماء قديسين. وفي الحقيقة، فإن هؤلاء الذين كتبوا مثل هذه الكتب قد جلبوا على أنفسهم خزين؛ لأنهم هدبوا نفوسهم بعلم كاذب وتافه، وبسبب الجهل والسداجة قادتهم كتبهم بواسطة أفكار شيطانية بعيداً عن الإيمان الصحيح الذي تأسس بكل الحق والاستقامة في حضرة الله<sup>(٣١)</sup>.

... وحيث أننا قد ذكرنا الهراطقة كمحرومين، إلا أننا حُزنا الأسفار الإلهية لنا للخلاص. ولكنني أخاف - كما كتب بولس إلى الكورنثيين - أن يُخدع بعض البسطاء منكم بسبب بساطتهم ونقاوتهم، بواسطة أذهان مثل هؤلاء الرجال، فيقرأون من الآن فصاعداً كتباً أخرى تُدعى أبوكريفة تقودهم بعيداً بسبب تشابهها مع أسماء الكتب القانونية. فأطلب إليكم أن تحتملوا حين أكتب إليكم، مذكراً بأمور أنتم مطلعون عليها، ومتأثرون بها بواسطة احتياج وامتياز الكنيسة!

٣٠ - الكلمة المقابلة في القبطية أو اليونانية هي απογραμμων أي جداول

تنجيمية astrological charts .

٣١ - هذه الفقرة الأولى حُفظت لنا في سيرة القديس ثيودور القبطية. فمحتواها وسياق الكلام فيها يظهران بدقة أنها اقتباس طبق الأصل لجزء من الرسالة الفصحية رقم (٣٩). أمّا الرسالة التي جاءت منها هذه الشذرة فقد اتضح من سياق الكلام فيها أنها رسالة إلى ثيودور وأنه قد تسلمها في الربيع السابق لنياحته. فإن كان ثيودور قد تبيح سنة ٣٦٤م، فإن ما جاء في هذه الشذرة، لا بد أن يكون قد أضيف بواسطة كاتب سيرته.

وتكميلاً لما ذكرته عن هذه الأمور، ولكي أمتدح موضوعي، فسوف أختار مثال لوقا الإنجيلي الذي قال بخصوص ذلك: إن كثيرين قد أخذوا بتأليف قصّة (٣٢)، لكي يختزلوا لأنفسهم الكتب الأبوكريفية ويخلطوها بالأسفار الإلهية الموحى بها، والتي نحن مقتنعون بها كليّة، والتي هي منذ البداية شاهدة وخادمة للكلمة، وقد سلّمت إلى الآباء. ويبدو أنه من الأوفق لي أيضاً وبسبب إلحاح من الإخوة الحقيقيين، أن أضع أمامكم الكتب القانونية التي سلّمت إلينا، والتي اعتمدت كتباً إلهية، حتى أنه في نهاية الأمر، يدين من وقع في الخطأ أولئك الذين اقتادوه بعيداً، ويفرح أيضاً من دوام ثابتاً في الثقاوة وازعاً هذه الأمور في ذاكرته.

ففي العهد القديم اثنان وعشرون سفرًا ، لأنه كما سمعتُ قد استقرَّ هذا العدد بين العبرانيين. وهي بالتتابع وطبقاً لأسمائها كما يلي: الأوّل التكوين، ثمّ الخروج، وبعده اللاويين، وبعده ذلك العدد، ثمّ تثنية الاشتراع. ويتبع ذلك يشوع بن نون، ثمّ القضاة، ثمّ راعوث، وبعده ذلك الأسفار الأربعة للملوك، الأوّل والثاني في سفر واحد (حالياً: صموئيل الأوّل والثاني)، وهكذا الثالث والرابع في سفر واحد (حالياً: سفر الملوك الأوّل والثاني)، ثمّ سفر أخبار الأيام في سفر واحد، ثمّ عزرا الأوّل والثاني في سفر واحد (أي عزرا ونحميا)، ثمّ كتاب المزامير، ثمّ الأمثال، ثمّ الجامعة، ونشيد الأنشاد، ويتبعه أيوب، ثمّ كتب الأنبياء الاثني عشر في سفر واحد، ثمّ نبوة إشعياء في سفر واحد، ثمّ إرميا مع باروخ والمرثي والرسالة في سفر واحد، ثمّ حزقيال ودانيال كل منهما في سفر. إلى هنا تكون كملت أسفار العهد القديم.

وليس من قبيل الملل أن أتكلّم عن أسفار العهد الجديد، وهي:

الأربعة أناجيل بحسب متى، مرقس، لوقا، ويوحنا. وأعمال الرُّسُل. وسبعة رسائل (تُسَمَّى الجامعة) وهي: ليعقوب واحدة، ولبطرس اثنتان، وليوحنا ثلاث، وليهوذا واحدة. بالإضافة إلى أربع عشرة رسالة لبولس كُتبت بالترتيب التالي: الأولى إلى الرومان، ثم اثنتان إلى الكورنثيين، واحدة إلى الغلاطيين، ثم إلى الأفسيين، ثم إلى الفيلبيين، ثم إلى الكولوسييين، واثنتان إلى التسالونيكيين، وتلك التي للعبيرانيين، واثنتان إلى تيموثاوس وواحدة إلى تيطس، والأخيرة إلى فليمون. وإلى جانب ذلك رؤيا يوحنا.

هذه هي ينابيع الخلاص. ومن يعطش فليرتوي بكلمات الحياة التي فيها. ففي هذه الأسفار وحدها، أعلن تعليم التقوى. فلا يتناولن أحدٌ فيضيف إليها أو يحذف منها شيئاً. وبخصوصها أحجل الرب الصدوقيين بقوله لهم: «تضلُّون إذ لا تعرفون الكُتب» (متى ٢٢: ٢٩)، ووبَّخ اليهود قائلاً لهم: فتشوا الكُتب لأنها هي التي تشهد لي (٣٣).

ولزيادة التَّدقيق، أُضيف إلى ذلك، كاتباً تحت إلحاح الضَّرورة، أنه توجد أيضاً بضعة كُتب لم تُذكر في نطاق هذا القانون، وقد أوصى الآباء بأن يطالعها المنضمُّون إلينا حديثاً، والرَّاعبون في أن يتدرَّبوا في تعليم التقوى، وهي: حكمة سليمان، وحكمة سيراخ، وأسفار أستير ويهوديت وطوبيا، وذاك الذي يُدعى تعليم الرُّسُل، والرَّاعي. أمَّا الكُتب السابقة يا إخوتي، فهي متضمَّنة في القانون. وأمَّا الأخيرة فُتقرأ فحسب. ولا يوجد أيُّ ذكر للكتابات الأبوكريفية، فهذه اختراع هراطقة، يكتبونها حينما يختارون ذلك، واضعين عليها استحساناتهم، ومحدِّدين لها تواريخ، لكي تبدو كتابات قديمة، لعلهم يجدون فرصة ليُضلُّوا البسطاء.

المُلحق الرَّابِع

الإجابات القانونيَّة للبابا تيموثاوس الأوَّل  
البطريرك الثاني والعشرين

## تمهيد

من بين كتابات البابا تيموثاوس الأوّل (٣٨٠-٣٨٥م) التي وصلت إلينا، إجاباته القانونيّة *Responsa canonica* ، وهي تتضمّن عدّة قوانين كنسيّة دخلت في المجموعات القانونيّة باسم قوانين البابا تيموثاوس الأوّل. ونصّها اليوناني منشور في مجموعة الآباء اليونان PG وفي مكتبة الآباء اليونان BEI<sup>(١)</sup>.

وقد حقّقها وأعاد نشرها جوانو P.P. Joannou في روما سنة ١٩٦٣م في المجلد الثّاني من مجموعة القوانين الكنسيّة القديمة المدعوة "الينابيع" والمختصّة بالبحث في "التّرتيب أو النّظام الكنسي العام القديم من القرن الثّاني إلى الثّاسع"، وهو بعنوان: "قوانين الآباء اليونان"<sup>(٢)</sup>.

وقد حُفظت هذه الإجابات القانونيّة أيضاً في ترجمات قبطيّة وسريانيّة وأرمينيّة وجورجيّة وعربيّة<sup>(٣)</sup>.

فقد حقّق ونشر العالم كرام W. E. Crum النّص القبطي لها في استراسبورج سنة ١٩١٥م، مع ترجمته إلى الألمانيّة، تحت عنوان: "مخطوط من البردي يعود إلى القرن السّادس أو السّابع الميلادي، من مكتبة فيليب

1. CPG 2520 — PG 33, 1296-1308 = BEP 42, 317-323.

2. P.P. Joannou, *Fonti. Fascicolo ix. Discipline générale antique (iie-ixe s.)*.  
t. II, *Les canons des Pères grecs*, Grottaferrata (Roma), 1963, p. 240-258.

3. Cf. G. Graf, *Geschichte I*, p. 316.



في شلتنهام“ Cheltenham<sup>(٤)</sup>.

كما نشرها كوكان R.G. Coquin في مجلة ”الشرقيات“ سنة ١٩٨١م، تحت عنوان: ”المجموعة القانونية القبطية. إضافة جديدة عن مخطوط قبطي رقم ٦ في المعهد الفرنسي للآثار الشرقية“<sup>(٥)</sup>.

A. أما عن الترجمة السريانية، فقد أشار العالم أنطون بومشتارك Baumstark سنة ١٩٠٩م، إلى المخطوطات السريانية التي تشمل هذه الإجابات القانونية. كما نشرها العالم ناو Nau في باريس في نفس السنة في ”مجلة الشرق المسيحي (ROC)“، مترجمة إلى الفرنسية<sup>(٦)</sup>.

A. كما نشر النص السرياني مع ترجمة إنجليزية العالم فوأوبوس busöVöö في لوفان (بلجيكا) سنة ١٩٧٥م، في ”مجموعة كتابات شرقية مسيحية“ (CSCO)، تحت عنوان: ”القوانين المجمعية في التقليد السرياني الغربي“<sup>(٧)</sup>.

وفيما يلي النص الكامل لهذه الإجابات القانونية.

4. W. E. Crum, *Der Papyruscodex s. vi-vii der Phillippsbibliothek in Cheltenham* (Schriften der wissenschaftlichen Gesellschaft in Strassburg, 18. Heft), Strassburg, 1915, p. 103 sq.

5. R.G. Coquin, *Le Corpus Canonum copte. Un nouveau complément: le ms. I.F.A.O., Copte 6*, in *Orientalia* 50, 1980, p. 43 et 44 and. 18.

6. A. Baumstark, *Geschichte*, p. 263 adn. 4.

F. Nau, in *ROC* 14 (1909), p. 35-37.

7. A. Vööbus, *The Synodicon in the West Syrian Tradition I*, CSCO 367 (Script. syr. 161), Louvain, 1975, p. 140-143 (textus) ; CSCO 368 (Script. syr. 162), Louvain, 1975, p. 138-141 (translatio).

## النص الكامل للإجابات القانونية للبابا تيموثاوس الأول

### سؤال (١)

إذا حضر الذبيحة ولدٌ عمره سبع سنوات، أو رجُلٌ موعوظ، وتناول منها عن جهل وبدون قصد، فما العمل في مثل هذه الحالة؟  
الجواب: يُمنح الاستنارة أي المعمودية، لأن الله قد دعاه.

### سؤال (٢)

إذا رغب موعوظ تسلط عليه الأرواح الشريرة في قبول المعمودية، أو إذا طلب ذروه ذلك، ولاسيما وهو في خطر الموت، فما العمل؟  
الجواب: إذا كان حقيقةً في خطر الموت، فليعمد وإلاً فلا.

### سؤال (٣)

هل يجوز للمؤمن المتسلط عليه الأرواح الشريرة أن يشترك؟  
الجواب: إذا كان لا يرفض الأسرار، ولا يجدف عليها، يُسمح له بالتناول أحياناً.

### سؤال (٤)

إذا مرض موعوظ وصار مخبولاً لا يستطيع أن يقدم اعتراف إيمانه، فهل يجوز أن يُعمد إجابة لتوسل أقربائه أو أصدقائه؟  
الجواب: يجوز أن يُعمد إذا لم تكن الأرواح النجسة مستولية عليه.

### سؤال (٥)

هل يجوز للرجل أو المرأة أن يتناول أحدهما الأسرار المقدسة بعد المضاجعة ليلاً؟

الجواب: لا. فقد قال الرسول: «لا يمنع أحدكم الآخر عن ذاته إلا على موافقة إلى حين، لكي تنفرغاً للصلاة، ثم عودا إلى ما كنتم عليه، لئلا يجربكما الشيطان لعدم عفتكما» (١ كورنثوس ٧: ٥).

### سؤال (٦)

إذا اتفق لامرأة من الموعوظات أن حدث لها عادة النساء في اليوم المعين لاستنارتها بالمعمودية، فهل يجوز أن تُعمد في ذلك اليوم؟  
الجواب: لا تُعمد حتى تعود نقيّة.

### سؤال (٧)

هل يجوز لامرأة وهي في دور حيضها أن تشارك (أي تتناول)؟  
الجواب: لا، إلى أن تعود نقيّة.

### سؤال (٨)

هل يجب على المرأة في حال ولادتها أن تحفظ صوم الفصح؟  
الجواب: لا. إن الصوم قد فرض، هو لإذلال الجسد. وعندما يكون الجسد في حال من الضعة والضعف بدون صوم، فينبغي للشخص إذ ذاك أن يأكل ويشرب، ليستطيع التغلب على الضعف.

### سؤال (٩)

هل يجوز للإكليريكي أن يقيم خدمة الذبيحة، أو يُصلي إذا حضر في المكان أريوسي أو مبتدع؟

الجواب: عند تقديم الذبيحة، يُعلن الشمّاس قبل القُبلة قائلاً: "كلُّ من هم ليسوا من المؤمنين، اخرجوا يا جميع الموعوظين. اخرجوا". ومن هذا يُستدل على أن أمثال هؤلاء الأشخاص، لا يجوز أن يكونوا حاضرين إلاّ بعد أن يَعِدوا بالتوبة، ونبذ البدعة.

### سؤال (١٠)

إذا مرض إنسان وهزل جسمه كثيراً بسبب ذلك، فهل يجب أن يصوم قبل الفصح المقدّس؟ وهل يستطيع الإكليريكي أن يعفيه من الصّوم ويأذن له بتناول أيّ نوع من الطّعام، أو على الأقل من الزّيت والخمر؟

الجواب: يجب أن يُؤذن للمريض بتناول الطّعام والشّراب.

### سؤال (١١)

هل يجوز لإكليريكي دُعي لمباركة زواج أن يقوم بالخدمة إذا عرف أنّ الرّبيجة غير جائزة بسبب القرابة (كأن تكون المرأة أخت زوجة الأرمل)؟

الجواب: لا. لا يجوز للإكليريكي أن يمالي القوم في مخالفتهم للشريعة.

### سؤال (١٢)

ما العمل إذا طلب عامي من كاهن أن يناوله مع أنه حدث له أمناء في اللّيل؟

الجواب: إذا حدث الأمناء نتيجة لشهوته لامرأة، لا يجوز أن يتناول.

أمَّا إذا حدث الأمانة تجربة من الشيطان ليحول دون تناوله، فعلى الكاهن أن يناوله، لأنَّ المجرَّب لا يكف عن المهاجمة في ذلك الوقت بالذات، الذي يجب فيه التناول.

### سؤال (١٣)

أي أيام الأسبوع يجب أن يمتنع الزوجان أحدهما عن الآخر؟  
الجواب: في يوم السبت ويوم الرب. ففيهما تُقدَّم الذبيحة غير الدمويَّة.

### سؤال (١٤)

هل يجوز تقديم الذبيحة عن روح من ضاع رُشده فقتل نفسه؟  
الجواب: على الكاهن أن يستقصي عن الحقيقة، فلا يُقدَّم الذبيحة إلاَّ بعد أن يتحقَّق أنَّ المنتحر فقد عقله قبل الانتحار.

### سؤال (١٥)

إذا أصاب المرأة مسٌّ إلى درجة تدعو إلى ربطها بالسلاسل، وكان الرَّجُل لا يحتمل الحرمان. فهل يجوز أن يتزوَّج امرأة أخرى؟  
الجواب: كلُّ ما أستطيع أن أقوله، هو أن الرَّجُل إذا أخذ امرأة أخرى، يُعدُّ زانياً.

### سؤال (١٦)

إذا صام الرَّجُل وعزم على الشَّرْكة، ولكنَّه إذ كان يغسل فمه، أو إذا كان يغتسل، بلع قليلاً من الماء عن غير قصد، فهل يجوز أن يتناول؟  
الجواب: نعم. لأنَّ الشيطان يجد دائماً سُبُلًا ليمنعه من تناول

الأسرار الإلهية.

سؤال (١٧)

كثيراً ما نسمع كلمة الله ولا نعمل بها، فهل قضي علينا بكم المنطق بالدينونة؟

الجواب: إذ ذاك، يجب أن لا تتأخر عن لوم أنفسنا، فندامتنا هي مقدمة خلاصنا.

سؤال (١٨)

في أي سن يصير المرء تحت شريعة دينونة الله لأجل خطاياها؟

الجواب: يتوقف هذا على درجة مدارك كل شخص. فالبعض تبدأ محاسبتهم منذ بلوغهم العاشرة، والبعض الآخر بعد أن يتقدموا أكثر من ذلك في العمر<sup>(٨)</sup>.

المُلحق الخامس  
قوانين البابا ثاؤفيلس  
البطريك الثالث والعشرين

## تمهيد

من بين كتابات البابا ثاوفيلس التي وصلت إلينا، خمسة قوانين له، سأوردُ مُجَمَّلَ بيانها فيما يلي، ثمَّ أوردُ النَّصَّ الكامل للقانون الأوَّل منها فقط، لأنه هو الذي يعيننا في دراستنا الطُّقُسيَّة هذه، حيث أنَّ باقي القوانين الأخرى، تختصُّ بأمور حدثت في أيامه هو.

قرارات قانونية<sup>(١)</sup> - *Edicta canonica*(١) حينما يقع عيد الثيوفانيا يوم أحد<sup>(٢)</sup>

*Cum sancta theophania in die dominico instarent.*

نصه اليوناني منشور في مجموعة الآباء اليونان PG . وقد حقَّقه وأعاد نشره جوانو P.P. Joannou في روما سنة ١٩٦٣م، في الجزء التَّاسِع من المجلد الثَّاني من مجموعة "الينايع". وهي دراسات تختصُّ بالبحث في "الترتيب (النَّظام) العام القديم من القرن الثَّاني إلى

١ - يوجد قانون منسوب له ولم يُنشر بعد (CPG 2679)، وهو محفوظ في مكتبة الفاتيكان في مخطوط Vat. gr. 573, f. 78r-v ومخطوط Vat. gr. 840, f. 208v-209 . وقد أثبتت الدِّراسات الحديثة عدم صحَّة نسبته إليه.

Cf. M. Richard, in *Muséon* 52 (1939), p. 48 n. 62 .

وله نصُّ عربي، كما يذكر جراف. Cf. G. Graf, *Geschichte* I, p. 318 .

2. CPG 2678 — PG 65, 33



التاسع“، وهو بعنوان: ”قوانين الآباء اليونان“<sup>(٣)</sup>. وله ترجمة عربية<sup>(٤)</sup>.

### ونص القانون هو:

قد يقع عيدُ الغطاس أحياناً، بحيث يتفق أن يكون يوم الرب هو يوم الاستعداد له (البرامون). فلتنصرف بحكمة وبما يليق باليومين. فأكل يوم الأحد شيئاً من الثمار، حتى لا نفع في بدعة عدم تكريم يوم الرب، ولكن لا نهمل الصوم كل الإهمال، فممنوع عن أكل أي شيء بعد ذلك حتى صلاة المساء، حيث نجتمع ابتداءً من الساعة التاسعة (أي الساعة الثالثة بعد الظهر)<sup>(٥)</sup>.

### (٢) توجيهات لقبول آمون<sup>(٦)</sup>

*Commonitorium quod accepit Ammon propter Lyco.*

نصها اليوناني منشور في مجموعة الآباء اليونان PG. وقد حققها وأعاد نشرها جوانو P.P. Joannou في نفس المرجع السابق ذكره<sup>(٧)</sup>.

### (٣) عن الذين يدعون أنفسهم بالأنقياء<sup>(٨)</sup>

*Narratio de iis qui dicuntur cathari.*

نصها اليوناني منشور في مجموعة الآباء اليونان PG. وقد حققه وأعاد

3- P.P. Joannou, *Fonti. Fascicolo ix. Discipline général antique (iie-ixe s.)* t. II, *Les canons des Pères grecs*, Grottaferrata (Roma), 1963, p. 262 sq.

4- Cf. G. Graf, *Geschichte I*, p. 318.

٥- حنانيا كساب، مجموعة الشرع الكنسي، مرجع سابق، ص ٩١١ مع تدقيق النص طبقاً للنص اليوناني الأصلي كما ورد في الـ PG.

6- CPG 2678 — PG 65, 36-44.

7- P.P. Joannou, *op. cit.*, p. 264-270.

8- CPG 2678 — PG 65, 44.

نشره جوانو P.P. Joannou في نفس المرجع السابق ذكره<sup>(٩)</sup>.

(٤) عن أغاثون الأسقف<sup>(١٠)</sup> - *Agathoni episcopo*

نصه اليوناني منشور في مجموعة الآباء اليونان PG . وقد حققه وأعاد نشره جوانو P.P. Joannou في نفس المرجع السابق ذكره<sup>(١١)</sup>.

(٥) تذكارات الأسقف<sup>(١٢)</sup> - *Menae episcopo*

نصها اليوناني منشور في مجموعة الآباء اليونان PG . وقد حققها وأعاد نشرها جوانو P.P. Joannou في نفس المرجع السابق ذكره<sup>(١٣)</sup>.

---

9. Cf. P.P. Joannou, *op. cit.*, p. 271 .

10. CPG 2678 — PG 65, 44.45.

11. P.P. Joannou, *op. cit.*, p. 272 sq. .

12. CPG 2678 — PG 65, 45.

13. P.P. Joannou, *op. cit.*, p. 273 .

المراجع

## أولاً المراجع الأجنبية

- Annick Martin, *Alexandrie à l'époque romaine tardive: l'impact du Christianisme sur la topographie et les institutions*, p. 12-13, dans Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, 1998.
- Birger A. Pearson, *Earliest Christianity in Egypt, Some Observations*, in *The Roots of Egyptian Christianity*, Editors, Birger A. Pearson
- Burmester, O.H.E., *On the Date and Authorship of Arabic Synaxarium of the Coptic Church*, JTS 39 (1938).
- Colin H. Roberts, *Manuscript, Society and Belief in Early Christian Egypt*, Oxford, 1979.
- Cross, F.L. & Livingstone, E.A. *The Oxford Dictionary of the Christian Church (ODCC)*, (2<sup>nd</sup> edition), 1988.
- Evetts, B., *History of The Patriarchs of The Coptic Church of Alexandria, Saint Mark to Theonad (300), Arabic Text Edition, Translated and Annotated*, Patrologia Orientalis, Tomus Primus, II, Paris, 1904.
- Gawdat Gabra, *Historical Dictionary of the Coptic Church (HDCC)*, The American University in Cairo Press, Cairo, 2008.
- Grant, R.M., *History of the Bible*, Cambridge, 1970.
- Klijn, A.F.J., *Jewish Christianity in Egypt*, in *The Roots of Egyptian Christianity*, Editors, Birger A. Pearson ; James E. Goehring, U.S.A., 1986
- Morton Smith, *Clement of Alexandria and a Second Gospel of Mark*, Cambridge, Harvard University Press, 1973.

- Otto Meinardus, *Christian Egypt Ancient and Modern*, 2<sup>nd</sup> ed., Cairo, American Univ. in Cairo Press, 1977.
- Quasten, J., *Patrology*, Vol. 1, 2, 1984.
- Stephen J. Davis, *The Early Coptic Papacy*, The American University in Cairo Press, Second printing 2005.
- Turner, E.G., *Greek Papyri, an Introduction*, Oxford, 1968.

### ثانياً: المراجع العربية

- تادرس يعقوب ملطي (القُمص)، نظرة شاملة لعلم الباتولوجي في السّنة قرون الأولى، الإسكندرية، ٢٠٠٨م.
- تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة لساويرس ابن المقفع أسقف الأشمونين، مطبوعات جمعية الآثار القبطية: المجلد الثاني، الجزء الأول، قام على نشره يسى عبد المسيح، وأسولد برمستر، القاهرة ١٩٤٣م.
- حنانيا كساب، مجموعة الشّرع الكنسي، منشورات النور، ١٩٧٩م.
- شنوده الثالث (البابا)، ناظر الإله الإنجيلي، مرقس الرّسول، القديس والشّهيد، القاهرة، الطّبعة الثانية، مايو ١٩٧٥م.
- متى المسكين (الأب)، الإفخارستيا عشاء الرّب، الطّبعة الثانية، ٢٠٠٠م.
- مجلّة مدرسة الإسكندرية، كنيسة مار جرجس سيورتنج بالإسكندرية، العددان الأوّل والثاني، ٢٠٠٩م.
- يوساييوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ترجمة القُمص مرقس داود، الطّبعة الثانية القاهرة، ١٩٧٩م.

## الدُّرَّةُ الطَّقْسِيَّةُ لِلْكَنِيسَةِ الْقِبْطِيَّةِ بين الكنائس الشرقيَّةِ

للرَّاهِبِ القس أثناسيوس المقاري

www.athanase.net

E-mail: father@athanase.net

### ◆ السِّلْسِلَةُ الأُولَى: مصادر طقوس الكنيسة

الرَّقْم	اسم الكتاب	تاريخ النُّشْر
١/١	الدِّيْدَاخِي أي تعليم الرُّسُل (طبعة ثانية)	يناير ٢٠٠٦م
١/٢	التَّقْلِيدُ الرُّسُولِيُّ (طبعة ثانية)	ديسمبر ٢٠٠٦م
١/٣	المراسيم الرُّسُولِيَّةُ - دراسة موجزة - نص الكتاب الثامن	أكتوبر ٢٠٠٤م
١/٦	فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندريَّة - الكتابات اليونانيَّة	يناير ٢٠٠٣م
١/٧	فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندريَّة - الكتابات القبطيَّة	يوليو ٢٠٠٦م
١/١٠	قوانين البابا أثناسيوس بطريك الإسكندريَّة (طبعة ثانية)	ديسمبر ٢٠٠٦م
١/١١	قوانين هيولييتس القبطيَّة	أكتوبر ٢٠٠٤م
١/١٤	قوانين بطاركة الكنيسة القبطيَّة في العُصور الوُسْطَى	يوليو ٢٠١٠م

### ◆ السِّلْسِلَةُ الثَّانِيَّة: مقدِّمات في طقوس الكنيسة

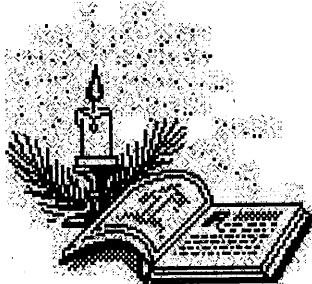
الرَّقْم	اسم الكتاب	تاريخ النُّشْر
٢/١	الكنائس الشرقيَّة وأوطانها - الجزء الأوَّل: رؤية عامة - كنيسة المشرق الآشوريَّة (طبعة ثانية)	أكتوبر ٢٠٠٦م
٢/٢	الكنائس الشرقيَّة وأوطانها - الجزء الثاني: كنيسة مصر	يناير ٢٠٠٧م
٢/٣	الكنائس الشرقيَّة وأوطانها - الجزء الثالث: الكنائس الشرقيَّة القديمة (طبعة ثانية)	أكتوبر ٢٠٠٦م
٢/٤	الكنائس الشرقيَّة وأوطانها - الجزء الرابع: الكنائس البيزنطيَّة	يناير ٢٠٠٥م
٢/٥	الكنيسة، معناها ومعناها (طبعة ثانية)	مايو ٢٠٠٨م
٢/٦	مُعْجَم المصطلحات الكنسيَّة، الجزء الأوَّل (طبعة ثالثة)	مارس ٢٠١١م
٢/٧	مُعْجَم المصطلحات الكنسيَّة، الجزء الثاني (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٥م
٢/٨	مُعْجَم المصطلحات الكنسيَّة، الجزء الثالث (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٨م
٢/٩	الملاحم الوثائقيَّة والليتورجيَّة لكنيسة الإسكندريَّة في الثلاثة قرون الأولى	أكتوبر ٢٠١١م

◆ السلسلة الثالثة: طقوس أسرار وصلوات الكنيسة

رقم	اسم الكتاب	تاريخ النشر
٣/١	معمودية الماء والروح (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٩م
٣/٢	سرُّ الروح القدس والميرون المقدس	مارس ٢٠٠٧م
٣/٣	تسبحة نصف الليل والسحر (طبعة ثانية)	نوفمبر ٢٠١١م
٣/٤	صلوات رفع البخور في عشية وياكر (طبعة ثانية)	نوفمبر ٢٠١١م
٣/٥	القداس الإلهي سرِّ ملكوت الله، الجزء الأول (طبعة ثانية)	مايو ٢٠١١م
٣/٦	القداس الإلهي سرِّ ملكوت الله، الجزء الثاني (طبعة ثانية)	مايو ٢٠١١م
٣/٧	الدبلة والإكليل (طبعة ثانية)	نوفمبر ٢٠٠٩م
٣/٨	الأجبية أي صلوات السواعي (طبعة ثانية)	أكتوبر ٢٠١٠م
٣/٩	التاريخ الطقسي لسرِّ التوبة والاعتراف	أكتوبر ٢٠٠٧م
٣/١٠	الكهنوت المقدس والترتيب الكنسي - الجزء الأول	يوليو ٢٠١١م
٣/١١	الكهنوت المقدس والترتيب الكنسي - الجزء الثاني	يوليو ٢٠١١م

◆ السلسلة الرابعة: طقوس أصوام وأعياد الكنيسة

رقم	اسم الكتاب	تاريخ النشر
٤/١	الزمن الطقسي بين عيدي التبروز والصليب	يوليو ٢٠٠٩م
٤/٣	الميلاد البتولي والظهور الإلهي	يناير ٢٠١١م
٤/٤	صوم نينوى والصوم المقدس الكبير	يناير ٢٠٠٩م
٤/٥	البصحة المقدسة - الجزء الأول	يناير ٢٠١٠م
٤/٦	البصحة المقدسة - الجزء الثاني	يناير ٢٠١٠م



يُطلب من

## مكتبة مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - القاهرة ت/ ٢٥٧٧٠٦١٤

والمكتبات المسيحية والكنسية

كما يُطلب من

الأستاذ المحاسب مينا سمير أنطون ت/ ٠١٠١١٦٦١٨

E-mail: minasas2001@yahoo.com



## هذا الكتاب

يحاول أن يكشف عن الغموض الذي يكتنف التاريخ المبكر لكنيسة الإسكندرية حتى

بدايات القرن الثالث الميلادي، والذي يمثل تحدياً واضحاً للباحثين والدارسين. إلى جانب محاولة التعرف على شكل الحياة الليتورجية لكنيسة الإسكندرية في هذه الفترة المبكرة. وذلك بفحص الوثائق والبرديات التي توفرت لدينا، والتي اكتُشفت مؤخراً في مصر، وتعود إلى الثلاثة قرون الأولى للمسيحية.

ومن جهة أخرى، يتطرق الكتاب الذي بين يديك، للحديث عن شكل الحياة المسيحية في كنيسة الإسكندرية، قبل وصول القديس مرقس الرسول إليها، طبقاً للوثائق القديمة التي وصلت إلينا. ثم فحص أول وثيقة معروفة حتى الآن، تشرح كرازة القديس مرقس الرسول لمصر بالمسيحية، وهي الوثيقة المعروفة باسم "أعمال مرقس".

